شروح على الفقه الأكبر

شرح احمد بن محمد المغنيساوي

مختصر الحكم للشيخ المزبور

شرح بابك على البزدوي

حس [illegible] الحاج [illegible] [illegible]

قال النبي صلعم من اراد ان يأمن الجذام والبرص والغم والفقر فليقلم اظفاره في يوم الخميس بعد صلوة العصر فليبداء بمسبحة اليد اليمنى ويختم بابهامه وليبداء في الرجل بخنصر اليمنى فيختم بخنصر اليسرى صدق رسول الله

اعلم ان فضل الله التُورِبِشْتي بضم التاء المثناة من فوق بعدها واو ساكنة ثم راء مكسورة ثم باء موحدة مكسورة ثم شين معجمة ساكنة ثم تاء مثناة من فوق رجل محدث فقيه من اهل شيراز شرح مصابيح البغوي شرحا حسنا مات في حدود ستين وستماية من طبقات سبكي

شرح فقه الاكبر تصنيف احمد بن محمد المغنيساوي

الحمد لله الذي هدانا الى طريق اهل السنة والجماعة
بفضله العظيم • وعصمنا من الاعتقاد الفاسد العقيم •
وحفظنا من المذاهب الكاسدة السقيم • والصلوة والسلام
على رسوله وحبيبه محمد الذي كان على خلق عظيم • وعلى
اله واصحابه الداعين الى صراط مستقيم • اما بعد فيقول احمد بن
محمد المغنيساوي عصمه الله الكبير المتعالي عن الخطاء والمعاصي
ان كتاب الفقه الاكبر الذي صنفه الامام الاعظم والشيخ الاكرم
والاستاد الارحم والسراج المنير الحبر الامام نعمان بن ثابت ابو حنيفة رح
الكوفي رضي الله عنه وعمن على مذهبه كتاب شريف لطيف صحيح
مقبول واردت ان اجمع كلمات واضحات وعبارات فصيحات
واشارات لطيفات ودلالات قاطعات حتى يكون شرحا لكتاب
الفقه الاكبر جعله الله سببا للخلاص والنجاة من الفزع الاكبر
والعذاب الاكبر قال الشيخ الامام فخر الاسلام علي البزدوي في
اصول الفقه العلم نوعان علم التوحيد والصفات وعلم الشرايع
والاحكام والاصل في النوع الاول التمسك بالكتاب والسنة
ومجانبة الهوى والبدعة ولزوم طريق السنة والجماعة الذي
كان عليه الصحابة والتابعون ومضى عليه الصالحون وهو الذي
عليه ادركنا مشايخنا وكان على ذلك اعني ابا حنيفة رح و
ابا يوسف ومحمدا وعامة اصحابهم وقد صنف ابو حنيفة رح
في ذلك كتاب الفقه الاكبر وذكر فيه اثبات الصفات واثبات

تقدير الخير والشر من الله عز وجل وان ذلك كله بمشيئته تعالى
الى هذا الكلام وقد نقل صاحب الكشف في شرح اصول البزدوي
قريبا من النصف من لفظ كتاب الفقه الاكبر قال الامام الاعظم ابو
حنيفة رضي الله عنه اصل التوحيد وهو خبر مبتدا محذوف
اي هذا الكتاب كتاب علم التوحيد او هذا الكتاب بيان
علم التوحيد او هو مبتدا خبره محذوف اي علم التوحيد
ما يذكر في هذا الكتاب التوحيد في اللغة الحكم بان الشيء واحد
والعلم بانه واحد يقال وحدته اي وصفته بالوحدانية كما يقال
شجعته اي وصفته بالشجاعة وفي الاصطلاح التوحيد هو
تجريد الذات الالهية عن كل ما يتصور في الافهام ويتخيل في
الاوهام والاذهان ومعنى كون الله تعالى واحدا نفي الانقسام
في ذاته تعالى ونفي الشبه والشريك في ذاته وصفاته كذا في كتاب
حدايق الحقايق وقال سعد الدين في شرح المقاصد علم التوحيد
اعتقاد عدم الشريك في الالوهية وخواصها ولا نزاع لاهل
الاسلام في ان تدبير العالم وخلق الاجسام واستحقاق العبادة
وقدم ما يقوم بنفسه كلها من الخواص اي من خواص الالوهية وفي
القدم بمعنى عدم المسبوقية بالعدم واما بمعنى عدم المسبوقية
بالغير فهو نفس الالوهية ووجوب الوجود وحاصله نفي الشركة
في الالوهية ثابت عقلا وشرعا وفي استحقاق العبادة شرعا
وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون
وما يصح الاعتقاد عليه عطف على قوله اصل التوحيد وهو

المسائل المذكورة في علم التوحيد والصفات المنقولة من العلماء
الثقات وهو من عطف العام على الخاص والاعتقاد هو الحكم الجازم
المطابق للواقع فقد خرج الظن عن تعريف الاعتقاد بقولنا الجازم
وخرج الجهل المركب عنه بقولنا المطابق للواقع قال السيد في شرح
المواقف اعلم ان احسن ما قيل في الكشف عن ماهيته هو انه صفة
تتجلى بها المذكور لمن قامت هي به فالمذكور يتناول الموجود والمعدوم
الممكن والمستحيل بلا خلاف ويتناول المفرد والمركب والكلي والجزئي
والتجلي هو الانكشاف التام فالمعنى انه اي العلم صفة ينكشف
بها لمن قامت به ما من شانه ان يذكر انكشافا تاما لا اشتباه فيه
فيخرج عن حد الظن والجهل المركب واعتقاد المقلد المصيب
ايضا لانه في الحقيقة عقدة على القلب فليس فيه انكشاف تام و
انشراح ينحل به العقدة وقال سعد الدين في المطول والمراد
بالاعتقاد الحكم الذهني الجازم او الراجح فيعم العلم وهو حكم
جازم لا يقبل التشكيك والاعتقاد المشهور وهو حكم جازم
يقبل التشكيك والظن وهو الحكم بالطرف الراجح انتهى كلامه
فالاعتقاد في قول الامام وما يصح الاعتقاد عليه يعم العلم
والاعتقاد المشهور وعند بعض المحققين يعم الظن ايضا فان
الظن الغالب الذي لا يخطر معه احتمال النقيض معتبر في الايمان فان
ايمان اكثر العوام كذلك يجب اي يفترض ان يقول اي المعتقد
اي يفترض على من هو عاقل بالغ ان يقول آمنت بالله ويقول
بياء الغيبة في اكثر النسخ ويجوز ان يقرأ بتاء الخطاب ونون

المتكلم

المتكلم فالله اصله الاله حذفت الهمزة وعوضت منها حرف
التعريف ثم جعل علما للذات الواجب الوجود الخالق لكل شيء
فالله مختص بالمعبود بالحق لم يطلق على غيره اي يختص بالفرد
الموجود الذي يعبد بالحق واليوم الاخر فان قلت ما المراد
باليوم الاخر قلت اليوم هو الزمان من طلوع الشمس الى غروبها
عرفا ومن طلوع الفجر الثاني الى غروب الشمس شرعا والمراد به
ههنا الوقت مطلقا فيجوز ان يراد به الوقت الذي لا حد له
وهو الابد الدائم الذي لا ينقطع وانما سمي باليوم الاخر
لتاخره عن الاوقات المنقطعة ويجوز ان يراد به الوقت المحدود
من النشور الى ان يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار
لانه اخر الاوقات المحدودة الذي لا حد للوقت بعده
وملائكته والملائكة جمع ملاك على الاصل كالشمائل
في جمع شمال والتاء لتانيث الجمع وهو مقلوب مالك من الالوكة
وهي الرسالة لانهم وسائط بين الله وبين الناس فهم
رسل الله او كالرسل اليهم واختلف العقلاء في حقيقتهم
بعد اتفاقهم على انها ذوات موجودة قائمة بانفسها فذهب
اكثر المسلمين الى انها اجسام لطيفة قادرة على التشكل باشكال
مختلفة مستدلين بان الرسل كانوا يرونهم كذلك وزعم
الحكماء انها جواهر مجردة مخالفة للنفوس الناطقة في الحقيقة
منقسمة الى قسمين قسم شأنهم الاستغراق في معرفة الحق و

التنزه عن الاشتغال بغيره كما وصفهم في محكم تنزيله فقال يسبحون
الليل والنهار لا يفترون وهم العلويون والملائكة المقربون وقسم
يدبر الامر من السماء الى الارض على ما سبق به القضاء وجرى القلم
الالهي لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وهم
المدبرات امرا فمنهم سماوية ومنهم ارضية على تفصيل اثبته في
كتاب الطوالع كذا في تفسير القاضي وكتبه والايمان بكتبه هو
التصديق الجازم بوجودها وبانها كلام الله تعالى وجميع كتب المنزلة
على الرسل مائة واربعة كتب انزل على آدم منها عشر صحايف و
على شيث خمسين صحيفة وعلى اخنوخ وهو ادريس ثلثين صحيفة
وعلى ابرهيم عشر صحايف والتورية والانجيل والزبور والقرآن
ورسله اي انبيائه اذ الايمان بكل نبي لازم سواء انزل
عليه كتاب ام لم ينزل فالمراد بالرسل ههنا هو المعنى اللغوي
او الرسول مرادف للنبي عند بعض العلماء وقال سعد الدين
في شرح المقاصد النبي انسان بعثه الله لتبليغ ما اوحي اليه
وكذا الرسول وقد يخص بمن له شريعة وكتاب فيكون اخص
من النبي واعترض بما ورد في الحديث من زيادة عدد الرسل
على عدد الكتب فقيل هو من له كتاب او نسخ لبعض احكام
الشريعة السابقة والنبي قد يخلو عن ذلك كيوشع النبي عليه السلام
وقال الامام الرازي في تفسير سورة البقرة الايمان بالله عبارة عن
الايمان بوجوده وبصفاته وبافعاله وباحكامه وباسمائه اما الايمان

بوجوده

بوجوده فهو ان تعلم وراء المتحيزات موجودا خالقا لها وعلى
هذا التقدير فالمجسم لا يكون قائلا بوجود الاله لانه لا يثبت وراء المتحيزات
شيئا فيكون خلافه معنا في اثبات ذات الله تعالى واما الايمان
بصفاته فالصفات اما سلبية واما ثبوتية اما السلبية فهي
ان تعلم انه فرد منزه عن جهات التركيب فان كل مركب مفتقر الى كل واحد
من اجزائه وكل واحد من اجزائه غيره فكل مركب مفتقر الى غيره ممكن
لذاته فاذن كل مركب ممكن لذاته فكل ما ليس ممكنا لذاته بل كان
واجبا لذاته امتنع ان يكون مركبا بوجه من الوجوه بل كان فردا
مطلقا واذا كان فردا في ذاته لزم ان لا يكون متحيزا ولا جسما
ولا جوهرا ولا في مكان ولا حالا ولا محلا ولا متغيرا ولا محتاجا
بوجه من الوجوه البتة واما الصفات الثبوتية فان تعلم ان
الموجب لذاته نسبته الى بعض الممكنات كنسبته الى البواقي فلما
راينا هذه المحدثات وقعت على وجوه ممكنة وقوعها على خلاف
تلك الوجوه علمنا ان المؤثر فيها قادر مختار لا موجب بالذات
والبعث بعد الموت هو ان يبعث الله الموتى من القبور
بان يجمع اجزاءهم الاصلية ويعيد الارواح اليها يقال بعث الله
الميت اي اقامه من قبره ولم يكتف الامام الاعظم بقوله واليوم الآخر
لانه غير صريح في المعاد الجسماني بل يحتمل المعاد الروحاني وفيه
رد على الفلاسفة المنكرين للمعاد الجسماني وفي المقاصد يسمى
او يسمى معادا وحقيقة العود هو توجه الشيء الى ما كان عليه والمراد
بالمعاد ههنا الرجوع الى الوجود بعد الفناء او جمع اجزاء البدن

الي الاجتماع بعد التفرق والحيوة بعد الموت والارواح الي الابدان
بعد المفارقة واما المعاد الروحاني المحض على ما يراه الفلاسفة
فمعناه رجوع الارواح الي ما كانت عليه من التجرد عن علاقة البدن
واستعمال الالات او التبرء عما ابتليت به من الظلمات كذا في شرح
المقاصد وقد ذهب كثير من علماء الاسلام كالامام الغزالي
والكعبي والحليمي والراغب والقاضي ابو زيد الدبوسي
الي القول بالمعاد الروحاني والجسماني جميعا ذهابا الى ان
النفس جوهر مجرد يعود الي البدن وهذا راي كثير من الصوفية
والشيعة والكرامية وبه تقول جمهور النصارى والتناسخية
قال الامام فخر الرازي الا ان الفرق لا في هذا العالم بل في الاخرة
والتناسخية بقدمها وردها اليها في هذا العالم وينكرون
الاخرة والجنة والنار وانما نبهنا على هذا الفرق لانه يغلب
على الطباع العامة ان هذا المذهب يجب ان يكون كفرا وضلالا
لكونه مما ذهب اليه التناسخية والنصارى ولا يعلمون ان التنا
سخية انما يكفرون لانكارهم القيامة والجنة والنار والنصارى
بقولهم بالتثليث واما القول بالنفوس المجردة فلا يرفع اصلا
من اصول الدين بل ربما يؤيده ويبين الطريق الي اثبات
المعاد بحيث لا يقدح فيه شبهة المنكرين كذا في كتاب نهاية العقول
وقال السيد في شرح المواقف اجمع اهل الملل والشرائع على
جواز حشر الاجساد ووقوعه اما الجواز فلان جمع الاجزاء على
ما كانت عليه واعادة التاليف المخصوص فيها امر ممكن لذاته

وذلك

وذلك لان الاجزاء المتفرقة المختلط بغيرها قابلة للجمع بلا ريبة وان
فرضت انها عدمت جاز اعادتها ثم جمعها واعادة ذلك التاليف
فيها لما عرفت من جواز اعادة المعدوم بعينه والله تعالى عالم بتلك
الاجزاء وانها لاي بدن من الابدان قادر على جمعها وتاليفها لما بينا من عموم
علمه بجميع المعلومات وعموم قدرته على جميع الممكنات وصحة القبول
من القابل والفعل من الفاعل توجب صحة الوقوع وجوازه قطعا وذلك
هو المطلوب واما الوقوع فلان الصادق الذي علم صدقه بالادلة القا
طعة اخبر عنه في مواضع لا تحصى بعبارات لا تقبل التاويل حتى صار
معلوما بالضرورة كونه من الدين القويم والصراط المستقيم فمن اراد تا
ويلها بالامور الراجعة الي النفوس الناطقة فقط فقد كابر بانكار
ما هو من ضروريات ذلك الدين وكل ما اخبر به الصادق فهو حق
والقدر خيره وشره من الله تعالى القدر مجرور معطوف على ما قبله خيره
مجرور بدل من القدر بدل البعض من الكل وشره مجرور معطوف على خيره
والضمير المجرور فيهما راجع الي القدر وهو مصدر بمعنى المفعول كاللفظ
بمعنى الملفوظ فالقدر ههنا بمعنى المقدر والمقدور بمعنى القدر قرأ
الكسائي قوله تعالى والذي قدر فهدى بتخفيف الدال وهو بمعنى
قدر بتشديد الدال فيكون القدر من جملة المؤمن به ويجوز ان يكون القدر
مبتدأ من الله خبره وفي الفتاوى الظهيرية يجب اكفار القدرية في نفيهم
كون الشر بتقدير الله جل وعلا وفي دعواهم ان كل فاعل خالق فعل
نفسه لان الله عز وجل قال وما تشاؤن الا ان يشاء الله رب
العالمين وقد ذكر الشيخ الامام ابو عبد الله بن ابي حفص الكبير

من الله متعلق بالحصول
او الثابتة مجرور
محلا بانه صفة
القدر ح

في كتاب الرد على الاهواء باسناده عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده
مناظرة بين ابي بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما في مسألة
القدر ان ابا بكر كان يقول الحسنات من الله والسيئات من انفسنا
وكان عمر يضيف العمل الى الله عز وجل وذكر القصة بطولها الى ان
قال فذكرا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان اول من تكلم
بالقدر من جميع الخلق كلهم جبرائيل وميكائيل وكان جبرائيل يقول لمثل
مقالتك يا عمر وكان ميكائيل يقول لمثل مقالتك يا ابا بكر فتحاكما
الى اسرافيل عليهم السلام فقضى بينهما ان القدر كله خيره وشره من الله
عز وجل قال رسول صلى الله عليه وسلم وهذا قضائي بينكما ثم قال
يا ابا بكر لو اراد الله ان لا يعصى ما خلق ابليس عليه اللعنة الى هنا من
الفتاوى الظهيرية والحساب والميزان والجنة والنار حق كله
وعليه دلت النصوص من الآيات والاحاديث والميزان عبارة
عما يعرف به مقادير الاعمال والعقل قاصر عن ادراك كيفيته عن الحسن
البصري هو ميزان له كفتان ولسان وروي ان داود عليه السلام
سأل ربه ان يريه الميزان فلما رآه غشي عليه ثم افاق فقال يا الهي
من الذي يقدر ان يملأ كفته حسنات فقال يا داود اني اذا رضيت
عن عبدي ملأتها بتمرة فان قلت كيف توزن الاعمال وانما هي
اعراض قلت فيه قولان احدهما توزن صحايف الاعمال والثاني يجعل
في كفة الحسنات جواهر بيض مشرقة وفي كفة السيئات جواهر سود
مظلمة وفي الفتاوى الظهيرية ومن انكر الميزان بعد القيمة فهو كافر
ومن قال ان الميزان عبارة عن العدل فقط ولا يكون ميزان له يوزن به

الاعمال

الاعمال فهو مبتدع وليس بكافر والله تعالى واحد لا من طريق العدد
ولكن من طريق انه لا شريك له قال الجوهري في الصحاح الواحد اول
العدد وفلان واحد دهره اي لا نظير له وفلان لا واحد له وقال الخلخالي
في شرح المصابيح الواحد يطلق ويراد به عدم التجزي والانقسام ويكثر
اطلاق الواحد بهذا المعنى والله تعالى من حيث انه منزه عن التركيب و
المقادير والتجزي والانقسام واحد من حيث انه متعال عن ان يكون
له مثل فيطرق الى ذاته التعدد والاشتراك وقال الغزالي في المقصد
الاقصى الواحد هو الذي لا يتجزى ولا يتثنى والله تعالى واحد بمعنى
انه يستحيل تقدير الانقسام في ذاته واما الواحد الذي لا يثنى
هو الذي لا نظير له وقال السيد في شرح المواقف وقد نفرق بين
الاحد والواحد فيقال هو احد في الذات اي الذي لا تركيب فيه وواحد
في الصفات اي لا يشاركه فيها اصلا وقال القاضي في تفسير قوله
تعالى والهكم اله واحد اي فرد في الالوهية لا شريك له فيها
ولا يصح ان يسمى غيره الها فان قيل لم والهكم واحد قلنا
ليعلم ان المراد الوحدة في الالوهية وهذا مثل قولك سيد
واحد فان معناه هو واحد في السيادة اي لا شريك له فيها
لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد فهو الحي الاول
لم قدم لم يلد على قوله ولم يولد مع ان المرء يكون مولودا ثم
يكون والدا الجواب انما وقع البداية بانه لم يلد لان الكفار
ادعوا ان له ولدا فان مشركي العرب قالوا الملائكة بنات الله
وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله

ولم يدع احدا انه والد له فلهذا السبب بدا بالاهم فقال لم يلد
ثم اشار الى الحجة فقال ولم يولد كانه قيل الدليل على امتناع
الولد اتفاقنا على انه ما كان ولدا لغيره السؤال الثاني لماذا
اقتصر على لم التي هي لنفي الماضي فقال لم يلد ولم تقل لن يلد الجواب
انما اقتصر على ذلك لانه ورد جوابا عن قولهم ولد الله فلما
يجاب المقصود من هذه الاية تكذيب قولهم وهم انما قالوا ذلك
في الماضي لاجرم وردت الاية على وفق قولهم السؤال الثالث
لم قال ههنا لم يلد وفي سورة بني اسرائيل لم يتخذ ولدا الجواب
ان الولد يكون على وجهين احدهما ان يتولد من الاب وهذا
هو الولد الحقيقي والثاني ان لا يكون ولدا ولكنه يتخذه ولدا
ويسمى بهذا الاسم وان لم يكن له والدا في الحقيقة والنصارى
فريقان منهم من قال عيسى ولد الله حقيقة ومنهم من قال
ان الله اتخذه ولدا تشريفا له كما اتخذ ابرهيم خليلا تشريفا له
فقوله لم يلد اشارة الى نفي الولد في الحقيقة وقوله تعالى لم يتخذ
ولدا اشارة الى نفي اتخاذ الولد لان الانسان قد يتخذ ولدا ليكون
ناصرا ومعينا له على الامر المطلوب ولذلك قال الله تعالى في سورة
يونس عم قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغني وهو اشارة الى ما
ذكرنا ان اتخاذ الولد انما يكون عند الاحتياج فمن كان غنيا
مطلقا امتنع عليه اتخاذ الولد السؤال الرابع هل في قوله تعالى
لم يلد ولم يولد فائدة ازيد من نفي الوالدية والمولودية قلنا
فيه فوائد كثيرة وذلك لان قوله تعالى الله احد الصمد اشارة الى نفي

الاضداد والانداد والشركاء والامثال وهذان المقامان الشريفان
مما حصل الاتفاق فيهما بين ارباب الملل والاديان والفلاسفة الا
ان من بعد هذا الموضع حصل الاختلاف بين ارباب الملل والفلاسفة
فانهم قالوا تولد عن واجب الوجود العقل وعن العقل عقل اخر
ونفس وفلك وهكذا على هذا الترتيب حتى ينتهي الى العقل الذي
هو مدبر ما تحت كرة القمر فعلى هذا القول يكون واجب الوجود قد ولد
العقل الاول فيكون العقل الفعال الذي هو مدبر لعالمنا اي المولود
من العقل الذي فوقه فالحق تعالى نفى الوالدية اولا لانه قال لم يلد
العقول والنفوس ثم قال تعالى والشيء الذي هو مدبر اجسادكم
وارواحكم وعالمكم ليس مولودا من شيء فلا والد ولا مولود ولا
مدبر الا الواحد الذي هو الحق لا اله الا هو ولما بين الله تعالى
هو المصمود اليه في قضاء الحوائج بقوله الله الصمد ونفى الوسائط
من البين بقوله لم يلد ولم يولد على ما بيناه فختم السورة
بقوله ولم يكن له كفوا احد فان شيئا من الموجودات يمتنع ان
يكون مساويا له في شيء من صفات الجلال والعظمة كذا في
تفسير الكبير قال القاضي في تفسير سورة البقرة ان ارباب الشرايع
المتقدمة كانوا يطلقون الاب على الله تعالى باعتبار انه السبب
الاول حتى قالوا ان الاب هو الرب الاصغر والله تعالى هو الاب
الاكبر ثم ظنت الجهلة منهم ان المراد به معنى الولادة فاعتقدوا
ذلك تقليدا ولذلك قائله ومنع منه حسما لمادة الفساد لا
يشبه شيئا من الاشياء من خلقه ولا يشبهه شيء من خلقه

اي مخلوق اما الوجود فلا مشابهة فيه لان وجوده تعالى من
مقتضيات حقيقته فان جسمه غير قابل للعدم واما العلم فلا
فلا مشابهة فيه ايضا لان علمه تعالى ليس بضروري ولا استدلالي
ولا مستفاد من الحس والرؤية ولا يكون في معرض الغلط
والزلل واما القدرة فلا مشابهة فيها ايضا وكذا الرحمة والجود
والعدل والفضل والاحسان في خلاصة الفتاوي والمشبه
مبتدع فان اراد باليد الجارحة فهو كافر والمبتدع صاحب
الكبيرة وقال الامام فخر الرازي في تفسير قوله تعالى ان الله
يأمر بالعدل والاحسان تحقيق القول فيه ان نفي الاله
تعطيل محض واثبات اكثر من اله واحد تشريك وتشبيه
وهما مذمومان والعدل وهو اثبات الاله الواحد والقول
بان الاله ليس بموجود تعطيل محض والقول باثبات الجسمية
والاعضاء والاجزاء والمكان تشبيه والعدل اثبات
موجود محقق بشرط ان يكون منزها عن الجسمية و
والجوهرية والاعضاء والاجزاء والمكان والقول
بانه الاله غير موصوف بالصفات من العلم والقدرة
تعطيل محض والقول باثبات الجسمية والاعضاء
والاجزاء والمكان تشبيه والعدل اثبات موجود محقق بشرط
ان يكون منزها عن الجسمية والجوهرية والاعضاء والاجزاء
والمكان والقول بانه الاله غير موصوف بالصفات من العلم
والقدرة تعطيل محض والقول بان صفاته حادثة متغيرة

تشبيه

تشبيه محض والعدل هو اثبات ان الاله عالم قادر حي مع
الاعتراف بان صفاته ليست حادثة جبر محض والقول بان
العبد مستقل بافعاله قدر محض وهما مذمومان والعدل ان افعال
العبد يفعل الفعل لكن بواسطة قدرة وداعية يخلقهما الله
تعالى فيه وقال الرازي في تفسير سورة بني اسرائيل قال المحققون
لا حول عن معصية الله تعالى الا بعصمة ولا قوة على طاعة الله
الا بتوفيقه لم يزل ولا يزال باسمائه وصفاته الذاتية والفعلية
وفي الفتاوي الظهيرية اذا حلف على صفة الله تعالى ينظر الى
تلك الصفة ان كانت من صفات الذات يكون يمينا وان كانت
من صفات الفعل لا يكون يمينا والفرق بين صفات الذات و
صفات الفعل ان كل صفة يوصف الله تعالى بضدها فهي من صفات
الفعل وان كان لا يوصف فهي من صفات الذات اذا ثبت هذا
فنقول اذا قال وعزة الله يكون يمينا لان الله تعالى لا يوصف
بضدها ولو قال وغضب الله وسخط الله لا يكون يمينا
لان الله تعالى يوصف بضده وهو الرحمة اما الذاتية فالحيوة
والقدرة والعلم والكلام والسمع والبصر والارادة
تفسير هذه الصفات الحيوة صفة ازلية توجب صحة العلم والقدرة
والحي هو الذي يصح ان يعلم ويقدر والقدرة هو التمكن
من ايجاد الشيء وقيل صفة يقتضي التمكن وقيل قدرة
الانسان هيئة بها يتمكن من الفعل وقدرة الله تعالى عبارة
عن نفي العجز عنه تعالى والقادر هو الذي ان شاء فعل و

بضدها

ان لم يشاء لم يفعل واشتقاق القدرة من القدر لان القادر
يوقع الفعل على مقدار قوته او على مقدار ما يقتضيه مشيته
والعلم صفة ازلية حقيقية ذات تعلق بالمفهومات
كلها والكلام صفة ازلية عبر عنها بالنظم المسمى بالقرآن
المركب من الحروف وسيجي بيانه والسمع صفة ازلية
يتعلق بالمسموعات والبصر صفة ازلية يتعلق بالمبصرات
فتدرك المسموعات والمبصرات ادراكا تاما لا على سبيل التخيل
والتوهم ولا على طريق تاثر حاسة ووصول هوا والارادة
صفة ازلية توجب تخصيص احد المقدورين في احد
الاوقات بالوقوع بوجه دون وجه واما الفعلية فالتخليق
والترزيق والانشاء والابداع والصنع وغير ذلك من
صفات الفعل كالاحياء والاماتة والتصوير تفسير هذه
الصفات الخلق والتخليق ايجاد الشيء على تقدير واستواء
واصله التقدير يقال خلق النعل اذا قدرها وسواها
بالمقياس والترزيق تخصيص الشيء بالحيوان وتمكينه من الانتفاع
به والانشاء الايجاد والابداع اختراع الشيء لا عن شيء
دفعة واحدة والصنع تركيب الصورة بالعنصر كذا في
تفسير القاضي لم يزل ولا يزال بصفاته واسمائه الازل القدم
يقال ازلي ذكر بعض اهل العلم ان اصل هذه قولهم للقديم
لم يزل ثم نسب الى هذا فلم يستقم الا باختصار فقالوا يزلي
ثم ابدلت الياء الفا لانها اخف فقالوا ازلي كذا في الصحاح

لم

15

لم يحدث له صفة ولا اسم الحدوث كون شيء لم يكن قبله وبابه
دخل واحدثه الله فحدث كذا في مختار الصحاح اختلف في كونه
تعالى محلا للحوادث فمنعه الجمهور من العقلاء من ارباب الملل
وغيرهم وقال المجوس يجوز ان يقوم به الصفات الكمالية
مطلقا وقال الكرامية يجوز ان يقوم به الحادث لا مطلقا بل كل
حادث يحتاج البارئ اليه في الايجاد فقال بعضهم هو الارادة
وقال بعضهم هو قوله كن فخلق هذا القول والارادة في ذاته
تعالى مستندة الى القدرة القديمة واما خلق باقي المخلوقات
فمستندة الى الارادة او القول على خلاف المذهبين والدليل
على انه تعالى يمتنع ان تقوم بذاته حادث ان صفاته تعالى صفات
كمال فخلوه عنها نقص والنقص عليه محال اجماعا فلا يكون
شيء من صفاته حادثا والا يجاد حاليا عنه قبل حدوثه فان
قيل لم لا يجوز ان يكون ثمه صفات كمال متلاحقة غير متناهية
لانه ممكن بقاؤها واجتماعها وكل لاحق منها مشروطة بالسابق
على قياس الحركات الفلكية عند الحكماء فلا ينفك الباري
عن الكمال المشترك بين تلك الصفات المتلاحقة واما الخلو
عن كل واحد منها فاما الامتناع بقايه واما لانه لو لم يخل عنه
لم يمكن حصول غيره فلزم في فقد كمالات غير متناهية وكان
فقد كل واحد منها ليحصل كمالات غير متناهية هو الكمال في الحقيقة
قلنا يبطل برهان التطبيق هذا التصوير فلا يمكن تلاحق
الصفات الحادثة الى غير النهاية قال بعض الفضلاء في الجواب

لو كان كل واحد من صفات الباري حادثا لكان في الازل
خاليا عن كل واحد لان وجود الحادث في الازل ممتنع فيكون
ناقصا في الازل وهو محال فثبت انه لم يحدث له صفة ولا اسم
ويلزم من ازلية الصفات ازلية الاسماء لان من كان له علم
في الازل كان عالما في الازل لم يزل عالما بعلمه والعلم
صفة في الازل اي في القدم قال الامام الازل عبارة عن قدم
المسبوقية بالغير وقادرا بقدرته والقدرة صفة في
الاول وخالقا بتخليقه والتخليق صفة في الازل وفاعلا
بفعله والفعل صفة في الازل الفَعل بالفتح مصدر فعل و
يفعل وقرأ بعضهم واوحينا اليهم فعل الخيرات والفعل
بالكسر الاسم والجمع الفعال مثل قدح وقداح والفَعال بالفتح
الكرم والفعال ايضا مصدر فعل كالذهاب كذا في مختار الصحاح
والفعل هنا بمعنى التكوين والتخليق والايجاد وفي شرح
العقايد والتكوين هو المعنى الذي يعبر عنه بالفعل والخلق
والتخليق والايجاد والاحداث والاختراع وغير ذلك
ويعبر باخراج المعدوم من العدم الى الوجود وقول الامام الاعظم
لم يزل عالما بعلمه الخ يرد قول المعتزلة فانهم قالوا صفات
الله عين ذاته وهو عالم قادر بمجرد الذات لا بالعلم والقدرة
ويكفي لنا دليلا قول الامام الاعظم وسائر ائمة الهدى والذين
من اهل السنة والجماعة ونقول كما قال هؤلاء الائمة صفات
الله ليست عين ذاته ولا غير ذاته ولا يجب علينا الاستقصاء

مثل هذه

مثل هذه المسئلة قال صاحب المواقف مرادهم بما ذكروه انه لا
هو بحسب المفهوم ولا غيره بحسب الهوية ومعناه انهما متغا
يران مفهوما ومتحدان هوية كما يجب ان يكون الحال كذلك في
الحمل وقال السيد في شرح المواقف وفيه بحث لان كلام المشايخ
في اجزاء غير محمولة كالواحد من العشرة واليد من زيد كما اوردوها
في تمثيلاتهم وفي صفات هي مبادي المحمولات كالعلم والقدرة
لا في المحمولات كالعالم والقادر والمريد والظاهر انهم فهموا
من التغاير جواز الانفكاك من الجانبين ما قدموا على ما قالوا
وايضا لما اثبتوا صفات موجودة قائمة زائدة على ذاته تعالى
لزمهم كون القدم صفة لغير الله فدفعوه بذلك اي بقولهم
لا هو ولا غيره وايضا لزمهم ان يكون تلك الصفات مستندة
الى الذات اما بالاختيار فيلزم التسلسل في القدرة والعلم
والحيوة والارادة ويلزم ايضا كون الصفات حادثة واما
الايجاب فيلزم موجبا بالذات ولو في بعض الاسناد
فبرؤا من هذا بانها انما يكون محتاجة مستندة
الى علة اذا كانت متغايرة للذات انتهى ولا مغايرة
بين ذات الله تعالى وصفاته فلا يكون بالاختيار ولا بالايجاب
ولا يكون بينهما تأثير ولا تأثر لانهما يكونان بين المتغايرين
قال الشيخ ابو العلا الابادي في كتاب القوب وجمعوا انها اي
صفات الله سبحانه لا تتغاير وليس علمه وقدرته ولا غير قدرته
وكذلك جميع صفاته من السمع والوجه واليد ليس سمعه

بصره ولا غير بصره كما انه تع ليس هو هو ولا غيره واختلفوا
في الاتيان والمجيء والنزول فقال الجمهور منهم اي من المشايخ
انها صفات له تع كما يليق به ولا يعبر عنها باكثر من التلاوة
والرواية والفاعل اي الخالق هو الله تعالى والفعل
صفته في الازل والمفعول مخلوق وفعل الله تعالى غير مخلوق
قال الامام ابو منصور الماتريدي في كتاب التاويلات كل صفة
لله تع فهي ازلية سواء كانت ترجع الى الذات او ترجع الى
الفعل عند اهل السنة والجماعة لان الله تع فعلا ازليا كسائر
صفاته من العلم والقدرة والارادة ونحوها لانه تع متى لم
يكن مستحقا لاسم الخالق في الازل بمعنى قام بذاته تع قبل
وجود المخلوق ثم صار موصوفا به عند وجود المخلوق
صار وصفه بالخالق حادثا ولا شك ان وصفه بالخالق من
اوصاف الكمال فكان القول بحدوثه قولا بقيام وصف
النقص به تع والعدم به تعالى عن ذلك فثبت انما يرجع الى
صفات الفعل ايضا ازلي وفي قوله تع مالك يوم الدين دلالة
ايضا على قدم التكوين وسائر صفات الفعل لان الله تع وصف ذاته
في الازل بكونه مالك يوم الدين والملك عبارة عن التصرف بالمشية
وهو عبارة عن الفعل فكان هذا اخبارا من الله تع في الازل انه هو
المتصرف يوم الدين وهو يوم القيمة وهو معدوم في الازل وفي هذا
الوقت وقال ابو حفص الغزنوي في شرح عقايد الطحاوي يقول ابو
حنيفة وابو يوسف ومحمد رحمهم الله تع له معنى الربوبية ولا مربوب

وصح.

ومعنى الخالق ولا مخلوق كما انه محيي الموتى استحق هذا الاسم قبل
احيائهم كذلك استحق اسم الخالق قبل انشائهم هذا منهم اثبات
لقدم صفات الذات والفعل لله تع وهو مذهب اهل السنة والجماعة
وقال سيف الحق ابو المعين النسفي في اصوله اجماع اهل الحق على
اثبات قدم صفات الذات والفعل جميعا وقالت الاشعرية ما هو
من صفات الفعل فهو حادث وقال المشايخ الزاهدون و
الاولياء العارفون ان الله تع لم يزل خالقا بارئا مصورا غفورا
رحيما شكورا وكذلك جميع صفاته التي وصف بها نفسه يوصف
بها كلها في الازل كما يوصف بالعلم والقدرة والعزة والكبرياء
والقوة وكذلك يوصف بالتكوين والتصوير والتخليق والكرم
والغفران والفضل والرزق والشكر ولا يفرقون بين صفة
هي فعل وبين صفة لا يقال انها فعل نحو العظمة والجلال و
العلم والقدرة وذلك انه لما ثبت انه تع سميع بصير قادر
خالق بارئ مصور وانه مدح له تع فلو استوجب ذلك بالمخلوق
والمصور والمبرو لكان محتاجا الى الخلق والحاجة امارة الحدث
والخلق والتكوين والفعل صفات الله تع فهو بها في الازل موصوف
والفعل غير مفعول وكذلك التخليق والتكوين واجمعوا انه لم
يزل الها الها ربا ولا مربوب ولا مملوكا اي التخليق غير المخلوق
والتكوين غير المكون فكذلك يجوز ان يكون خالقا بارئا مصورا
ولا مخلوق ولا مبروء ولا مصور كذا في كتاب التعرف لمذهب
التصوف وصفاته مبتدا في الازل خبره اي صفاته الذاتية و

الفعلية ثابتة في الازل غير محدثة خبر بعد خبر ولا مخلوقة عطف
تفسيري ومن قال انها اي صفاته ذاتية كانت او فعلية مخلوقة
او محدثة او وقف او شك فيها اي في وجود صفاته او
ازليتها فهو كافر بالله تع والتوقف في الشيء كالتلوم فيه التلوم
الانتظار والتمكث والمراد بالتوقف ههنا ان لا يحكم بوجود الصفات
ولا بعدمها اما للشك واما للعناد والشك في اللغة خلاف
اليقين واليقين العلم وزوال الشك وانما قال الامام الاعظم
فهو كافر بالله تع لان الايمان هو التصديق بمعنى اذعان القلب
وقبوله لوجود الباري ووحدانيته وسائر صفاته كما يجيء في
الاعلام وصفاته تع من جملة المؤمن به فمن لم يؤمن بها يكون
كافرا وفي فتاوى الظهيرية والبزازية يجب اكفار النجارية في
نفيهم صفات الله تع وفي شرح المواقف النجارية اصحاب محمد بن حسين
النجار هم موافقون لاهل السنة في خلق الافعال وان الاستطاعة
مع الفعل وان العبد يكتسب فعله وموافقون للمعتزلة
في نفي الصفات الوجودية وحدوث الكلام ونفي الرؤية بالابصار
وفي موضع اخر في شرح المواقف وفيه ابحاث الاول كون
المعتزلة في امور الاول نفي الصفات لان حقيقة الله تع ذات
موصوفة دائما بهذه الصفات الكمالية التي هي العلم والقدرة و
الحيوة ونظائرها فمنكر اتصافه بها جاهل والجاهل بالله كافر
قلنا الجهل بالله بجميع الوجوه كفر لكن ليس احد من اهل القبلة
بجاهل كذلك فانهم على اختلاف مذاهبهم اعترفوا بانه تع

قديم

قديم ازلي عالم قادر خالق السموات والارض والجهل به من
بعض الوجوه لا يضر والا لزم تكفير المعتزلة والاشاعرة
بعضهم بعضا فيما اختلفوا فيه اي لو كان الجهل بتفاصيل الصفات
قادحا في الايمان لكفر بعض الاشاعرة بعضا فيما اختلفوا
فيه من تفاصيلهم وكذلك الحال في معتزلة البصرة وبغداد فانهم
اختلفوا ايضا منها الى هنا من شرح المواقف قال الخيالي هذه القا
عدة لابي الحسن الاشعري وبعض منا بعيد واما البعض علم
يوافقهم وهم الذين كفروا المعتزلة والشيعة في بعض المسائل
وفي فتاوى قاضيخان يصح الاقتداء باهل الاهواء الا الجهمية
والقدرية والروافض الغالي ومن يقول بخلق القران وفي
بعض الروايات الا الخطابية وكذا المشبهة لا يجوز الصلوة
خلفهم واما من سواهم صح الاقتداء بهم ويكره وفي خلاصة
الفتاوى ويصح الاقتداء باهل الاهواء الا الجهمية والقدرية
والروافض الغالي ومن يقول بخلق القران والخطابية والمشبهة و
جملته ان من كان من اهل قبلتنا ولم يغل في هواه حتى لم يحكم
بكونه كافرا يجوز الصلوة خلفه ويكره وفي المشبهة اذا قال
انه لم يدا ورجلا كما للعباد فهو كافر وان قال جسم لا كالاجسام
فهو مبتدع وفي الروافض ان فضل عليا على غيره اي على ابي
بكر وعمر فهو مبتدع ولو انكر خلافة ابي بكر الصديق رضي الله
عنه فهو كافر انتهى وما ذكر في كتب الفتاوى دليل على ان
ائمة الحنفية حكموا بكفر بعض اهل الاهواء وابو الحسن الاشعري

ليس بحنفي ولهذا لم يحكم بكون اهل الاهواء وفي فتاوي الظهيرية
اصحابنا من اهل السنة والجماعة خطاوا ابا الحسن الاشعري في
بعض المسايل فمن وقف على المسايل التي اخطا فيها ابو الحسن وعرف
خطاه فلا باس بالنظر الي كتبه وامساكها وعامة اصحابنا اتفق
اخذوا بما استقر عليه ابو الحسن ويطول تعداد ما اخطا فيه ابو الحسن
والقران في المصاحف مكتوب والقران في اللغة مصدر بمعنى
الجمع والضم يقال قرات الشي قرانا اي جمعته جمعا وبمعنى القراءة
يقال قرء الكتاب قراءة وقرانا والقران يجمع السور ويضمها
ولهذا سمي قرانا فيكون بمعنى اسم الفاعل ويجوز ان يكون القران
بمعنى المقرو لانه يقرا ويتلى فيكون المصدر بمعنى اسم المفعول
وفي الصحاح الصحيفة الكتاب والجمع صحف وصحايف والمصحف
بضم الميم وكسرها واصله الضم لانه ماخوذ من اصحف اي جمعت
فيه الصحف قال صدر الشريعة في التوضيح لفظ القران لفظ
مشترك يطلق على الكلام الازلي الذي هو صفة للحق عز وجل
ويطلق ايضا على ما يدل وهو المقرو وقد عرف ابن الحاجب القران
فقال القران هو الكلام المنزل على الرسول للاعجاز بسورة منه
وعرف علماونا فقالوا القران هو ما نقل الينا بين دفتي
المصاحف تواترا فخرج عن التعريف سائر الكتب الالهية
والاحاديث القدسية والاحاديث النبوية والقراءة الشاذة
لان سائر الكتب الالهية والاحاديث النبوية والاحاديث
القدسية لم ينقل منها شيء بين دفتي المصحف لانه اسم لهذا المعهود

المعلوم

المعلوم عند الناس حتى الصبيان والقراءة الشاذة لم ينقل بطريق
التواتر بل بطريق الاحاد كما اختص مصحف ابي بن كعب رضي الله
عنه والشهرة كما اختص بمصحف بن مسعود رضه وهذا التعريف
للقران الذي يدل على الكلام الازلي القايم بذات الله تعالى
لان الاحكام لما كانت في نظر الاصوليين منقولة بالكلام اللفظي
دون الكلام الازلي جعل القران اسما للكلام اللفظي واعتبر
في تعريفه ما يميزه عن المعنى القديم وقد قالوا القران هو
النظم والمعنى جميعا وارادوا انه النظم الدال على المعنى للقطع
وان كونه عربيا مكتوبا في المصاحف منقولا بالتواتر صفة
للفظ الدال على المعنى لا لمجموع اللفظ والمعنى كذا في التلويح
وفي القلوب محفوظ اي بالالفاظ المخيلة وعلى الالسن مقرو اي
بحروف الملفوظ المسموعة وعلى النبي صلى الله عليه وسلم منزل
اي بحروف الملفوظ المسموعة بواسطة الملك الحاصل لها مع ذلك
ليس حالا في المصاحف ولا في القلوب ولا في الالسنة والاذان
بل هو معنى قديم قايم بذات الله يلفظ ويسمع بالنظم الدال
عليه ويحفظ بالنظم المخيل ويكتب بنقوش وصور واشكال
موضوعة للحروف الدالة عليه كما يقال النار جوهر محرق يذكر
باللفظ ويكتب بالقلم ولا يلزم كون حقيقة النار صوتا وحرفا
وتحقيقه ان للشيء وجودا في الاعيان ووجودا في الاذهان
ووجودا في العبارة ووجودا في الكتابة والكتابة تدل على
العبارة وهي على ما في الاذهان وهو على ما في الاعيان فحيث يوصف

القران بما هو من لوازم القران كما في قولنا القران غير مخلوق فالمراد به
حقيقته الموجودة في الخارج اي المعنى القديم القايم بذات الله تع
وحيث يوصف بما هو من لوازم المخلوقات يراد به الالفاظ المنطوقة
المسموعة كما في قولنا قرات بعض القران او الالفاظ المخيلة
كما في قولنا حفظت القران والاشكال المنقوشة كما في قولنا يحرم
للمحدث مس القران كذا في شرح العقايد ولفظنا اي تلفظنا
بالقران مخلوق وكتابتنا له مخلوق وقراتنا له مخلوق لان
ذلك كله من اعمالنا وافعالنا كلها مخلوقة بتخليق الله تع وانما
قال مخلوق ولم يقل مخلوقة مع ان الكتابة والقراءة مونث
لان تاء التانيث لا تحذف من القراءة والكتابة بمعنى الكتب و
الكتاب وكل مونث لم يجز حذف تاءه او كان بمعنى لفظ مذكر يجوز
تذكيره كما في قوله تع لعل الساعة قريب ولم يقل قريبة
لان تاء التانيث لا يحذف من الساعة وكما في قوله تعالى
ان رحمة الله قريب من المحسنين ولم يقل قريبة لان الرحمة بمعنى
الاحسان والقران اي كلام الله غير مخلوق لانه قديم لانه
قايم بذات الله تع وذات الله ليست محلا للحوادث وقدم ر د
لبيان وانما فسرنا القران بكلام الله لئلا يسبق الفهم الى المولف
من الاصوات والحروف قديم وفي قول الامام الاعظم ابي حنيفة في
كتاب الوصية نقر بان القران كلام الله تع غير مخلوق
ووحيه وتنزيله وصفته لا هو ولا غيره بل هو صفته على التحقيق
مكتوب في المصاحف مقروء بالالسن محفوظ في الصدور غير

حال فيها والحبر والكاغذ والكتابة كلها مخلوقة لانها افعال
العباد وكلام الله تع غير مخلوق لان الكتابة والحروف والكلمات
والايات كلها آلة القران لحاجة العباد اليها وكلام الله تعالى
قايم بذاته ومعناه مفهوم بهذه الاشياء فمن قال بان كلام الله
تعالى مخلوق فهو كافر بالله العظيم وقال في الكلام على البزدوي
في اصول الفقه وقد صح عن ابي يوسف انه قال ناظرت ابا حنيفة
في مسالة القران ستة اشهر فاتفق رايي ورايه على ان من
قال بخلق القران فهو كافر وصح هذا القول عن محمد اشهر كلامه
مناظرة ابي يوسف ستة اشهر ليبحث في ان القران مخلوق ام
غير مخلوق لانه بالقران يعلم انه غير مخلوق بل في الحكم بكفر
من يقول انه مخلوق والمراد بالقران ههنا الكلام القايم بذات
الله تع لا الكلام اللفظي المولف من الاصوات والحروف فان المولف
من الاصوات والحروف مخلوق والمعتزلة يقولون القران مخلوق
ويريدون بالقران هذا الكلام اللفظي فقط ولا يقولون
ان كلام قايم بذات الله تع فمن قال القران مخلوق واراد به الكلام
اللفظي القايم بذات الله تع كما هو مذهب الكرامية يكون كافرا
لانه نفى الصفة الازلية وجعل الباري مخلوقا واراد به نفي الكلام
الازلي يكون كافرا وهو مذهب المعتزلة ومن قال القران
مخلوق واراد به الكلام اللفظي الغير القايم بذات الله تع ولم يرد
نفي الكلام الازلي لا يكون كافرا لكن هذا الاطلاق خطا
لانه يوهم الكفر وما ذكره الله تع في القران عن موسى عم

من الانبياء وعن فرعون وابليس فان ذلك كله كلام الله
تعالى اخبارا عنهم كلام الله غير مخلوق وكلام موسى وغيره
من المخلوقين مخلوق والقران كلام الله لا كلامهم يعني ان
ما ذكر الله تعالى في القران اخبارا عن موسى وعيسى وغيرهما
من الانبياء وعن فرعون وابليس وانما قال ذلك بكلامه
القديم الذي كتب الكلمات الدالة عليه في اللوح المحفوظ
قبل خلق السموات والارض لا بكلام حادث والاخبار عنهم
نقل بالمعنى لا باللفظ لان كلام موسى وغيره من المخلوقين
مخلوق وكلام الله تعالى غير مخلوق ويؤيده ان قدر ثلاث
آيات من القران بالغ حد الاعجاز وليس يمكن ذلك من البشر
ومن المعلوم ان ما نقل من المخلوقين في القران يزيد على
قدر ثلاث آيات فيكون القران كلام الله لا كلامهم فان
لا فرق بين القصص المذكور في القران وبين آية الكرسي
وسورة الاخلاص في كون كل منهما كلام الله تعالى وسمع موسى
كلام الله تعالى كما في قوله وكلم الله موسى تكليما وهو منتهى
مراتب الوحي خص به موسى من بين الرسل وقد فضل الله
محمدا بان اعطاه مثل ما اعطى كل واحد منهم كلم الله موسى
ليلة الحيرة وفي الطور وكلم الله محمدا ليلة المعراج حين كان
قاب قوسين او ادنى وبينهما بون بعيد قال الامام فخر الدين
في تفسير قوله تعالى فلما اتاها نودي من شاطئ الواد الايمن
في البقعة المباركة من الشجرة ان يا موسى اني انا الله رب العالمين

اعلم

اعلم ان شاطئ الوادي جانبه وجاء النداء عن يمين موسى من
شاطئ الوادي من قبل الشجرة وقوله تعالى من الشجرة بدل من قوله
من شاطئ الوادي بدل الاشتمال لان الشجرة كانت نابتة على
شاطئ الوادي احتجت المعتزلة على قولهم ان الله متكلم
بكلام يخلقه في جسم بقوله من الشجرة فان هذا صريح في ان
موسى سمع النداء من الشجرة والمتكلم بذلك النداء هو الله
وهو منزه عن ان يكون في جسم فثبت انه تعالى انما يتكلم
بخلق الكلام في جسم اجاب القائلون بقدم الكلام فقولنا
لنا مذهبان الاول ابي منصور الماتريدي وائمة ما وراء النهر
وهو ان الكلام القديم القائم بذات الله تعالى غير مسموع انما
المسموع هو الصوت والحرف وذلك الصوت والحرف كان
مخلوقا في الشجرة مسموعا منها وعلى هذا التقدير زال السؤال
والثاني قول ابي حسن الاشعري وهو ان الكلام الذي ليس
بحرف ولا صوت يمكن ان يكون مسموعا كما ان الذات التي ليست
بجسم ولا عرض يمكن ان يكون مرئية فعلى هذا القول لا يبعد انه
سمع الحرف من الشجرة وسمع الكلام القديم من الله لا من الشجرة فلا
منافاة بين الامرين كذا في تفسير الكبير وقد كان الله متكلما
ولم يكن كلم موسى لان قيام الحوادث بذات الله تعالى محال قال القاضي
في تفسير قوله تعالى ان الذين كفروا سواء عليهم ءانذرتهم
احتجت المعتزلة بما جاء في القران بلفظ الماضي على حدوثه لاستدعائه
سابقة مخبر عنه واجيب بانه مقتضى التعلق وحدوثه لا يستلزم

حدوث الكلام كما في العلم اسمه كلام تقرير احتجاج المعتزلة
ان كلامه تع لو كان ازليا لزم الكذب في اخباره والتالي باطل
فالمقدم مثله اما الملازمة فلان الاخبار بطريق المضي كثير في
كلامه تع وصدقه يقتضي سبق وقوع النسبة ولا يتصور
على الازلي لان الازلي ما لا يكون مسبوقا بغيره فيلزم اما
الكذب او حدوثه والاول باطل فتعين الثاني واجيب
بانه اي ذلك الاستدعاء مقتضى التعلق يعني ان كلامه
تع في الازل لا يتصف بالماضي والحال والاستقبال لعدم
الزمان في الازل وانما يتصف كلامه تع بالماضي والحال
والاستقبال فيما لا يزال بحسب التعلقات وحدوث الازمنة
والاوقات غايته لزوم حدوث التعلق وحدوثه لا يقتضي
حدوث الكلام المتعلق كما في العلم فان تعلقه يكون
حادثا وهو قديم والجواب الاقوى ان يقال اقول لعقدت
في اول كل فعل ماض وامره ونهيه وتقدير القول كثير
في القرآن والله تع علم في الازل انه ينزل القرآن على
محمد ويخبره بقصص الانبياء وغيرهم ويامرهم وينهاهم
فقال في الازل بلا صوت ولا حرف اقول لمحمد انا ارسلنا
نوحا الى قومه اقول لمحمد انا انزلناه في ليلة القدر اقول
لمحمد ان الذين كفروا سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم
لا يؤمنون اقول لمحمد قال فرعون وما رب العالمين
اقول لمحمد يا ايها النبي اتق الله اقول لمحمد فان انا ها

نودي

نودي يا موسى اني انا ربك فاخلع نعليك اقول لمحمد
ولا تكن كصاحب الحوت وفي شرح المواقف كلام الله تعالى
واحد عندنا واما انقسامه الى الامر والنهي والخبر والاستفهام
والنداء فانما هو بحسب التعلق فذلك الكلام الواحد باعتبار
تعلقه بشيء على وجه مخصوص يكون خبرا وباعتبار
تعلقه بشيء اخر او على وجه اخر يكون امرا وكذا الحال
في البواقي قال الامام الغزالي في الرسالة القدسية ان كلامه
تع قديم قايم بذاته وانما الحادث هي الاصوات الدالة عليه
وكما عقل قيام طلب التعلم وارادته بذات الوالد قبل ان
يخلق ولده حتى اذا خلق ولده وعقل وخلق الله تعالى
له علما بما في قلب ابيه من الطلب صار مامورا بذلك
الطلب الذي قام بذات ابيه ودام وجوده الى وقت معرفة
ولده فليعقل قيام الطلب الذي دل عليه قوله تع لموسى
فاخلع نعليك بذات الله تع وصير موسى مخاطبا
بعد وجوده اذا خلقت له معرفة بذلك الطلب وسمع
لذلك الكلام القديم وقد كان الله خالقا في الازل لم يخلق
الخلق لما بين الامام الاعظم الامر في صفة الكلام من انه
لا يتوقف على حصول المخاطب اراد ان يبين ان الامر في
ساير الصفات كذلك دفعا لتوهم اختصاص هذا الحكم
بصفة الكلام فقال وقد كان خالقا والكتفي بالصفة الفعلية
ولم يذكر من الصفات الازلية الذاتية لان توقف الصفة

الفعلية على وجود الخالق اظهر من الصفة الذاتية فيعلم
منها ان الصفة الذاتية بطريق الدلالة واختار من الصفات
الفعلية التخليق لانه اعم لوجوده في ضمن كل صفة ولما دفع
الوهم عاد الى تحقيق ما هو بصدده فقال فلما كلم الله
موسى كلمه بكلامه الذي هو صفة له في الازل لان كلامه ازلي ابدي
لا يتغير ولا يتبدل والاطناب في ذلك قليل الجدوى فان كنه
ذات الله وصفاته محجوب عن نظر العقل اذ لا يشبه صفاته
صفات الخلق كما لا يشبه ذاته ذوات الخلق كما قال الامام
الاعظم وصفاته كلها ذاتية كانت او فعلية بخلاف صفات
المخلوقين وذلك لانه تع يعلم لا كعلمنا فلا تماثل بين علمنا
وعلمه لان علمنا لا يخلوا عن معارضة الوهم بخلاف علمه
تعالى وان علمنا حادث وعلمه قديم جل ان يكون علمه ضروريا
او كسبيا او تصورا او تصديقا ويقدر لا كقدرتنا
لان قدرته مؤثرة بالايجاد وقدرتنا غير مؤثرة بل كاسبة
وقدرته قديمة وقدرتنا حادثة ونحن لا نقدر الا على بعض
الاشياء بالالات والاسباب والانضمام والله تعالى
يقدر بقدرته القديمة على جميع الاشياء لا بالة ولا بمشاركة
غيره جل في قدرته عن ان يحتاج الى مادة ومدة ومثال
ويرى لا كرؤيتنا لانا نرى الاشكال والالوان بالالات
والشروط والله تع يرى الاشكال والالوان ببصره
الذي هو صفة في الازل لا بالة ولا بشرط من زمان ومكان

وجهه

وجهه ومقابلة لا يغيب عن رؤيته مرئي وان دق ولا
يدفع رؤيته ظلام ويرى من غير حدقة ولا اجفان ويتكلم
لا ككلامنا لانا نتكلم بالالات والشروط والله تعالى يتكلم
بلا الة ولا شرط فليس كلامه بصوت يحدث من انسلال
الهوى واصطكاك الاجرام ولا بحرف ينقطع باطباق شفة
او تحريك لسان ويسمع لا كسمعنا لانا نسمع بالالات والشروط
والله تعالى يسمع الاصوات والكلمات كلها بسمعه القديم لا
بالة من اذن وصماخ ونحوهما ولا بشرط من زمان ومكان وجهة
وقرب لا يعزب عن سمعه مسموع وان خفي ولا يحجب سمعه بعد
ويسمع بغير اذن وصماخ كما يعلم بغير قلب ويبطش بغير
جارحة ويخلق بغير الة فصفاته تعالى اجل واعلا مما في المخلوق
بحيث لا مناسبة بينهما نحن نتكلم بالالات والحروف والله
متكلم بلا الة ولا حروف والحروف مخلوقة لان الحرف كيفية
للصوت القايم بالهواء او هو نفس الصوت المتكيف المخصوص
بالكيفية واياما كان يكون حادثا وكلام الله غير مخلوق
فيمتنع ان يتالف من الحروف لان المؤلف من المخلوقات
مخلوق وكلامه تع قديم قايم بالذات لا يقبل الانفصال
والافتراق بالانتقال الى القلوب والاوراق قال الامام
فخر الرازي في تفسير سورة يونس عليه السلام ان المعتزلة
قالوا ان الرسول عليه الصلوة والسلام تحدى العرب بالقران
والمراد من التحدي ان يطلب منهم الاتيان بمثل القران فاذا

عجزوا عنه ظهر كونه حجة من عند الله على صدقه وهذا انما يمكن
لو كان الاتيان بمثله صحيح الوجود في الجملة ولو كان القران قديما
لكان الاتيان بمثل القديم محالا في نفسه فوجب ان لا يصح التحدي
بالقران والجواب ان القران اسم يقال بالاشتراك على الصفة القديمة
القائمة بذات الله وعلى هذه الحروف والاصوات ولا نزاع في ان
الكلمات المركبة من هذه الحروف والاصوات المحدثة مخلوقة والتحدي
انما وقع بها لا بالصفة القديمة وفي شرح العقايد وتحقيق
الخلاف بيننا وبين المعتزلة يرجع الى اثبات الكلام النفسي
ونفيه والا فنحن لا نقول بقدم الالفاظ والحروف وهم لا يقولون
بحدوث كلام نفسي ودليلنا انه ثبت بالاجماع وتواتر النقل
عن الانبياء انه تعالى متكلم ولا معنى له سوى انه متصف بالكلام
ويمتنع قيام الكلام اللفظي الحادث بذاته فتعين الكلام النفسي
القديم وهو شيء لا كالاشياء والشيء يختص بالموجود لانه
في الاصل بالموجود لانه الاصل مصدر شاء اطلق بمعنى شاء
تارة فيكون المصدر بمعنى اسم الفاعل وحينئذ يتناول الباري
تعالى وظاهر ان من قام به المشية يجب ان يكون موجودا او بمعنى
مشيء اخرى فيكون المصدر بمعنى اسم المفعول اي شيء وجوده
وما شاء الله وجوده فهو موجود في الجملة يعني ان المشية
اذا اطلقت تنصرف الى المشية الكاملة وهي مشية الله وما شاء
الله وجوده يكون موجودا البتة ولو في المستقبل فيكون موجودا
في الجملة قال الامام فخر الرازي في تفسير سورة الانعام نقل عنهم

بن صفوان

بن صفوان انه ينكر كونه تعالى شيئا واعلم انه لا ينازع
في كونه تعالى موجودا وذاتا وحقيقة الا انه ينكر تسميته تعالى
شيئا فيكون هذا خلافا في مجرد العبارة واحتج الجمهور
على تسمية الله تع بالشيء لقوله تعالى قل اي شيء اكبر شهادة
قل الله وتقريره انه تع قال قل اي شيء اكبر شهادة ثم ذكر
في الجواب قوله قل الله وهذا يوجب كون الله شيئا كما انه
لو قيل اي الناس اصدق فلو قيل في الجواب جبريل كان هذا الجواب
خطأ لان جبريل ليس من الناس فكذا ههنا ومعنى الشيء
الثابت ومعنى الثابت الموجود والثبوت والوجود والتحقق
والكون الفاظ مترادفة معناها بديهي التصور وفي اكثر
النسخ ومعنى الشيء اثباته فكانه اشار بهذا الى ان الشيء
مصدر في الاصل بمعنى ايجاد الشيء قوله لا جسم بيان لقوله
لا كالاشياء ولذا ترك العاطف قال الحكماء الجوهر اما ان يكون
محلا لجوهر اخر وهو الهيولى او حالا في جوهر اخر وهو الصورة
او مركبا من الهيولى والصورة وهو الجسم او لا يكون كذلك
اي لا يكون محلا ولا حالا ولا مركبا منهما وهو المفارق فان
تعلق بالجسم تعلق التدبير والتصرف فهو النفس وان لم يتعلق
بالجسم تعلق التدبير والتصرف فهو العقل وقال المتكلمون
كل جوهر فهو متحيز وكل متحيز اما ان يقبل القسمة وهو الجسم
وكل جسم مركب من جزئين فصاعدا او لا يقبل القسمة
وهو الجوهر الفرد الذي لا يقبل الانقسام لا فعلا ولا وهما

ولا هو الجزء الذي لا يقبل الانقسام لا يتجزى ولو
كان الله تعالى جسما لكان متحيزا ولو كان متحيزا لكان جوهرا
لاستحالة كون واجب الوجود عرضا ولو كان جوهرا فاما ان لا
ينقسم اصلا او ينقسم وكلاهما باطل اما الاول فلانه
تعالى يكون حينئذ جزءا لا يتجزى وهو احقر الاشياء تعالى
الله عن ذلك واما الثاني فلانه يكون جسما وكل جسم منقسم
وكل منقسم مركب وكل مركب محدث فثبت ان كل جسم منقسم
وكل منقسم محدث وكل محدث محتاج الى المحدث وبعبارة اخرى
كل جسم منقسم وكل منقسم مركب وكل مركب مفتقر في
تحققه الى تحقق كل واحد من اجزائه وكل واحد من اجزاء
الشيء غير ذلك الشيء فكل منقسم فهو مفتقر في تحققه الى
تحقق كل واحد من اجزائه وكل واحد من اجزاء الشيء
غير ذلك الشيء فكل منقسم فهو مفتقر في تحققه ووجوده
الى غيره وكل مفتقر الى غيره فهو ممكن فثبت ان كل جسم ممكن
محتاج الى واجب الوجود ولا جوهر لان الجوهر يكون محلا
للاعراض والحوادث والله منزه عن ذلك الجوهر ممكن موجود
لا في موضوع عند الحكماء وحادث متحيز بالذات عند المتكلمين
وبعبارة اخرى الجوهر ماهية ممكنة اذا وجدت في الاعيان
كانت لا في موضوع عند الحكماء والجوهر موجود متحيز
بالذات عند المتكلمين وقال المتكلمون لا جوهر الا المتحيز
اي القابل بالذات الاشارة الحسية فانهم نفوا الجوهر

المجردة وحكموا باستحالتها فاما ان يقبل المتحيز القسمة
سواء كانت في جهة واحدة او اكثر وهو الجسم عند الاشاعرة
او لا يقبلها اصلا وهو الجوهر الفرد فعندهم ان الجوهر منحصر
في هذا القسمين واذا قيل ما يتركب الجسم منه جوهران
من الجوهر الفرد والجوهر الفرد لا شكل له باتفاق المتكلمين
لان الشكل هيئة احاطة حد واحد وهو الكرة او حدود
وهو المضلع ولا يتصور ذلك الا فيما له اجزاء فان الحد
هو النهاية لا يعقل النهاية الا بالنسبة الى ذي النهاية
فيكون هناك لا محالة جزآن وقال القاضي ابو بكر الباقلاني
لا يشبه الجوهر الفرد شيئا من الاشكال لان المشاكلة هي الاتحاد
في الشكل والاشكال الكيفيات كالمربع ولا عرض لانه لا يقوم
بذاته بل يفتقر الى محل يقومه فيكون ممكنا اما تعريف العرض
عندنا فهو معنى موجود قائم بمتحيز هذا هو المختار في تعريفه
لانه خرج منه الاعدام والسلوب او ليست موجودة وخرج
الجواهر اذ هي غير قائمة بمتحيز وخرج ايضا ذات الرب تعالى
وصفاته ومعنى القيام هو اختصاص الناعت بالمنعوت وهو
ان يختص شيء باخر اختصاصا يصير به ذلك الشيء نعتا
للاخر والاخر منعوتا به فيسمى الاول حالا والثاني محلا كا
ختصاص السواد بالجسم لا كاختصاص الماء بالكوز ومعنى القيام
عند بعض المتكلمين هو التبعية في التحيز واما تعريف العرض
عند الحكماء فالعرض ماهية اذا وجدت في الخارج كانت في موضوع

اي في محل يقوم ما حل فيه ولم ينكر وجود العرض الا ابن كيسان
فانه ذهب الى ان العالم كله جوهر فالحرارة والبرودة والحركة و
الضوء مثلا عنده ليست عرضا بل جوهر والقائلون بوجود
العرض اتفقوا على انه لا يقوم بنفسه الا شرذمة قليلة لا يبالي
بشأنهم والعرض لا ينتقل من محل الى محل على قياس انتقال الجسم
من مكان الى مكان وهذا حكم قد اتفق العقلاء على صحته ولا
يجوز قيام العرض بالعرض عند اكثر العقلاء خلافا للفلاسفة
وذهب المحققون الى ان العرض لا يبقى زمانين والاعراض جملتها
غير باقية عندهم بل هي على التقضي والتجدد ينقضي واحد
منها ويتجدد آخر مثله وتخصيص كل واحد من الآحاد المنقضية
المتجددة بوقته الذي وجد فيه انما هو للقادر المختار فانه
يخصص بمجرد ارادته كل واحد منها بوقته الذي خلقه قبل ذلك
وبعده وانما ذهبوا الى ذلك لانهم قالوا بان السبب المحوج الى
المؤثر هو الحدوث فلزمهم استغناء العالم حال بقائه عن الصانع
بحيث لو جاز عليه العدم تعالى عن ذلك علوا كبيرا لما ضر عدمه
في وجوده فدفعوا ذلك بان شرط بقاء الجوهر هو العرض
ولما كان هو متجددا محتاجا الى المؤثر دائما كان الجوهر ايضا حال
بقائه الى ذلك المؤثر بواسطة احتياج شرطه اليه فلا استغناء
اصلا ووافقهم على ذلك النظام والكعبي من قدماء المعتزلة
وقالت الفلاسفة وجمهور المعتزلة ببقاء الاعراض سوى الازمنة
والحركات والاصوات وذهب ابو علي الجبائي وابنه ابو هاشم

وابو الهذيل

وابو الهذيل الى بقاء الالوان والطعوم والروائح دون العلوم
والارادات والاصوات وانواع الكلام والقائلون ببقاء الاعراض
استدلوا على بقائها بالمشاهدة فقالوا انا نشاهد الالوان باقية فانكار
بقائها قدح في الضروريات قلنا لا دلالة للمشاهدة على ان المشاهد
امر واحد مستمر لجواز ان يكون امثالا تتوارد بلا فصل كالماء
الدافق من الانبوب يرى امرا واحدا مستمرا بحسب المشاهدة وهو في
الحقيقة امثال تتوارد على الاتصال ولا حد له لان الحد تعريف
الماهية بذكر اجزائها والواجب لعدم تركبه ولا جزء له فيمتنع ان
يكون له حد والحد قد يكون بمعنى النهاية ولا نهاية له تعالى اي ليس
محلا للكمية سواء كانت متصلة كالمقادير او منفصلة كالاعداد
والمقادير الخط والسطح والجسم التعليمي والزمان فاي جزء
من الخط فرض فهو نهاية لجزء وبداية لجزء باعتبار ونهاية
للجزئين باعتبار آخر قال المتكلمون العدد اي الكم المنفصل
لا وجود له في الخارج لان العدد مركب من الوحدات التي هي اعتبارات
عقلية لا وجود لها في الخارج كما ذكر في بحث الوحدة والكثرة
والمركب من الاعتبارات العقلية اعتباري لا وجود له في الخارج
واما المقادير التي هي الجسم التعليمي والسطح والخط فليست
موجودات زائدة على الجسم لانها اما نفس الجسمية او جزء
الجسمية بناء على انه اي الجسم مركب من اجزاء لا تتجزى فانه
حينئذ يكون الاجزاء المنضمة بعضها الى بعض في الجهات
الثلث اي الطول والعرض والعمق وهو الجسم والمنتظم

بعضها الى بعض في الجهتين اي الطول والعرض هو السطح وهو
جزء الجسم والمنتظم بعضها الى بعض في الجهة الواحدة اي
الطول وهو الخط وهو جزء السطح فالجسم التعليمي نفس الجسم
المركب من الجزء الذي لا يتجزى والسطح والخط جزء الجسم
المركب منه والكل جوهر لانه مركب من الجزء الذي لا يتجزى
وهو الجوهر الفرد والمركب من الجوهر لا يكون عرضا فلا وجود
وجود لمقدار هو عرض اما خط او سطح او جسم تعليمي اذ
ليس لنا الا الجسم واجزاؤه وكلها من قبيل الجواهر لا من
قبيل الاعراض وقال الجسم التعليمي المقدار الذي هو طول وعرض
وعمق والسطح المقدار الذي هو طول وعرض فقط والخط
المقدار الذي هو طول فقط والكل عرض قائم بالجسم موجود
في الخارج ولا ضد له اي لا نظير له ولا كفو له وقد يكون الضد
بمعنى الموت وبمعنى العدو والله تعالى منزه عن النظير والكفو
ومنزه عن المعين والناصر وعن العدو والمخالف للارادة
وتقديره المضاد ان الضدان امران وجوديان يستحيل
اجتماعهما في محل واحد وبينهما غاية الخلاف ايضا كالعلم
والجهل المركب قال اهل الحق من المتكلمين الاثنيان ثلاثة
اقسام لانهما ان اشتركا في الصفات النفسية فالمثلان
والا فان كان لذاتيهما اجتماعهما في محل واحد من جهة
واحدة فالضدان والا فالمتخالفان ولا ند له وفي الصحاح
الند بالكسر المثل والنظير وكذلك النديد والنديدة قال القاضي

في تفسير سورة البقرة الند المثل المناوي اي المعادي من ند
ندودا اذا نفر وناددت الرجل خالفته خص بالمخالف المماثل
في الذات كما خص المساوي للمماثل في القدر وقال صاحب
الكشاف الند المثل ولا يقال الا للمثل المخالف المناوي ومعنى
قولهم ليس لله ند ولا ضد نفي ما يسد مسده ونفي ما ينافيه
وقال الجوهري في الصحاح ناداه اي خالفه واصله الهمز لانه
من النوء وهو النهوض ولا مثل له وفي الصحاح
مثل كلمة تسوية يقال هذا مثله ومثله كما يقال شبهه
وشبهه بمعنى وفي شرح المواقف المثلان هما الموجودان
الذاتيان يشارك كل منهما الاخر فيما يجب له ويمتنع و
يمكن وقد يقال بعبارة اخرى المثلان ما يسد احدهما
مسد الاخر في الاحكام الواجبة والجائزة والممتنعة جميعا
قال الشيخ ابو المعين في التبصرة انا نجد اهل اللغة لا
يمتنعون من القول بان زيدا مثل عمرو في الفقه اذا كان
يساويه فيه ويسد مسده في ذلك الباب وان كان بينهما
مخالفة بوجوه كثيرة وما يقوله الاشعرية من انه لا مماثلة
الا بالمساواة من جميع الوجوه فاسد لان النبي صلى الله
عليه وسلم قال الحنطة بالحنطة مثلا بمثل واراد الاستواء
في الكيل فقط وان تفاوت في الوزن وعدد الحبات والصلابة
والرخاوة والظاهر انه مخالفة لان مراده الاشعري من
المماثلة المساواة من جميع الوجوه فيما به المماثلة كالكيل مثلا

والا فاشتراك الشيئين في جميع الاوصاف ومساواتهما
من جميع الوجوه يمنع التعدد فكيف يتصور التماثل و
لان التماثل يقتضي التعدد والتغاير في بعض الاوصاف
فان زيدا وعمروا متماثلان لا تعدد في ماهيتهما ولا تغاير
لان ماهيتهما الحيوان الناطق وامتيازهما وتعددهما
لا يحصل الا بالتعين والتشخص ولا يحصل التعين و
التشخص الا بالاوصاف فلو كان جميع اوصاف زيد اوصاف عمرو
ولما هو هو فلا يكون بينهما تعدد وتغاير وامتياز
تثنية فضلا عن التماثل وقد صرح سبحانه وتع بنفي مماثلة
الخلق عن نفسه بقوله وليس كمثله شيء اي ليس شيء
مثله فهو بحقيق الاثبات كالذات في الازل بنفي النظير والتماثل
وقد قيل معنى قولنا لا مثل له اي لا شريك له في النوع لانه لا
نوع له كما لا جنس له والمماثلة الاشتراك في النوع فاذا قيل
هما متماثلان كان معناه انهما متفقان في الماهية النوعية
ومعنى قولنا لا شبيه له اي لا شريك له في الكيف لانه لا كيف له
والمشابهة الاشتراك في الكيف فاذا قيل هما متشابهان
كان معناه انهما متفقان في الكيف اي في الكيفية المحسوسة
او الكيفية النفسانية او الكيفية المختصة بالكميات او
الكيفية الاستعدادية اما تعريف الكيف فانه عرض لا
تقتضي القسمة والا قسمة اقتضاء اوليا اي بالذات
ومن غيره اعتبار ولا يكون معناه معقولا بالقياس الى الغير

فقولنا

فقولنا عرض جنس يتناول الاعراض كلها واحترزنا بقولنا
لا يقتضي القسمة من الكم فانه تقتضي القسمة لذاته واحترزنا
بقولنا ولا يقتضي الاقسمة عن الوحدة والنقطة المقتضيين
لها عند من قال انهما من الاعراض اي على القول بانهما موجودتان
في الخارج واما على القول بانهما من الامور الاعتبارية فلا حاجة
الى هذا القيد لعدم دخولهما في العرض واحترزنا بقولنا اقتضاء
اوليا عن خروج العلم بمعلوم واحد هو بسيط حقيقي والعلم
بمعلومين فان العلم الاول تقتضي الاقسمة لكنه ليس اقتضا
ؤه اوليا بل بواسطة معلومه والعلم الثاني يقتضي القسمة
كذلك فلولا تقييد الاقتضاء بالاولية لخرجا عن الحد مع انهما من
مقولة الكيف واحترزنا بالقيد الاخير وهو قولنا ولا يكون
معناه معقولا بالقياس الى الغير عن النسب اي عن الاعراض
النسبية فانها معقولة بالقياس الى غيرها واما الكيفيات المحسوسة
فهي الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة والالوان و
الاضواء والحركة والسكون والاصوات والطعوم والروائح
وغيرها مما يدرك بالحواس الظاهرة واما الكيفيات النفسانية
اي المختصة بذوات الانفس من الاجسام العنصرية فقيل المراد
الانفس الحيوانية ومعنى الاختصاص بها ان تلك الكيفيات
توجد في الحيوان دون النبات والجماد وعلى هذا فلا يتجه ان
بعض هذه الكيفيات كالحيوة والعلم والقدرة والارادة
ثابتة لواجب الوجود والمجردات فلا يكون مختصة بالحيوانات

على أن القائلين بثبوتها لواجب الوجود وغيره من المجردات لم
يجعلوها مندرجة في جنس الكيف ولا في الأعراض فهي أي
الكيفيات النفسانية كالحيوة والعلم والقدرة والإرادة
واللذة والألم والصحة والمرض والحقد والحزن والخوف
والفرح والحياء والسخاوة والشجاعة والغضب وغير
ذلك من الأخلاق والأحوال وأما الكيفيات المختصة
بالكميات كالزوجية والفردية العارضتين للعدد و
التثليث والتربيع فإنهما عارضان للمثلث والمربع
وكذلك التخميس والتسديس وغيرهما من الهيئات العارضة
للسطوح الكثيرة الأضلاع وأما الكيفيات الاستعدادية
نحو القبول واللاانفعال والدفع والله تعالى منزه عن هذا
الكيفيات كلها أي التي من جنس الاستعداد لأنها من أعراض
تحدث في الأجسام فصفات الله تعالى قديمة قائمة بذاته تعالى
ليست من قبيل الأعراض والجواهر لما صرح به مشايخنا
من أن الله تعالى حي وله حيوة أزلية ليست بعرض ولا
مستحيل البقاء وله علم أزلي شامل ليس بعرض ولا
مستحيل البقاء ولا ضروري ولا مكتسب وكذا القول
في سائر الصفات فيكون الصفات التي من الكيفيات منفية
عن الله تعالى بالاتفاق وأما النزاع في أنه كما أن العالم
منا علما هو عرض قائم به زائد عليه حادث فهل به العالم
علم هو صفة له أزلية قائمة به زائدة عليه وكذا جميع

الصفات

الصفات فأنكره الفلاسفة والمعتزلة وزعموا أن صفاته
بمعنى أن ذاته تسمى باعتبار التعلق بالمعلومات عالما
وبالمقدورات قادرا إلى غير ذلك فلا يلزم تكثر في
الذات ولا تعدد في القدماء والواجبات والجواب عنه
على ما سبق من أن المستحيل تعدد الذوات القديمة و
هو غير لازم أي تعدد الذوات القديمة لا يلزم من تعدد
الصفات القديمة القائمة بذات واحدة قديمة وله يد ووجه
ونفس كما ذكره الله تعالى في القرآن بقوله يد الله فوق
أيديهم وبقوله بل يداه مبسوطتان وبقوله ويبقى وجه
ربك وبقوله كل شيء هالك إلا وجهه وبقوله حكاية عن
عيسى عليه السلام تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك
وبقوله كتب على نفسه الرحمة وصفات الله تعالى ليست
غير ذاته وفي بعض النسخ مما ذكره الله تعالى في القرآن
من ذكر الوجه واليد والنفس فهو له صفات بلا كيف
أي أصلها معلوم ووصفها مجهول لنا لأن الله تعالى منزه
عن الجارحة فلا نبطل الأصل المعلوم بسبب التشابه والعجز عن
درك الوصف وروي أحمد بن حنبل رضه أن الكيفية مجهولة
والبحث عنها بدعة ولا يقال أن يده قدرته
أو نعمته لأن فيه أي في هذا القول إبطال الصفة
التي دل على ثبوتها الرواية وهو أي إبطال الصفة قول أهل
القدر والاعتزال عطف على القدر من قبيل عطف المغاير

او العام لان اهل القدر هم المعتزلة والامامية من الشيعة
فكل المعتزلة قدرية وليست كل القدرية معتزلة وانما
سموا بالقدرية لان القدر اسم لما صدر مقدرا من فعل
القادر فهم لما اسندوا افعالهم الى انفسهم وتقديرهم
وقدرتهم ولا يسندون افعالهم الى تقدير الله و
قدرته سموا قدرية قال حذيفة رضي الله عنه قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لكل امة مجوس ومجوس هذه
الامة الذين يقولون لا قدر من مات منهم فلا
تشهدوا جنازته ومن مرض منهم فلا تعودوهم وهم
شيعة الدجال وحق على الله ان يلحقهم بالدجال
اخرجه ابو داود رحمه الله في سننه وقال عبد الله بن عمر
رضي الله عنه سمعت عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
يقول سيكون من امتي اقوام يكذبون بالقدر
كذا في جامع الاصول وعن انس بن مالك رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم القدرية الذين
يقولون الخير والشر بايدينا ليس لهم في شفاعتي
نصيب ولا انا منهم ولا هم مني وقال ابو هريرة رضي الله عنه
قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الايمان بالقدر يذهب
الهم والحزن كذا في تفسير القرطبي في سورة القمر وكذا
يده صفة بلا كيف وكذا وجهه صفة بلا كيف وكذا
نفسه صفته بلا كيف قال الشيخ الامام فخر الاسلام علي البزدوي رحمه الله

في اصول الفقه وكذا اثبات اليد والوجه حق عندنا معلوم باصله
متشابه بوصفه ولن يجوز ابطال الاصل بالعجز عن درك الوصف
وانما ضلت المعتزلة من هذا الوجه فانهم ردوا الاصول لجهلهم
بالصفات وقال الشيخ الامام محيي السنة في معالم التنزيل في تفسير
سورة المائدة يد الله صفة من صفات ذاته كالسمع والبصر والله
اعلم بصفاته فعلى العباد فيها الايمان والتسليم وقال
الشيخ ابو الحسن الاشعري ان يد الله صفة قائمة بذاته تعالى
وهي صفة سوى القدرة من شانها التكوين على سبيل الاصطفا
والذي يدل عليه انه تعالى جعل وقوع خلق ادم بيده علة الكرامة
ادم واصطفائه فلو كان اليد عبارة عن القدرة لامتنع كونها
علة للاصطفا لان ذلك حاصل في جميع المخلوقات فلا بد من
اثبات صفات اخر وراء القدرة يقع بها الخلق والتكوين
على سبيل الاصطفاء كذا في التفسير الكبير في سورة المائدة وقال
صاحب المواقف الصفة الرابعة الوجه اثبته الشيخ ابو الحسن
الاشعري في احد قوليه وابو اسحق الاسفرايني والسلف
صفة ثبوتية والصفة الخامسة اليد قال الله تعالى ما منعك
ان تسجد لما خلقت بيدي فاثبت الشيخ ابو الحسن الاشعري
صفتين ثبوتيتين زائدتين على الذات وباقي الصفات
لكن لا بمعنى الجارحة وعليه السلف واليه ميل القاضي في بعض
كتبه وغضبه ورضاه صفتان من صفاته بلا كيف
اي بلا بيان الكيفية فان كيفيتهما مجهولة لان غضبه لا يشبه

بعضنا ورضاه لا يشبه رضانا فان الغضب منا غليان
دم القلب والرضاء امتلاء الاختيار حتى يفضي الى الظاهر
فهما من الكيفيات النفسانية كالرحمة والفرح والسرور و
العشق والتعجب فانها كلها تابعة للمزاج المستلزم للتركيب
المنافي للوجوب الذاتي قال الشيخ الاسلام فخر الاسلام في اصول
الفقه والرضاء عبارة عن امتلاء الاختيار حتى يفضي
الى الظاهر ولهذا كان الرضاء والغضب من المتشابه في صفات
الله تعالى وقال الشيخ الامام فخر الاسلام في اصول الفقه وعندنا
انه لاحظ للراسخين في العلم من المتشابه الا التسليم على
اعتقاد حقيقة المراد به عند الله تعالى وان الوقف على قوله تعالى
الا الله واجب خلق الله تعالى الاشيا لا من شيء اي لا
من مادة زعمت الفلاسفة انه لا يحدث شيء الا من شيء
آخر هو مادة له وادعى بعضهم العلم الضروري باستحالة
حدوث شيء لا من شيء والمليون ينكرونه ويجوزون حدوث
الاشياء التي لا تعلق لها بمادة اصلا وزعمت الفلاسفة
ان كل حادث اي موجود بعد العدم مسبوق بمادة ومدة وارادوا
بالمادة ما يكون موضوعا للحادث ان كان الحادث عرضا
او يكون هيولى ان كان الحادث صورة او يكون متعلقا
للحادث ان كان نفسا وارادوا بالمدة الزمان وبنوا على
ذلك قدم للمادة والزمان بمعنى انه لابد ان يكون للمركب
مادة بسيطة قديمة على الحاملة للصور والاعراض وقال الامام

الاعظم

الاعظم رحمه خلق الله تعالى الاشياء لا من شيء نص قاطع وفي
شرح المواقف اثبات تعدد القوى وتغايرها بالذات على راي
الفلاسفة مبني على اصلهم الفاسد ان الواحد لا يصدر عنه الا
الواحد قد ثبت ضعف هذا الاصل وفساده فلا يصح مبنى
عليه من تعدد القوى وتغايرها ثم نقول في ابطال القوى
سيما القوة المصورة كما زعموها اذ من تامل في عجائب الافعال
الحادثة في عالم الطبيعة من النباتات المختلفة الانواع والحيوانات
المتباينة الحقائق البالغة تلك الافعال العجيبة من الاتقان والاحكام
اقصى الغاية وكان ذلك المتامل راجعا الى فطنة وانصاف
باقيا على فطرة الله التي فطر الناس عليها من الذكاء والميل الى الصواب
ولم يعم بصيرته التقليد لاهل الاهواء ولم يكن اسيرا في سطوة
الوهم اي في سجنه بان يغلب وهمه على عقله علم ذلك المتامل بالضرورة
ان تلك الافعال العجيبة البالغة تلك الدرجة العالية لا يمكن
ان يسند الى قوى بسيطة او مركبة عديمة الشعور عما تص
در عنها سيما يحدث في الحيوانات من الصور والاشكال والتخطيطات
المقدارية والاوضاع المتلائمة في الرحم ومما يناسب فيه من الصور
النوعية والقوى التابعة لها على تلك المادة المتشابهة الاجزاء
على الراي الاصوب وما يراعى في تلك الامور الحادثة والمنا
صة من حكم ومصالح قد تحيرت فيها الاوهام وعجزت عن
ادراكها العقول والافهام وقد بلغ المدون من تلك الحكم و
المصالح كما علم في الكتب التي دون فيها منافع اعضاء الحيوانات

واشكالها ومقاديرها واوضاعها خمسة الاف وممّا لا يعلم
منها اكثر ممّا علم كما لا يخفى على ذي حدس كامل وعلم ذلك
المتأمل ايضا علما ضروريا لا يشوبه ريبة ولا يحتمل النقيض
بوجه من الوجوه ان تلك الافعال المذكورة لا تصدر الا عن عليم
كامل علمه خبير ببواطن الاشياء وما يخفى منها حكيم يتقن افعاله
مطابقة للمنافع التي يتصوّر ترتبها عليها قدير على كلّ ما
تعلقت به مشيته كما نطق بها الكتاب الكريم في عدة مواضع
في معرض الاستدلال على عظمة الصّانع تعالى وكماله منها قوله
تعالى هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء هو هذا الحق العزيز
لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه على ان في الاعتراف
بالفاعل المختار واسناد الاشياء اليه ابتداء فائدة جليلة
هي ان فيه لمندوحة عن كثير من امثال هذه التمحّلات التي
يكذبها العقل الصريح ويأباها الذهن الصحيح ولا يقبلها
طبع مستقيم ولا يذعن لها ذهن سليم ربّنا لا تزغ قلوبنا بعد
اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهّاب
وفي شرح المقاصد كيف يصدر هذه الافعال المتقنة على النظام
المخصوص عن القوى التي هي اعراض قائمة بالاعضاء لا
يتصور لها قدرة وارادة او علم خصوصا اذا تأملنا في الصور
العجيبة والاشكال الغريبة والنقوش المونقة والالوان المختلفة
الموجودة في النبات والحيوان والانسان فانّ العقل لا يكاد
يذعن لصدورها عن القوى التي سمّاها الفلاسفة مصورة

وان فرضنا كونها مركبة وكون المواد مختلفة كيف وقد ورد في الكتاب
الالهي في عدة مواضع اسناد جميع ذلك الى الله تع وارشاد
الى الدلالة على كونه تع قادرا حكيما وصانعا قديما والعقلاء
لما رجعوا الى الفطرة السليمة صرحوا بان هذه القوى انما تفعل
ذلك باذن خالقها القدير وموجدها الحكيم الخبير قال الامام
فخر الرازي في تفسير سورة النحل الحبة الواحدة اذا وضعت
عليها مقادير معينة من الوقت تنفذت في داخل تلك الحبة
اجزاء من رطوبة الارض وندواتها فتنتفخ الحبة فتنشق
اعلاها واسفلها فيخرج من اعلى تلك الحبة شجرة صاعدة
من داخل الارض الى الهواء ومن اسفلها شجرة اخرى غائصة
في قعر الارض وهذه الغائصة هي المسمّاة بعروق الشجر ثم
ان تلك الشجرة لا تزال تزداد وتنمو وتقوى ثم يخرج منها الاوراق
والازهار والاكمام والثمار ثم ان تلك الثمرة مشتملة على
الاجسام مختلفة الطبائع مثل العنب فان قشره وعجمه
باردان يابسان كثيفان ومائه ولحمه حاران رطبان لطيفان
واذا عرفت هذا فنقول نسبة الطبائع السفلية الى هذا
الجسم متشابهة ونسبة التأثيرات الفلكية والتحريكات
الكوكبية الى الكل متشابهة ومع تشابه نسبة هذه الاشياء
نرى هذه الاجسام مختلفة في الطبع والطعم واللون
والرائحة والصفة فدل صريح العقل على ان ذلك ليس الا
لاجل فاعل قادر حكيم رحيم فان قيل لا نسلم ان ذلك الفاعل

انبتها ولم لا يجوز ان هذه الاشياء انما حدثت وتولدت بسبب
تفاوت الفصول الاربعة وتأثيرات الشمس والقمر والكواكب
فنقول الجواب عن هذا السؤال من وجهين الاول ان
نقول هب ان حدوث الحوادث في هذا العالم السفلي مستند
الى الاتصالات الفلكية والتشكلات الكوكبية الا انه لا
بد لحركاتها واتصالاتها من اسباب واسباب تلك الحركات
اما ذواتها واما امور مغايرة لها والاول باطل لوجهين
الاول ان الاجسام متماثلة فلو كان جسم من الاجسام
علة لصفة لكان كل جسم واجب الاتصاف بتلك الصفة
وهو محال والثاني ان ذات الجسم لو كان علة لحصول هذا
الجزء من الحركة لوجب دوام الجسم على حالة واحدة من غير
تغير اصلا وذلك يوجب كونه ساكنا لذاته واحتياجه في حركته
الى غيره كان باطلا فثبت ان الجسم يمتنع ان يكون متحركا
لكونه جسما فبقي ان يكون متحركا لغيره وذلك الغير اما
ان يكون ساريا فيه او مباينا عنه والاول باطل لان البحث
المذكور عائد في ان الجسم بعينه لم اختص بتلك القوة بعينها
دون سائر الاجسام فثبت ان محرك اجسام الافلاك
والكواكب امر مباين وذلك المباين ان كان جسما او
جسمانيا عاد التقسيم الاول وان لم يكن جسما ولا جسمانيا
فاما ان يكون موجبا بالذات او فاعلا مختارا والاول باطل
لان نسبة ذلك الموجب بالذات الى جميع الاجسام

على السوية

على السوية فلم يكن بعض الاجسام بقبول بعض الاثار
المعينة اولى والثاني هو الفاعل المختار القادر المنزه عن
كونه جسما او جسمانيا وذلك هو الله تعالى فالحاصل
انا وان حكمنا باستناد حوادث العالم السفلي الى الحركات
الفلكية والكوكبية فهذه الحركات الكوكبية والفلكية لا
يمكن اسنادها الى افلاك اخرى والا لزم التسلسل
وهو محال فوجب ان يكون خالق هذه الحركات ومدبرها هو
الله تعالى واذا كانت الحوادث السفلية مستندة الى الحركات
الفلكية والكوكبية وثبت ان الحركات الفلكية والكوكبية
حادثة بتخليق الله تعالى وتقديره وكان هذا اعترافا بان
الكل من الله تعالى وباحداثه وتخليقه وهذا هو المراد
من قوله تعالى وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر
يعني ان كانت تلك الحوادث السفلية لاجل تعاقب
الليل والنهار وحركات الشمس والقمر فهذه الاشياء
لا بد ان يكون حدوثها بتخليق الله وتقديره وتسخيره
قطعا للتسلسل ولما بين هذا الدليل في هذا المقام لا جرم
ختم الله تعالى الآية ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون
يعني ان كل من كان عاقلا علم ان القول بالتسلسل
باطل ولا بد من الانتهاء في آخر الامر الى فاعل مختار
قديم فهذا احد الجوابين والجواب الثاني عن ذلك السؤال
ان نقول نحن نقيم الدلالة على انه لا يجوز ان يكون

حدوث النبات والحيوان والانسان لاجل تأثير الطبايع والافلاك
والانجم لان تأثير الطبايع والافلاك والانجم والشمس والقمر
بالنسبة الى الكل واحد ثم نرى انه اذا تولد العنب كان قشره
على طبع وعجمه على طبع ولحمه على طبع ثالث وماؤه على طبع رابع
بل نقول انا نرى في الورد ما يكون احد وجهي الورقة الواحدة
منه في غاية السواد والوجه الثاني من تلك الورقة في غاية
الحمرة وتلك الورقة تكون في غاية الرقة واللطافة ونعلم
بالضرورة ان نسبة الانجم والافلاك الى وجهي الورقة الرقيقة
نسبة واحدة والطبيعة الواحدة في المادة الواحدة لا تفعل
الا فعلا واحدا الا ترى انهم قالوا الشكل البسيط
هو الكرة لان تأثير الطبيعة الواحدة في المادة الواحدة يجب ان
يكون متشابها والشكل الذي يتشابه جميع جوانبه هو الكرة وايضا
اذا وضعت الشمع فاذا انتضا حصة اذرع من ذلك الشمع
من احد الجوانب وجب ان يحصل مثل هذا الاثر في جميع الجوانب اذا
هذا فنقول ظهر ان نسبة الشمس والقمر والانجم والافلاك و
الطبايع الى وجهي تلك الورقة اللطيفة الرقيقة نسبة واحدة
وثبت ان الطبيعة الموثرة متى كانت نسبتها واحدة كان الاثر
متشابها وثبت ان الاثر غير متشابه لانه احد جانبي تلك الورقة
في غاية السواد والجانب الثاني منها في غاية الحمرة فهذا يفيد
القطع بان المؤثر في حصول هذه الصفات والالوان والاحوال
ليس هو الطبيعة بل المؤثر فيها هو الله تعالى الفاعل المختار الحكيم

وهذا

وهذا هو المراد من قوله تع وما ذرأ لكم في الارض مختلفا الوانه
فلما كان مدار هذه الحجة على ان المؤثر الموجب بالذات وبالطبيعة
يجب ان يكون نسبته الى الكل متشابهة لا جرم ختم تعالى
هذه الاية بقوله ان في ذلك لاية لقوم يذكرون ولما دل الحس
في هذه الاجسام النباتية على اختلاف صفاتها وتنافي
احوالها ظهر ان المؤثر فيها ليس موجبا بالذات بل فاعلا مختارا
فهذا تمام تقرير هذه الدلايل والكلام في التفسير الكبير والدليل
على حدوث العالم فيه كثير ولما كان خلق الاشياء لا من شيء
يقتضي معلومية الاشياء قبل ان يخلق قال الامام الاعظم

وكان الله تع عالما في الازل بالاشياء قبل كونها
اي قبل حدوثها هذا تصريح ببطلان قول هشام
بن الحكم فانه قال ان الله تع لا يعلم الحوادث الا عند وقوعها
وحدوثها واحتج عليه بانه قال انه تع لو كان عالما بالجزئيات
قبل وقوعها لكان العبد مجبورا على الفعل والترك لان ما علم
الله تع وقوعه يمتنع عدمه فلا يقدر العبد على تركه ويكون مضطرا
الى فعله وما علم الله عدمه يجب عدمه ويمتنع وقوعه فالقول
بكونه تعالى عالما بالاشياء قبل وقوعها يقدح في التكاليف
والعبودية قلنا اسناد الجهل الى الله تع كفر والقول بانه
تع لا يعلم الحوادث الا عند وقوعها كفر لانه تكذيب بالقرآن
فانه تع اخبر في القرآن عن الامور الاتية والافعال المستقبلة
قبل وقوعها فوقعت كما اخبر تع وقد كتب الله تع جميع الاشياء

في اللوح المحفوظ وكتب القرآن في اللوح المحفوظ وفيه قصص
الانبياء وغيرهم وفيه احوال اهل الجنة واحوال اهل النار
قال الله تعالى بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ وقال الله تعالى
علم ان سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الارض
وعلم الله لا يمنع قدرة العبد واختياره لانه تعالى علم في الازل
لان العبد يفعل ويترك باختياره وقدرته فلا يكون مجبورا
على الفعل والترك وقول الامام الاعظم رضه وهو الذي
قدر الاشياء وقضاها تعليل لقوله السابق والمراد
في قوله وهو الجار فيما انه قال وكيف لا يكون عالما في الازل
بالاشياء قبل وقوعها والحال انه تعالى هو الذي قدر
الاشياء وقضاها وتقدير الاشياء وقضاؤها لا يكون
الا قبل وقوعها والقضاء والقدر لا يكون الا مع العلم
اعلم ان معنى التقدير في اللغة جعل الشيء على مقدار غيره
قال قدر هذا الشيء بهذا اي جعله على مقداره وقدر الله تعالى
الاقوات اي جعلها على مقدار الكفاية ثم يفسر التقدير بالقضاء
فيقال قضى الله عليه وقدره عليه اي جعله على مقدار ما يكفي
في الخير والشر وقيل في معنى قدرنا كتبنا قال العجاج
قدرنا دبرنا وقيل قضينا والكل متقارب والقضاء الحكم
الجزم كذا في التفسير الكبير وقال القاضي في تفسير سورة البقرة و
اصل القضاء اتمام الشيء قولا كقوله تعالى وقضى ربك
او فعلا كقوله تعالى فقضاهن سبع سموات والطلق على

تعلق

تعلق الارادة الالهية بوجود الشيء من حيث انه يوجد
ولا يكون في الدنيا والآخرة شيء من الجواهر والاعراض
الا بمشيئته وعلمه وقضائه وقدره وكتبه في اللوح المحفوظ
قال الامام الرازي في تفسير سورة الرعد اعلم ان قوله تعالى
وكل شيء عنده بمقدار يحتمل ان يكون المراد من العندية
العلم ومعناه انه تعالى يعلم كمية كل شيء وكيفيته على الوجه
المفصل ومتى كان الامر كذلك امتنع وقوع التغير في تلك
المعلومات ويحتمل ان يكون المراد من العندية انه تعالى خصص
كل حادث بوقت معين بمشيئته الازلية وارادته السرمدية وعند
حكماء الاسلام انه تعالى وضع اسبابا كلية واودع فيها قوى
وخواص وحركها بحيث يلزم من حركاتها المقدرة بالمقادير
المخصوصة احوال جزئية متعينة ومناسبات مخصوصة متقدرة
ويدخل في هذه الآية افعال العباد واحوالهم وخواطرهم وهي
من ادل الدلائل على بطلان قول المعتزلة ولكن كتبه بالوصف لا
بالحكم يعني كتب في اللوح المحفوظ كل شيء باوصافه من الحسن
والقبح والطول والعرض والصغر والكبر والقلة والكثرة
والخفة والثقل والحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة والطاعة
والمعصية والارادة والقدرة والكسب وغير ذلك من الصفات
والاحوال والاخلاق ولم يكتب فيه شيئا بمجرد الحكم بوقوعه
بلا وصف ولا سبب فلذا لم يكتب فيه ليكن زيد مؤمنا ليكن
عمرو كافرا ولو كتب كذلك لكان زيد مجبورا على الايمان وعمرو مجبورا

على الكفر لأن ما حكم الله بوقوعه فهو يقع البتة والله يحكم
لا معقب لحكمه ولكن كتب فيه أن زيدا يكون مؤمنا باختياره
وقدرته ويريد الإيمان ولا يريد الكفر وكتب فيه أن عمرا يكون
كافرا باختياره وقدرته ويريد الكفر لا يريد الإيمان فالمراد من
قول الإمام الأعظم ولكن كتبه بالوصف لا بالحكم هو نفي الجبر
في أفعال العباد وإبطال المذهب الجبرية أي بلا بيان كيفية يعني
بيان كيفية يعني أن أصل هذه الصفات ثابت بالكتاب والسنة
وإجماع الأمة إلا أنها من المتشابهات وما يعلم تأويلها
إلا الله فأوصافها مجهولة لا طريق العقل أن يدركها بالاجتهاد
وكذلك كل صفة لله تعالى إذ لا يشبه صفاته صفات الخلق كما لا يشبه
ذاته ذوات الخلق قال الكرماني في شرح البخاري قالوا في تعريف
القضاء والقدر القضاء هو الحكم بالكليات على سبيل الإجمال
في الأزل والقدر هو الحكم بوقوع الجزئيات التي لتلك الكليات
على سبيل التفصيل في الإنزال قال الله تعالى وإن من شيء إلا عندنا
خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم وقال الإمام فخر الرازي في
تفسير هذه الآية إن جميع الممكنات مقدورة لله تعالى يخرجها
من العدم إلى الوجود كيف يشاء الله تعالى وإن كانت مقدوراته
غير متناهية إلا أن الذي يخرج منها إلى الوجود يجب أن يكون
متناهيا لأن دخول ما لا نهاية له في الوجود محال فقوله تعالى
إن من شيء إلا عندنا خزائنه إشارة إلى كونه مقدوراته
غير متناهية وقوله تعالى وما ننزله إلا بقدر معلوم إشارة

إلى أن كل ما يدخل منها في الوجود فهو متناه ومتى كان الخارج
منها إلى الوجود متناهيا كان لا محالة مختصا في الحدوث
بوقت مقدر مع جواز حصوله في سائر الأوقات بدلا عن ذلك
الوقت وكان مختصا بصفات معينة مع أنه كان يجوز
في العقل حصول سائر الصفات بدلا عن تلك الصفات وإذا
كان الأمر كذلك فاختصاص تلك الأشياء المتناهية بذلك
الوقت المعين والصفات المعينة بدلا عن أضدادها لا بد أن
يكون بتخصيص مخصص وتقدير مقدر وهذا هو المراد من
قوله تعالى وما ننزله إلا بقدر معلوم والمعنى أنه الحي القادر
المختار الذي خصص تلك الأشياء بتلك الصفات الجا
ئزة لا ممتنع اختصاصها بتلك الصفات الجائزة والمراد
من الإنزال ههنا الإحداث والإنشاء والإبداع وكذا وهم
قال الإمام الأعظم وكان الله تعالى عالما في الأزل بالأشياء
قبل كونها أي علم بالأشياء بعد كونها بعينها وعلم بالأشياء
قبل كونها وجدت بعد زوال ذلك العلم السابق فيلزم
منه تغير في علم الله وكونه محلا للحوادث دفع ذلك الإيهام
فقال يعلم الله المعدوم في حال عدمه معدوما ويعلم
أنه كيف يكون إذا أوجده ويعلم الله الموجود في حال
وجوده موجودا ويعلم أنه كيف يكون فناؤه ويعلم
الله القائم في حال قيامه قائما وإذا قعد فقد علمه
قاعدا في حال قعوده من غير أن يتغير علمه أو يحدث له

علم ولكن التغير والاختلاف يحدث عند المخلوق بيان
لانه تع يعلم الاشياء بعلم قديم ازلي لم تزل معلومة له
في الازل لا بعلم متجدد حاصل في ذاته بالحلول و
الانتقال فمهما حدثت المخلوقات لم يحدث له علم بها فحصلت
مكشوفة له بالعلم الازلي اذ لو خلق لنا علم بقدوم زيد عند
طلوع الشمس ودام ذلك العلم تقديرا حتى طلعت الشمس
لكان قدوم زيد عند طلوع الشمس معلوما بذلك العلم
من غير تجدد علم اخر فهكذا ينبغي ان يفهم قدم علم الله تع
كذا في كتاب الاحياء وابو الحسين البصري من المعتزلة التزم و
قوع التغير في علم الله تع بالمتغيرات وزعم ان ذات الله تعالى
تقتضي كونه عالما بالمعلومات بشرط وقوعها فيحدث العلم بها
عند وجودها ويزول عند زوالها ويحصل علم اخر و
رد عليه بانه يلزم منه ان لا يكون الباري تع في الازل عالما
باحوال الموجودات الحادثة وهو تجهيل له تع قال القاضي في تفسير
قوله تع وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من
يتبع الرسول الا فان قيل كيف يكون علمه تع غاية الجعل
وهو لم يزل عالما قلت هذا واشباهه باعتبار التعلق
الحالي الذي هو مناط الجزاء والمعنى ليتعلق علمنا به موجودا وقال
بعض الافاضل تعلق العلم وتعلق القدرة وتعلق الارادة
اضافة محضة لا وجود لها في الاعيان وهي متبدلة متغيرة
وتغيرها لا يستلزم تغير العلم والقدرة والارادة فلا يلزم

من تغير الاضا

من تغير الاضافات كون ذاته تع محلا للحوادث وانما يلزم
ذلك لو كانت الاضافات من الصفات الموجودة الثابتة
في ذاته تعالى ويؤيده ان العلم بالجهلي لا يكون علما بالجزئي
فلا بد للجزئي من علم اخر وعلم الله صفة واحدة لا تعدد
ولا تغير فيها فتعين انه يكون التغير والتعدد في التعلق
لا في نفس العلم وهذا قول مشهور يجاب به في مواضع موهمة
حدوث علم الله تع وقال جمهور الفلاسفة انه تع لا يعلم
الجزئيات واحتجوا عليه بانه تع لو علم ان زيدا جالس الآن
في هذا المكان فاذا قام زيد من هذا المكان فان بقي ذلك العلم
كان جهلا كان اعتقاد انه جالس في هذا المكان مع انه ليس بجالس
في هذا المكان جهل وان لم يبق ذلك العلم كان تغيرا و
التغير على ذاته محال واعلم ان المتكلمين صاروا فريقين
بسبب هذه الشبهة الفريق الاول جمهور المشايخ
من اهل السنة والجماعة ومن المعتزلة قالوا العلم بان
الشيء سيوجد هو نفس العلم بوجوده اذا وجد واحتجوا
على قولهم بانا اذا علمنا ان زيدا سيدخل الدار غدا فاذا
استمر هذا العلم الى الغد والى ان دخل زيد الدار فانا بهذا
العلم نعلم ان زيدا دخل الآن الدار فعلمنا انه العلم بان
الشيء سيوجد نفس العلم بوجوده اذا وجد وانما يحتاج
الواحد منا الى علم اخر لاجل طريان الغفلة عن الاول و
الباري تع لما امتنع طريان الغفلة عليه لاجرم يكون علمه

بان الشيء الفلاني سيوجد نفس علمه بوجود ذلك الشيء
الفلاني اذا كان موجودا ونفس علمه بعدم ذلك الشيء
الفلاني اذا كان معدوما بعد وجوده لان علمه تعالى
واحد ازلي ابدي لا يلحقه سهو ولا نسيانه ولا غفلة
ولا تعدد ولا تغير والتوفيق انه قالوا انما ذكروه من
امتناع التغير انما يجري في الصفات الحقيقية اما الصفات
بالاضافة فلا يمكن منع التغير فيها فانه اذا وجد حادث
فان الله تعالى يكون معه فاذا فني ذلك الحادث بطلت تلك
المعية فهذا يقتضي وقوع التغير في الاضافات المحضة و
النسب المحضة مثل كون الشيء قبل غيره وبعده ومثل كون
الشيء عن يمين الغير او يساره فانك اذا جلست في يمين
انسان ثم قام ذلك الانسان وجلس في الجانب الاخر منك فقد
كنت يمينا له ثم صرت يسارا له فههنا لم يقع التغير في
ذاتك ولا في صفة حقيقية من صفاتك بل في محض الاضافات
اذا عرفت هذا فنقول اما وقوع التغير في الاضافات
فلا خلاص عنه واما وقوع التغير في الصفات الحقيقية
فالكرامية يثبتونه وسائر الطوائف ينكرونه و
اذا ثبت هذا فنقول تعلقات العلم من باب الاضافات
والنسب واذا كان كذلك لم يمتنع وقوع التغير المتعلقات
كذا في كتاب الاربعين وشرح المواقف وشرح المقاصد وقال
بعض العلماء اعلم ان هذا التعدد والتنوع في احوالك

يرجع اليك

يرجع اليك لا الى تصرف الحق فيك فانه سبحانه وتعالى منزه عن
التعدد والتنوع والتغير اذ هو واحد في ذاته وصفاته علمه
واحد هو محيط بجميع المعلومات وقدرته واحدة وهي محيطة
بجميع المقدورات والعلم واحد والمعلومات متعددة والقدرة
واحدة والمقدورات متعددة وتصرفه فيك واحد وتصرفا
تك متعددة وقال القاضي في تفسير قوله تعالى يعلم الاشياء
قبل وقوعها وقال تعالى وما تسقط من ورقة الا يعلمها فيه
مبالغة في احاطة علمه تعالى بالجزئيات وقال الامام فخر الرازي
في تفسير هذه الاية الكريمة اعلم ان هذا الكلام من ادل الدلائل
على كونه تعالى عالما بجميع الجزئيات الزمانية وذلك لانه لما
ثبت انه تعالى خالق لكل ما سواه وجب كونه خالقا لهذه
الجزئيات فوجب كونه تعالى عالما بهذه المتغيرات والزمانيات
من حيث انها متغيرة وزمانية وذلك هو المطلوب و
هذا الكلام الذي ذكره الامام يرد قول الفلاسفة فانهم
قالوا يمتنع علمه بالجزئيات على وجه كونها جزئيات اي من
حيث كونها زمانية يلحقها التغير لان تغير المعلوم يستلزم
تغير العلم وهو محال على الله في ذاته وصفاته واما من حيث
انها غير متعلقة بزمان فتعلقها بعقل بوجه كلي لا يلحقه
التغير فالله تعالى يعلم جميع الحوادث الجزئية وازمنتها الواقعة
هي فيها لا من حيث ان بعضها واقع الان وبعضها في الزمان
الماضي وبعضها في الزمان المستقبل بل علما ثابتا ابدا لم

تغيره بحسب تغير الماضي والحال والمستقبل بل علمه تعالى ثابت
ابد الآبدين وهو غير داخل تحت الازمنة مثلا يعلم ان القمر يتحرك
كل يوم كذا درجة والشمس كذا درجة ويعلم انه يحصل لهما
مقابلة يوم كذا وينخسف القمر في اول الحمل مثلا وهذا العلم
ثابت له حال المقابلة وقبلها وبعدها ليس فيه علم كان و
كائن ويكون بل هي حاضرة عنده في اوقاتها ازلا وابدا
وانما التعلق بالازمنة في علومنا والحاصل ان تعلق العلم
بالشيء الزماني المتغير لا يلزم ان يكون زمانيا بل لا يلزم تغيره
هذا ما ذكره بعض الشراح وفيه نظر لان الفلاسفة يقولون
انه تعالى لا يعلم الحركات المتشكلة فكيف يقولون انه يعلم
ان القمر يتحرك كل يوم كذا درجة والشمس كذا درجة
واجرام الافلاك والشمس والقمر جزئيات متشكلة فمن
لم يعلم اجرام الافلاك والشمس والقمر كيف يعلم حركاتها
ومن علم اصول الفلاسفة يعلم انهم لا يقولون انه يعلم
انه تعالى يعلم جميع الموجودات الجزئية وازمنتها الواقعة هي فيها
قال الامام فخر الرازي ان اللائق باصولهم ان كان متغيرا
او متشكلا يمتنع ان يتعلق به علم الواجب لما يلزم في الاول
من تغير العلم وفي الثاني من الافتقار الى الالة الجسمانية
وذلك كالاجرام الفلكية فانها متشكلة وان لم تكن متغيرة
في ذاتها وكالصور والاعراض فانها متغيرة دون الاجرام
الكائنة الفاسدة فانها متغيرة ومتشكلة واما ما ليس

بمتغير

بمتغير ولا متشكل كالذات الواجب وذوات المجردات فلا
يستحيل بل يجب العلم به على ما تقرره الفلاسفة من انه
عالم بذاته الذي هو مبدأ للعقل الاول بالذات ولا
شك ان كلا منها جزئي وقال اهل السنة والجماعة انه
تعالى يعلم الجزئيات على وجه كونها جزئيات اي من حيث
كونها زمانية واقعة بعضها في الآن وبعضها في الزمان
الماضي وبعضها في الزمان المستقبل ولا يلزم تغير علمه
بتغير المعلوم ولا بتغير الماضي والحال والمستقبل لان
العلم صفة حقيقية ذات اضافة هذا تغير في اضافة
العلم فقط فلا يلزم منه تغيره في صفة موجودة بل في
مفهوم اعتباري وهو جائز وقد اجاب كثير من اهل
السنة والجماعة بان العلم بانه وجد الشيء والعلم
بانه سيوجد واحد وقد مر مثاله فعلى هذا لا تغير
العلم ولا تغير اضافته ايضا والله تعالى يعلم الجزئيات
المتشكلة كاجرام الافلاك فان ادراك المتشكل
انما يحتاج الى الة جسمانية اذا كان العلم حصول الصورة
اما اذا كان صفة حقيقية ذات اضافة بدون حصول
الصورة فلا احتياج الى الة جسمانية وانما اطنبت
الكلام في هذا المقام لانه من الفوائد العظام وقد قال
الامام الغزالي في كتاب المنقذ من الضلال ومجموع ما غلط
الفلاسفة وتبديعهم في سبعة عشر لابطال مذهبهم

فيه يرجع الى عشرين اصلا يجب تكفيرهم في ثلثة منها

في هذه المسائل العشرين صنفنا كتاب التهافت اما
المسائل الثلث هذا خالفوا فيها كافة الاسلام وذلك
في قولهم ان الاجسام لا تحشر وانما المثاب والمعاقب
هي الارواح المجردة والمثوبات والعقوبات روحانية لا
جسمانية ولقد صدقوا في اثبات الروحانية وانها
كانت ايضا ولكن كذبوا في انكار الجسمانية وكفروا
بالشريعة فيما نطقوا به ومن ذلك قولهم ان الله يعلم
الكليات دون الجزئيات وهذا ايضا كفر صريح بل الحق
انه لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض
ومن ذلك قولهم بقدم العالم وازليته على مذهب احد
من المسلمين الى شيء من هذه المسائل واما ما وراء ذلك
من نفيهم الصفات وقولهم انه عالم بالذات لا بعلم
زايد على الذات كما يجي فمذهبهم فيها قريب من
مذهب المعتزلة ولا يجب تكفير المعتزلة بمثل ذلك
وقد ذكرنا في كتاب فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة
ما تبين به فساد راي من يسارع الى التكفير في كل
ما يخالف مذهبه انتهى كلام الامام الغزالي ان الله خلق
الخلق سليما خاليا من الكفر والايمان بمعنى انه لم
يتصف بواحد منهما عند الخلق لان الانسان في مبدا
الفطرة لا يعلم الاقرار والتصديق ولا يعلم الانكار والتكذيب
ولا يعلم الكسب والاختيار ولا يعلم الخير والشر ولا يعلم

النفع

النفع والضر كما قال الله تعالى والله اخرجكم من بطون امهاتكم
لا تعلمون شيئا وجعل لكم الابصار والافئدة لعلكم
تشكرون والمعنى ان النفس الانسانية في اول الخلقة خالية عن
العلوم والمعارف والله تعالى اعطاه هذه الحواس ليستفيد
بها المعارف والعلوم والعلوم البديهية ما كانت حاصلة في
النفوس ثم انها حدثت وحصلت بواسطة اعانة الحواس التي
هي السمع والبصر وغيرهما فاذا ابصر الطفل شيئا مرة بعد
ارتسم في خياله ماهية ذلك المبصر وكذلك اذا سمع شيئا
مرة بعد اخرى ارتسم في خياله ماهية ذلك المبصر والمسموع
وكذا القول في ساير الحواس فيصير حصول الحواس سببا لحصول
ماهيات المحسوسات في النفس والحاصل ان العلوم الكسبية
انما يمكن اكتسابها بواسطة العلوم البديهية وحدوث هذه
العلوم البديهية انما كان عند حدوث تصور موضوعاتها وتصور
محمولاتها وحدوث تصور الموضوعات والمحمولات انما كان بسبب
اعانة هذه الحواس فظهر ان السبب الاول لحدوث هذه المعارف
والعلوم في النفوس والعقول هو انه تعالى اعطى هذه الحواس
اعلم ان ولد الدجاجة كما يخرج من قشر البيضة يميز بين الصديق
والعدو فيهرب عن الهرة ويلتجي الى الام ويميز بين الغذاء
الذي يوافقه والغذاء الذي لا يوافقه واما ولد الانسان
فانه حال انفصاله عن بطن الام لا يميز بين العدو والصديق
ولا بين الضار والنافع فظهر ان الانسان في اول الحدوث

انقص حالا واقل فطنة من سائر الحيوانات ثم ان الانسان بعد
كبره يقوى عقله ويعظم فهمه ويصير بحيث يقوى على مساحة
السموات والارض ويقوى على معرفة ذات الله وصفاته
وعلى معرفة اصناف المخلوقات من الارواح والاجسام
والفلكيات والعنصريات ويقوى على ايراد الاسولة والاجوبة
ويقوى على حل المشكلات في كل المطالب فانتقال الانسان
من تلك الغفلة المفرطة الى هذه الكياسة المفرطة لابد ان يكون
بتدبير المختار حكيم بنقل الارواح من نقصانها الى كمالها
ومن جهالتها الى معارفها بحسب الحكمة والاختيار فان
قلت روي عن ابن عباس رضي في الوسيط ان الله خلق بني ادم
مؤمنا وكافرا ثم يعيدهم يوم القيمة كما خلقهم مؤمنا و
كافرا وقال الزجاج جاء في التفسير ان يحيى بن زكريا خلق
في بطن امه مؤمنا وفرعون خلق في بطن امه كافرا فكيف
التوفيق بينه وبين قول الامام الاعظم رحمه قلت المروي
عن ابن عباس رضي والزجاج رضه محمول على العلم الازلي و
التقدير الالهي يعني خلق في بطن امه مؤمنا في علم الله و
تقديره لانه تعالى في الازل علم بانه يؤمن في الدنيا باختياره ومن
يكفر فيها باختياره ثم خاطبهم عند البلوغ مع العقل له
وامرهم بالايمان والطاعة ونهيهم عن الكفر والعصيان
فكفر من كفر بفعله الاختياري وانكاره الحق و
جحوده والجحود والانكار مع العلم بكونه حقا بخذلان الله

اياه

اياه يعني ذلك الانكار والجحود بسبب خذلان الله من كفر
وفي مختار الصحاح خذله يخذله بالضم خذلانا بكسر الخاء ترك
عونه ونصرته وامن من امن بفعله الاختياري واقراره
باللسان وتصديقه بالجنان بتوفيق الله اياه ونصرته له
فان قلت فما معنى النعمة التوفيقية الواجبة الى الهداية و
الرشد والتابيد والتشديد فاعلم ان التوفيق لا يستغنى
عنه احد وهو عبارة عن التاليف والتلفيق بين ارادة العبد
وبين قضاء الله تع وقدره وهذا يشمل الخير والشر وما
هو سعادة وما هو شقاوة ولكن جرت العادة بتخصيص
اسم التوفيق بما يوافق السعادة من جملة قضاء الله وقدره
كما ان الالحاد عبارة عن الميل فخصص عن يميل الى الباطل
من الحق كذا في كتاب الشكر من كتب احياء علوم الدين

اخرج ذرية ادم من صلبه فجعلهم عقلاء فخاطبهم
وامرهم بالايمان ونهيهم عن الكفر فاقروا له بالربوبية
فكان ذلك منهم ايمانا فهم يولدون على تلك الفطرة
وانما سماهم الفطرة لانهم فطروا عليه والفطرة الخلقة
والسنة والايمان والاسلام والدين عامة المفسرين وجمهور
الصحابة والتابعين على اخراج ذرية ادم من ظهره واخذ
الميثاق عليهم على عصرهم ومنهم من يقول عرض ذلك
على الارواح دون الابدان فان قيل فما وجه الزام الحجة
بقوله تع الست بربكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيمة

انا كنا عن هذا غافلين ونحن لا نذكر هذا الميثاق وان
تفكرنا قلنا انسانا الله تع ذلك ابتلاء لان الدنيا
دار غيب وعلينا الايمان بالغيب ولو تذكرنا ذلك الميثاق
لزال الابتلاء وما ينسي لا يزول به الحجة ولا يثبت به
العذر قال الله تع في اعمالنا احصاه الله ونسوه ولان
الله تع جددها العهد وذكرنا هذا المنسي بارسال الرسل
وانزال الكتب فلم يثبت العذر كذا في تفسير التيسير ومن
كفر بعد ذلك فقد بدل وغير اي بدل وغير ايمانه الفطري
بالكفر الذي اكتسبه باختيار بعد البلوغ قال الله تع
فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم يعني في
يوم القيمة لجميع الكفار اكفرتم بعد ايمانكم وفي معالم التنزيل
فان قيل كيف قال اكفرتم بعد ايمانكم وهم لم يكونوا مؤمنين
قلنا حكي عن ابي بن كعب رضه انه تع اراد به الايمان يوم
الميثاق حين قال لهم الست بربكم قالوا بلي يقول اكفرتم
بعد ايمانكم يوم الميثاق ومن امن بعد بلوغه الي دار التكليف
وصيرورته عاقلا فقد ثبت عليه اي علي ايمانه الفطري
الذي حصل له يوم الميثاق وداوم علي ذلك الايمان فان
قيل هذا يناقض قوله اولا خلق الخلق سليما من الكفر و
الايمان قلنا معناه خلق الخلق سليما من الايمان الذي
يكتسب بعد الولادة من الام فكل مولود سليم من الايمان
الكسبي متصف بالايمان الفطري كما قال رسول الله صلى الله

عليه

عليه وسلم كل مولود يولد علي الفطرة فابواه يهودانه او
ينصرانه او يمجسانه وفي تفسير ابو الليث رحمه كل مولود يولد
علي الفطرة لانه شهد يوم الميثاق واعلم ان قول الامام
الاعظم رحمه اخرج ذرية ادم من صلبه الي اخره دليل علي ان
اطفال المسلمين واطفال الكافرين مؤمنون بالايمان
الفطري وان القول بان اطفال الكافرين في النار متروكا
وكيف لا يكون متروكا وقد جعل الشرع من لم تبلغه الدعوة
معذورا كما قال الامام فخر الاسلام علي البزدوي في اصول الفقه
وكذلك نقول في الذي لم تبلغه الدعوة انه غير مكلف بمجرد
العقل وانه اذا لم يصف ايمانا ولا كفرا ولم تعتقد علي شيء
كان معذورا واذا وصف الكفر وعقده او عقده ولم
يصفه لم يكن معذورا وكان من اهل النار مخلدا قال
الامام النووي اطفال المشركين فيهم ثلثة مذاهب فالاكثرون
هم في النار وتوقف طايفة والثالث وهو الصحيح من اهل
الجنة كذا في شرح البخاري للكرماني في كتاب القدر ولم يجبر
احدا من خلقه علي الكفر ولا علي الايمان يعني ان الله
تع قادر لا يخلق الكفر ولا الايمان في قلب العبد بطريق
الجبر والاكراه بل خلقهما باختيار العبد عن رضائه ومحبته الا
تري ان المحبوب الايمان للمؤمن والكفر مبغوض ومنفور له
والكفر محبوب للكافر والايمان مكروه عنه ومبغوض و
منفور له قال الشيخ الكلاباذي في كتاب التعرف جمع المشايخ

على انهم مختارون لاكتسابهم مريدون له وليسوا مجبورين
ولا مجبورون فيه ومعنى قولنا مختارون ان الله تع خلق لنا
اختيارا فانتفى الاكراه به وليس ذلك على التفويض ومعنى
الاجبار ان يكره الفاعل على اثبات فعل هو له كاره ولغيره
مؤثر فيختار المجبر اثبات ما يكرهه وترك الذي يحبه ولولا
الاكراه له الفعل المتروك وترك المفعول ولم تجد هذه الصفة
في اكتسابهم الايمان والكفر والطاعة والمعصية بل اختار المؤمن
الايمان واحبه واستحسنه واراده وكره الكفر وابغضه واستقبحه
ولم يرده والله تع خلق له الاختيار والاستحسان والارادة
للايمان والبغض والكراهة والاستقباح للكفر قال الله تع
ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم
الكفر والفسوق والعصيان واختار الكافر الكفر واحبه
واستحسنه واراده وكره الايمان وابغضه واستقبحه ولم
يرده والله تع خلق له ذلك وهو قوله وكذلك زينا لكل امة
عملهم الى هنا من كتاب التعرف ولا خلقهم مؤمنا بالايمان
الكسبي الذي يوجد بعد العقل ولا كافرا ولكن خلقهم اشخاصا
والايمان والكفر فعل العباد ويعلم الله من يكفر في حال كفره
كافرا فاذا امن بعد ذلك علمه مؤمنا في حال ايمانه واحبه
من غير ان يتغير علمه وصفته وقد تقدم شرح هذه
المسئلة على التفصيل واجماله ان كل متغير حادث وكل حادث
محتاج الى محدث عالم قادر حي مختار فلو كان علمه متغيرا لكان حادثا

وكان

وكان في احداثه محتاجا الى علم اخر ولزم التسلسل ولزم ان
يكون محلا للحوادث ومحل الحوادث حادث والا يلزم التسلسل
في الحوادث الموجودة في الخارج وهو محال وجميع افعال العباد
من الحركة والسكون كسبهم على الحقيقة والله خالقها
الكسب طلب الرزق واصله الجمع وبابه ضرب وكسب واكتسب
بمعنى كذا في مختار الصحاح والكسب في الاصطلاح تعلق الارادة
من العبد بفعل الحركة باعتبار نسبتها الى القدرة وارادته تسمى
مكسوبا وباعتبار نسبتها الى قدرة الله تع وارادته مخلوقا
وكذا سكونه فحركته وسكونه خلق للرب ووصف للعبد
وكسب له وقدرة العبد وارادته خلق للرب ووصف للعبد
وليس بكسب له والى هذا اشير في شرح المقاصد وقال الامام
الغزالي في كتاب قواعد العقايد من كتب احياء علوم الدين
ان انفراد الله تعالى باختراع حركات العبد لا يخرجها عن كونها
مقدورة للعباد على سبيل الاكتساب بل الله خلق القدرة والمقدور
جميعا وخلق الاختيار والمختار واما القدرة فوصف
للعبد وخلق للرب وليس بكسب له واما الحركة فخلق
للرب ووصف للعبد وكسب له فانها خلقت مقدورة
بقدرة هي وصف العبد فكانت للحركة نسبة الى صفة تسمى
قدرة فتسمى الحركة باعتبار تلك النسبة كسبا وليس
من ضرورة تعلق القدرة بالمقدور ان يكون بالاختراع
فقط اذ قدرة الله تع في الازل كانت متعلقة بالعالم ولم يكن

اختراع العالم حاصلا بها وهي عند الاختراع متعلقة به
نوعا اخر من التعلق وبه يظهر ان تعلق القدرة ليس مخصوصا
بحصول المقدور لها وقال في كتاب التوحيد والتوكل من
كتب الاحياء معنى كون الله فاعلا انه المخترع الموجد ومعنى
ومعنى كون العبد فاعلا انه المحل الذي خلقت فيه القدرة
بعد ان خلق الله فيه الارادة وبعد ان خلق فيه العلم
وارتبطت القدرة بالارادة والحركة بالقدرة ارتباط المشروط
بالشرط وارتبط الحركة بقدرته فانه محل القدرة يسمى فاعلا
لم كيف ما كان الارتباط وقال امام الحرمين في كتاب الارشاد
اتفق ائمة السلف قبل ظهور البدع والاهواء على ان
الخالق هو الله تعالى ولا خالق سواه وان الحوادث كلها
حدثت بقدرة الله من غير فرق بين ما يتعلق قدرة العباد به وبين
ما لا يتعلق فان تعلق الصفة بشيء لا يستلزم تاثيرها
فيه كتعلق العلم بالمعلوم والارادة بفعل الغير فالقدرة
الحادثة ولا تؤثر في مقدورها اصلا ثم اورد امام الحرمين في
كتاب الارشاد ادلة الاصحاب واجاب عن شبه المعتزلة وبالغ
في الرد عليهم وعلى الجبرية واثبت للعبد كسبا وقدرة مقارنة
للفعل غير مؤثرة فيه وقول الامام الاعظم فجميع افعال العباد
من الحركة والسكون كسبهم على الحقيقة رد قول الجبرية و
قوله والله تعالى خالقها رد قول المعتزلة ويشتمل الحركة والسكون
حركة الابدان وسكونها وحركة الاعضاء وسكونها وحركة القلوب

وسكونها

40

وسكونها وفي المصابيح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قلوب
بني ادم كلها بين اصبعين من اصابع الرحمن كقلب واحد
يصرفه كيف يشاء ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اللهم يا مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك واما
المعتزلة فقد احتجوا على صحة قولهم بقوله تعالى ان الله لا
يظلم الناس شيئا ولكن الناس انفسهم يظلمون اجاب الواحدي
عنه فقال انه تعالى انما نفى الظلم عن نفسه لانه متصرف في ملك
نفسه ومن كان كذلك لم يكن ظالما وانما قال لكن الناس
انفسهم يظلمون لان الفعل منسوب اليهم بسبب الكسب وقال
الامام الرازي في تفسير سورة يونس في قوله تعالى هل تجزون
الا ما كنتم تكسبون يدل على كون العبد مكتسبا خلافا للجبرية
وعندنا ان كونه مكتسبا معناه ان مجموع القدرة مع الدا
عية الخالصة يوجب الفعل والمسئلة طويلة معروفة بدلائلها
وقال في تفسير سورة يوسف في قوله والا تصرف عني كيدهن
اصب اليهن احتج اصحابنا بهذه الاية على ان الانسان
لا ينصرف عن المعصية الا اذا صرفها الله عنها قالوا لان هذه
الاية تدل على انه تعالى ان لم تصرفه عن ذلك القبيح وقع فيه
وقال الامام الرازي في تفسير يوسف اعلم ان من تامل في
احوال الدنيا وعجائب احوالها عرف وتيقن ان الامر كله
لله وان قضاء الله غالب وقال الامام في تفسير سورة
يوسف تمسك اصحابنا في ان الطاعة والايمان لا يحصل

الا من الله تعالى بقوله حكاية وما ابرئ نفسي ان النفس
لامارة بالسوء الا ما رحم الله قالوا دلت الاية على ان
انصراف النفس من الشر لا يكون الا برحمة ولفظ الاية
مشعر بانه متى حصلت تلك الرحمة حصل ذلك الانصراف
فنقول لا يمكن تفسير هذه الرحمة باعطاء العقل والقدرة و
الالطاف كما قال المعتزلة لان ذلك مشترك بين الكافر
والمؤمن فوجب تفسيرها بشيء اخر وهو ترجيح داعية
الطاعة على داعية المعصية وقد بينا ذلك ايضا بالبرهان
القاطع وحينئذ يحصل منه المطلوب وهي اي افعال
العباد من الايمان والكفر والطاعة والمعصية كلها
بمشيئة اي بمشيئة الله تعالى وعلمه وقضائه وقدره
كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شيء بقدر
حتى العجز والكيس اعلم ان مذهب المعتزلة ان الله تعالى
يريد الايمان والطاعة من العبد والعبد يريد الكفر
والمعصية لنفسه فيقع مراد العبد ولا يقع مراد الله
تعالى فيكون ارادة العبد غالبة وارادة الله مغلوبة واما
عندنا فكل ما اراده الله فهو واقع فهو تعالى يريد الكفر
من الكافر ويريد الايمان من المؤمن وعلى هذا فارادة الله
تعالى غالبة وارادة العبد مغلوبة اذا عرفت هذا فنقول
اذا قال العبد لافعلن كذا غدا الا ان يشاء الله فقوله الا
ان يشاء الله انما ينفع عن الكذب اذا كانت ارادة الله غالبة

على ارادة

على ارادة العبد اذا ثبت هذا فنقول اجمعت الامة على انه
اذا قال العبد والله لافعلن كذا ان شاء الله دافعا للحنث
فلا يكون دافعا للحنث الا اذا كانت ارادة الله غالبة فلما
حصل دفع الحنث بالاجماع وجب القطع بكون ارادة الله تعالى
غالبة فلما حصل دفع الحنث بالاجماع وجب القطع بكون
ارادة الله غالبة وانه لا يحصل في الوجود الا ما اراده الله تعالى
واصحابنا اكدوا هذا الكلام في صورة معينة وهي ان الرجل
اذا كان له على انسان دين وكان ذلك المديون قادرا على اداء
الدين وقال والله لاقضين هذا الدين غدا ان شاء الله فاذا جاء
الغد ولم يقض هذا الدين لم يحنث وعلى قول المعتزلة انه تعالى يريد
منه قضاء الدين وعلى هذا التقدير فقوله ان شاء الله تعليق
لذلك الحكم على شرط واقع فوجب ان يحنث ولما اجمعوا على انه لا
يحنث علمنا انه انما لم يحنث لان الله تعالى ما شاء ذلك الفعل مع ان
ذلك الفعل قد امر الله به ورغب فيه وزجر عن الاخلال به فثبت انه تعالى
قد ينهى عن الشيء ويريده وقد يامر بالشيء ولا يريده وهو
المطلوب كذا قال الامام الرازي في التفسير الكبير في سورة الكهف
وقال الامام الرازي قالت المعتزلة قوله تعالى فمن شاء فليؤمن
ومن شاء فليكفر صريح في ان الايمان والكفر والطاعة والمعصية
مفوض الى العبد واختياره فمن انكر ذلك فقد خالف صريح
القران ولقد سالني بعضهم عن هذه الاية فقلت هذه الاية
من اقوى الدلائل على صحة قولنا وذلك لان الاية صريحة

في ان حصول الايمان والكفر موقوف على حصول مشية
الايمان وحصول مشية الكفر وصريح العقل ايضا يدل
عليه فان العقل الاختياري يمتنع حصوله بدون القصد
اليه وبدون الاختيار له اذا عرفت هذا فنقول حصول ذلك
القصد والاختيار ان كان بقصد اخر يتقدمه واختيار
اخر يتقدمه لزم ان يكون كل قصد واختيار مسبوقا بقصد
اخر وباختيار اخر الى غير النهاية وهو محال فوجب انتهاء
تلك القصود وتلك الاختيارات الى قصد واختيار يخلقه
الله في العبد على سبيل الضرورة وعند حصول ذلك القصد
الضروري يجب الفعل شاء الانسان اولم يشاء فاذا
لم يحصل في قلبه تلك المشية الجازمة الخالية عن المعارض لم يترتب
الفعل عليه واذا حصل تلك المشية الجازمة يجب الفعل شاء
او لم يشاء فان الانسان مضطر في صورة مختار وقال الامام
الرازي لفظ ان كان كذا يفيد الشك فقول موسى الخضر عليهما
السلام ستجدني ان شاء الله صابرا معناه ستجدني
صابرا ان شاء الله كوني صابرا وهذا يقتضي وقوع الشك
في ان الله تعالى هل يريد كونه صابرا ام لا ولاشك ان الصبر
في مقام التوقف واجب فهذا يقتضي ان الله تعالى قد لا يريد من
العبد ما اوجبه عليه وهذا يدل على صحة قولنا ان الله قد يامر
بالشيء مع انه لا يريده قالت المعتزلة هذه الكلمة انما نذكر
رعاية للادب فيما يريد الانسان ان يفعله في المستقبل فيقال لهم

هذا الادب

هذا الادب ان صح معناه فقد ثبت المطلوب وان فسد فاي
ادب في ذكر هذا الكلام الباطل الى هنا من التفسير الكبير في سورة
الكهف وقالت المعتزلة ان الله لا يريد الاشراك لانه ذم
المشركين بقولهم لو شاء الله ما اشركنا ولا اشرك اباؤنا بمشية الله تعالى كما
قال الله تعالى سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه
من شيء نحن ولا اباؤنا اعلم ان هذا هو الشبهة الثالثة
لمنكري النبوة وتقريرها انهم تمسكوا بصحة القول بان افعال
العباد كلها بمشية الله تعالى وقضائه على الطعن في النبوة فقالوا
لو شاء الله الايمان لحصل الايمان سواء جاء نبي اولم يجيء و
لو شاء الكفر لحصل الكفر سواء جاء نبي اولم يجيء فنقول الجواب
عن هذه الشبهة هي انهم قالوا لما كان الكل بمشية الله تعالى
كان بعثة الانبياء عبثا فنقول هذا الاعتراض على الله وجار
مجرى طلب العلة في افعاله وذلك باطل لان الله تعالى يحكم في ملكه
ما يشاء ويفعل ما يريد ولا يجوز ان يقال له لم فعلت هذا ولم تفعل
ذلك والدليل على ان الانكار والذم انما توجه الى هذا المعنى
لا الى قولهم لو شاء الله ما اشركنا ولا اشرك اباؤنا بمشية الله تعالى مع صريح
في اخر هذه الاية بهذا المعنى فقال ولقد بعثنا في كل امة
رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فبين ان سنته
في عبيده ارسال الرسل اليهم وامرهم بعبادة الله ونهيهم
عن عبادة الطاغوت ثم قال تعالى فمنهم من هدى الله و
منهم من حقت عليه الضلالة والمعنى انه تعالى وان امر الكل

بالايمان ونهي الكل عن الكفر الا انه تع هدي البعض فهذه
سنة قديمة الله تع مع عباده ولما كانت سنة الله في هذا
المعنى سنة قديمة في حق كل الانبياء وكل الامم وكان
ايراد هذا السؤال من هؤلاء الكفار موجبا للجهل والضلال
والبعد عن الله تع وانما يحسن من الله ذلك السنة القديمة
لكونه الها منزها عن اعراض المعترضين ومطالبات
المنازعين فثبت ان الله تع انما حكم على هؤلاء الكفار
باستحقاق الخزي واللعن لا لانهم كذبوا في قولهم لو شاء
الله ما عبدنا من دونه من شيء بل لانهم اعتقدوا ان كون
الاشياء كلها بمشية الله تع يمنع جواز بعث الانبياء والرسل
فلاجرم استحقوا على هذا الاعتقاد مزيد الذم واللعن فهذا
هو الجواب الصحيح الذي يقوله اهل السنة في هذا الباب الي هنا من
التفسير الكبير في سورة النحل والطاعات كلها لما كانت واجبة
بامر الله تع وبمحبته وبرضائه وعلمه ومشيته وقضائه
وتقديره والمعاصي كلها بعلمه وقضائه وتقديره ومشيته
لا بمحبته ولا برضائه ولا بامره لان الله تع قال لا يحب
الفساد فلا يتعلق محبته بالفساد من الكفر والمعاصي وقال تع
ولا يرضى لعباده الكفر فلا يتعلق رضاؤه بالكفر لكونه
قبيحا فلا يتعلق بسائر القبايح ايضا وقال الله تع قل
ان الله لا يامر بالفحشاء اي بالقبيح من الكفر والمعاصي
وهذا يدل على ان امر الله لا يلزم ان يوافق ارادته بل قد

بامر النبي

بامر النبي ولا يريده كايمان ابي جهل وينهى عن الشيء ويريده
ككفر ابي جهل والمعتزلة يقولون ان امر الله وارادته متطابقان
فكل مامور به مراد الله وكل منهي عنه ليس بمراد الله وقلنا
ان الامر والارادة قد تختلفان لان قوله تع فمنهم من
هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة صريح في قولنا
وهو الامر بالايمان عام في حق الكل اما ارادة الايمان فخاصة
بالبعض دون البعض وقال الله تع والله يدعو الى دار
السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم وقال الامام الرازي
احتج اصحابنا بهذه الاية على ان الكفر والايمان بقضاء الله
ومشيته قالوا انه تع بين في هذه الاية انه دعى جميع الخلق
الى دار السلام ثم بين في هذه الاية انه دعى جميع الخلق ولكن
ما هدى الا بعضهم فهذه الهداية الخاصة يجب ان يكون
مغايرة لتلك الدعوة العامة ولا شك ايضا ان الاقدار و
التمكين وارسال الرسل وانزال الكتب امور عجيبة عامة للكل
فوجب ان يكون هذه الاية اي هذه الهداية الخاصة مغايرة
لكل هذه الاشياء وما ذا الا ما ذكرناه من انه تع خص البعض
بالعلم والمعرفة والايمان دون البعض وقال الامام في سورة
يوسف عليه السلام اعلم ان الانسان مامور بان يراعي الاسباب
في هذا العالم ومامور ايضا بان يجزم بانه لا يصل اليه الا ما
قدره الله تع وان الحذر لا ينجي من القدر فالانسان مامور
بان يحترز عن الاشياء المهلكة والاغذية المضرة وبان يسعى

في تحصيل المنافع ودفع المضار بقدر الامكان ثم انه مع
ذلك ينبغي ان يكون جازما بانه لا يصل اليه الا ما قدره الله
ولا يحصل في الوجود الا ما اراده الله فقول يعقوب
عليه السلام لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب
متفرقة اشارة الى رعاية الاسباب المعتبرة في هذا العالم
وقوله وما اغني عنكم من الله من شيء اشارة الى عدم الالتفات
الى الاسباب بل الى التوحيد المحض وقال الشيخ الامام حجة الاسلام
ابو حامد محمد بن محمد الغزالي في كتاب التوبة من احيا العلوم
ارتباط درجات الاخرة ودركاتها بالحسنات والسيئات
بحكم تقدير مسبب الاسباب كارتباط المرض والصحة بتناول
الاغذية المضرة والادوية النافعة وكارتباط حصول
فقه النفس بترك الكسل والمواظبة على تفقيه النفس
وكما لا يصلح لمنصب الرياسة والقضاء الا نفس صارت
فقيهة بطول التفقه فلا يصلح لملك الاخرة ونعيمها
والقرب من رب العالمين الا قلب سليم صار طاهرا بطول
التزكية والتطهير هكذا سبق في الازل تقدير رب الارباب
ولذا قال تعالى ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقويها
قد افلح من زكيها وقد خاب من دسيها وقال الغزالي
في كتاب الشكر من كتب احيا علوم الدين فان قلت
فلم قال الله تعالى اعملوا والا فانتم معاقبون ومذمومون
على العصيان وما الينا شيء فكيف تتم ولا الكل الى الله

فاعلم

فاعلم ان هذا القول من الله تعالى سبب لحصول اعتقاد
فينا والاعتقاد سبب لهيجان الخوف وهيجان الخوف
سبب لترك الشهوات والتجافي عن دار الغرور وذلك
سبب للوصول الى جوار الله تعالى والله مسبب الاسباب
وهو مرتبها فمن سبق له في الازل السعادة يسر له هذه
الاسباب حتى يقوده بسلسلتها الى الجنة ومن سبق له
من الله الحسنى بعد عن سماع كلام الله وكلام رسول
الله وكلام العلما واذا لم يسمع لم يعلم واذا لم يعلم
لم يخف واذا لم يخف لم يترك الركون الى الدنيا واذا
لم يترك بقي في حزب الشيطان وان جهنم لموعدهم
اجمعين والانبياء عليهم السلام كلهم منزهون عن
الصغائر والكبائر والكفر والقبائح وقد كانت منهم
زلات وخطايا الخطيئة ذنب ونكبة ينكب بها العبد
وهي سبب الوصلة للانبياء والاولياء وسبب التوبة الى
الله تعالى قال الله عز وجل وظن داود انما فتناه ثم قال
وان له عندنا لزلفى وحسن مآب فاخبر تعالى ان زلة داود
عليه السلام كانت سبب قربه قال ابو سليمان الداراني رحمه الله
ما عمل داود عملا انفع له من الخطيئة ما زال يهرب منها
الى ربه حتى وصل اليه فالخطيئة للعبد سبب الفرار الى الله من
نفسه ودنياه وسبب الاستعاذة به والالتجاء اليه فلذلك
جاز اثبات الخطيئة والمتاب على الانبياء على ان زلات الانبيا

على جهة الغفلة والنسيان والتأويل وليس على القصد والعمد
وشهوة النفوس قال تعالى فنسي ولم نجد له عزما كذا في
كتاب معاني الاخبار للشيخ الكلاباذي وقال الامام عمر
النسفي في تفسيره ائمة سمرقند لا يطلقون اسم الزلة على افعال
الانبياء لانها نوع ذنب ويقولون فعلوا الفاضل و
تركوا الافضل فعوتبوا عليه وائمة بخاري اطلقوا هذه
اللفظة لقضية قوله تعالى فازلهما الشيطان عنها وفرقوها
بانها فعل يقع مخالفا للامر من غير قصد الى الخلاف من
الانبياء قبل الفعل ولا علم لهم بانه خلاف حالة الفعل
والاصرار منهم عليه بعد الفعل كزلة الماشي في الطين لا يقع
عن قصد منه اليها ولا ثبوت منه عليها وقال صدر الشريعة في
تنقيح الاصول وهي اي الزلة فعل من الصغائر يفعله من غير
قصد وقال سعد الدين في التلويح قوله وهي فعل من الصغائر
رد لما ذكره بعض المشايخ من ان زلة الانبياء هي الزلل من
الافضل الى الفاضل ومن الاصوب الى الصواب لا من الحق
الى الباطل ومن الطاعة الى المعصية لكن يعاتبون لجلالة
قدرهم ولان ترك الافضل منهم بمنزلة ترك الواجب من الغير
وقال فخر الاسلام في اصول الفقه الزلة اسم لفعل غير مقصود في
عينه لكنه اتصل الفاعل به عن فعل مباح قصده فزل شغله
عنه الى ما هو حرام لم يقصده اصلا بخلاف المعصية فانها
اسم لفعل حرام مقصود بعينه قوله فزل شغله عنه اي عن المباح

وقال

وقال صاحب الكشف فان قيل لما لم يكن الفعل الحرام مقصودا
في الزلة فيم العتاب قلنا لان الزلة لا تخلو عن نوع
تقصير يمكن للمكلف الاحتراز عنه وعصى آدم ربه اطلق
المعصية على الزلة مجازا وقال القاضي الامام ابو زيد في اصول
الفقه افعال النبي عليه السلام عن قصد على اربعة اقسام
واجب ومستحب ومباح وزلة فاما ما يقع من غير
قصد كما يكون في النائم والمخطئ ونحوها فلا عبرة بها
لانها غير داخلة تحت الخطاب على ما ذكرتم الزلة لا تخلو
عن القرائن ببيان انها زلة اما من الفاعل نفسه كقول
موسى عليه السلام حين قتل القبطي هذا من عمل الشيطان
او من الله تعالى كما قال تعالى في آدم عليه السلام وعصى آدم
ربه فغوى ويعني بالقصد في الزلة قصد الفعل لا
قصد العصيان الى هنا عبارته هذا يوافق تفسير الزلة
في كتاب الكشف الزلة يعني ان آدم قصد الاكل من الشجرة
ولم يقصد العصيان والمخالفة بالجملة لانه اكل ناسيا
للنهي ولم يعلم في حالة الاكل انه مخالف قال تعالى في
حقه فنسي ولم نجد له عزما ولكنه عوتب بترك التحفظ
عن اسباب النسيان لا بنفس اكله ناسيا للنهي بطول عهده حتى
عن ابليس فقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة وقاسمهما
اني لكما لمن الناصحين لانا نقول ليس في الآية
ما يدل على انه تناول حين قال ابليس ملعون قوله اورث

عند التثبت واستحقاق العتاب
بناء عليه وقال ع

ادم مثلا طبيعيا ثم انه كف نفسه عن الاكل مراعاة لحكم
الله الى ان نسي ذلك الحكم وزال المانع فحمله الطبع على الاكل
وقيل ان ادم قصد الاكل فالاكل المقصود لكن لم يقصد العصيان
والمخالفة لانه اقدم على الاكل بسبب اجتهاد اخطا فيه فانه
ظن ان النهي للتنزيه او ظن ان الاشارة الى عينه الى النوع
فمثال الزلة اكل ادم من الشجرة ومثال الخطايا قتل
موسى رجلا من قوم فرعون فانه لم يقصد قتله اصلا بل قصد
ضربه بيده ليدفع عن الاسرائيلي فوقع الضرب قتلا والقتل
خطاء والقتل زلة ايضا لان كل خطاء زلة وليس كل زلة
خطاء بينهما عموم وخصوص مطلقا لان الزلة قد يكون بالخطا
وقد يكون بالنسيان وقد تكون بالسهو وقد يكون بترك الاولى
والافضل وفي التوضيح الخطاء هو ان يفعل فعلا من غير ان
يقصد قصدا تاما كما اذا رمي الى صيد فاصاب انسانا فانه
قصد الرمي لكن لم يقصد به الانسان فوجد قصد غير تام وفي التلويح
وذلك ان تمام قصد الفعل بقصد محله وفي الخطاء يوجد قصد
الفعل دون قصد المحل وهذا مراد من قال ان الخطاء فعل يصدر
بلا قصد اليه عند مباشرة امر مقصود وقال السيد الامام ابو القاسم
الخطاء يذكر ويراد به ضد الصواب ومنه يسمى الذنب خطيئة
ومنه قوله تعالى ان قتلهم كان خطئا كبيرا ويذكر ويراد به ضد العمد
كما في قوله تعالى ومن قتل مؤمنا خطاء وقوله عليه الصلوة والسلام
رفع عن امتي الخطا والنسيان كذا في كتب الكشف وكتابي الامام

الاعظم عصمة الانبياء على وجه تمام اورد بالذكر عصمة نبينا
عليه الصلوة والسلام تعظيما لشانه فقال ومحمد صلى الله عليه وسلم
حبيبه اشتقاقه من المحبة فعيل يجيء بمعنى اسم الفاعل والمفعول
كالشهيد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن الاخرون ونحن
السابقون يوم القيمة واني قائل قوله غير فخر ابراهيم خليل الله
وموسى كليم الله صلوات الله وعلى نبينا وانا حبيب الله وبيدي
لواء الحمد يوم القيمة كذا في المصابيح والحبيب ههنا بمعنى المحبوب
وقيل المحبة الخروج عن البدن والروح لان الحب مركب من
حرفي الحاء والباء فالباء فيه اشارة الى الخروج عن البدن و
الحاء فيه اشارة الى الخروج عن الروح فما لم يتحقق الخروج عنهما
لم يتحقق المحبة وعلامة حب الله للعبد حب العبد له كذا
في كتب الحقائق وعبده لانه اقام العبودية وهي الوفاء و
العهود وحفظ الحدود والرضاء بالموجود والصبر على المفقود
والتبري من الحول والقوة قال ابو علي الدقاق ليس شيء اشرف
للعبد من العبودية ولذلك وصف الله نبيه في القرآن اوفى
في الدنيا وهو ليلة المعراج فقال تعالى سبحان الذي اسرى
بعبده ليلا وقال ابو القاسم سليمان الانصاري لما وصل
محمد عليه الصلوة والسلام الى الدرجات العالية والمراتب
الرفيعة في المعراج اوحى الله تعالى اليه فقال يا محمد عليه الصلوة
والسلام بم اشرفك قال يا رب بنسبتي الى نفسك بالعبودية
فانزل فيه قوله سبحان الذي اسرى بعبده ليلا قال عليه الصلوة

والسلام لا تطروني كما اطري عيسى بن مريم وقولوا عبد الله
ورسوله كذا في المشارق اي لا تجاوزوا عن الحد في مدحي كما
بالغ النصارى في مدح عيسى عليه السلام حتى كفروا فقالوا
ابن الله وقولوا في حقي انه عبد الله ورسوله حتى لا تكونوا امثا
لهم واشار الامام الاعظم بقوله وعبده الى هذين المعنا
يين اي التشريف وحفظ الامة عن قول النصارى و
رسوله ونبيه لقوله تعالى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا ايها النبي اتق الله بل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم
جميعا وصفيه اي مصطفاه ومختاره قال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله اصطفى كنانة من ولد اسمعيل
عليه السلام واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش
بني هاشم كذا في المصابيح وانما قال الامام الاعظم رسوله
ونبيه ولم رسوله لان الارسال مقدم على الانباء عن الله
وعن احكامه لانه تعالى ارسله الى الخلق فانباهم عن الله وعن
احكامه ولذلك قدم ورسوله مع انه اخص واعلى قال
القاضي في تفسير سورة الحج الرسول من بعثه الله بشريعة مجددة
يدعوا الناس اليها والنبي يعمه ومن بعثه لتقرير شرع سابق
كانبياء بني اسرائيل الذين كانوا بين موسى وعيسى عليهما
السلام ولذلك شبه النبي عليه الصلوة والسلام علماء
امته بهم والنبي اعم من الرسول ويدل عليه ان النبي صلى الله
عليه وسلم سئل عن الانبياء فقال مائة الف واربعة وعشرون

الفا قيل فكم الرسل منهم قال ثلثمائة وثلاثة عشر جما غفيرا
وقيل الرسول من جمع الى المعجزة كتابا منزلا عليه والنبي غير
الرسول من لا كتاب له وقيل الرسول من يأتيه الملك بالوحي
والنبي يقال له ولمن يوحى اليه في المنام وقال في سورة مريم
في قوله تعالى واذكر في الكتاب اسمعيل الى قوله وكان رسولا
نبيا يدل على ان الرسول لا يكون صاحب شريعة لان اولاد
ابرهيم عليه السلام كانوا على شريعته وقال ابن عباس وقتادة
رضي الله عنهما اولوا العزم من الرسل نوح وابرهيم وموسى وعيسى
اصحاب الشريعة وهم مع محمد صلى الله عليه وسلم ولاء
الرسل الكرام خمسة ومنقاه لان الله نقى وطهر قلبه في
زمان صباوة عن المادة المانعة من الترقي قال انس رضي
ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اتاه جبريل عليه السلام
وهو يلعب مع الغلمان فاخذه فصرعه فشق عن قلبه
فاستخرج منه علقة وقال هذا حظ الشيطان منك ثم
غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم لامه واعاده
في مكانه وجاء الغلمان يسعون الى امه يعني ظئره فقالوا
ان محمدا قد قتل فاستقبلوه وهو منتقع اللون وقال
انس كنت ارى اثر المخيط في صدره ولم يعبد الصنم ولم
يشرك بالله طرفة عين قط يعني قبل النبوة وبعدها
لان الانبياء معصومون عن الجهل بالله تعالى بفيض
معرفة الله عليهم صبيانا قال الله تعالى في حق يحيى عليه السلام

واتيناه الحكم صبيا وقال في حق عيسى عليه السلام قال اني عبد الله
اتاني الكتاب وجعلني نبيا قال عيسى عليه السلام هذا
القول صبيا وقال تع كذلك نري ابرهيم ملكوت السموات
والارض وليكون من الموقنين ومحمد صلى الله عليه وسلم
افضل منهم فهو اعلم بالله منهم ولم يرتكب صغيرة ولا
كبيرة قط لا عمدا قبل النبوة وبعدها وفي شرح المواقف انه
عليه الصلوة والسلام لم يكذب قط لا في مهمات الدين
ولا في مهمات الدنيا ولو كذب مرة لاجتهد اعداوه في
تشهيره ولم يقدم على فعل قبيح لا قبل النبوة ولا بعدها
وكان في غاية الفصاحة كما قال اوتيت جوامع الكلم وقد
تحمل في تبليغ الرسالة انواع المشقات وصبر عليها بلا
فتور في عزيمته ولما استولى على الاعداء وبلغ الرتبة الرفيعة
في نفاذ امره في الاموال والانفس لم يتغير عما كان عليه
بل كان من اول عمره الى اخره على طريقة واحدة مرضية وانه
كان عليه بل كان من اول عمره الى اخره على طريقة واحدة
مرضية وانه كان عليه الصلوة والسلام في غاية الشفقة على
امته حتى خوطب بقوله تع فلا تذهب نفسك عليهم حسرات
وبقوله تع فلعلك باخع نفسك على اثارهم وكان في غاية
السخاوة حتى خوطب بقوله تع ولا تبسطها كل البسط وكان
عديم الالتفات الى زخارف الدنيا حتى انه قد عرضوا
عليه المال والزوجة والرياسة ليترك دعوته فلم يلتفت اليهم

وكان

وكان مع الفقراء والمساكين في غاية التواضع ومع
الاغنياء وارباب الثروة في غاية الترفع وكان جامعا للاحكام
الحكمية التي فصلت في الكتب الفقهية مع انه امي وانه عليه الصلوة
والسلام لم يفر قط من اعدائه وان عظم الخوف مثل يوم احد و
يوم الاحزاب وذلك يدل على قوة قلبه وشهامة جنانه ولولا
ثقته بعصمة الله اياه من الناس كما وعدها بقوله تع والله
يعصمك من الناس لامتنع ذلك عادة وكل واحد من احوال
الشريفة واخلاقه الجميلة وان كان لا يدل على نبوته لان
امتياز شخص بنوع فضيلة عن سائر الاشخاص لا يدل
على كونه نبيا لكن مجموعها مما لا يحصل الا للانبياء قطعا
فاجتماع هذه الصفات في ذاته عليه الصلوة والسلام من اعظم
الدلائل على نبوته وانه عليه الصلوة والسلام ادعى بين قوم لا
كتاب لهم ولا حكمة فيهم بل كانوا معرضين عن الحق معتكفين
اما على عبادة الاوثان كمشركي العرب واما على دين التشبيه
وصنعة التزوير وترويج الاديان المفتريات كاليهود واما
على عبادة الالهين ونكاح المحارم كالمجوس واما على القول
بالاب والابن والتثليث كالنصارى اي بعثت من عند
الله بالكتاب المنير والحكمة الباهرة لا تمم مكارم الاخلاق و
اكمل الناس في قوتهم العلمية بالعقائد الحقة والعملية بالاعمال
الصالحة وانور العالم بالايمان والعمل الصالح ففعل ذلك
واظهر دينه على الدين كله كما وعده الله تع فاضمحلت تلك

الاديان الزائفة وزالت الظلمات الغاسقة واشرقت شموس
التوحيد واقمار التنزيه في اقطار الافاق ولا معنى للنبوة
الا ذلك فان النبي صلى الله تع عليه وسلم هو الذي يكمل
النفوس البشرية ويعالج الامراض القلبية التي هي غالبة
على اكثر النفوس فلا بد لهم من طبيب يعالجهم ولما
كان تاثير دعوة محمد عليه الصلوة والسلام في علاج
القلوب المريضة وازالة ظلماتها اكمل واتم وجب القطع
بكونه نبيا هو افضل الانبياء والرسل قال الامام الرازي
في كتاب المطالب العالية وهذا برهان ظاهر من البرهان
اللمي فانا بحثنا عن حقيقة النبوة وبينا ان تلك الما
هية لم تحصل كما حصلت له عليه الصلوة والسلام فيكون
افضل ممن عداه واما اثبات النبوة بالمعجزة فهي من باب
البرهان الاني انتهى كلامه وهو الدليل الذي لا يكون الاستدلال
فيه من المعلول على العلة كقولنا محمد عليه الصلوة والسلام
اظهر المعجزة وكل من اظهر المعجزة فهو نبي فمحمد صلى الله عليه و
سلم نبي وكقولنا هذا محموم وكل محموم متعفن الاخلاط
فهذا متعفن الاخلاط والحمى معلوله وتعفن الاخلاط
علة للحمى فالحمى وان كانت علة لثبوت تعفن الاخلاط
في الذهن الا انها ليست علة للتعفن في الخارج بل الا
بالعكس والبرهان اللمي هو الذي يكون الاستدلال
فيه من العلة على المعلول كقولنا هذا متعفن الاخلاط

وكل

وكل متعفن الاخلاط محموم فهذا محموم فتعفن الاخلاط
كما انه علة لثبوت الحمى في الذهن كذلك علة لثبوت الحمى
في الخارج وكقولنا محمد نبي صلى الله تع عليه وسلم لانه جا
بالاعتقاد الحق والعمل الصالح ونقل الناس من الكفر الى
الايمان ودعاهم الى التوحيد والعدل وكان جامعا لانواع
العلوم بالوحي وكل من كان شانه هذا فهو نبي فمحمد
نبي عليه الصلوة والسلام واقسام البرهان اللمي مذ
كورة في المنطق وقال الامام الرازي في التفسير الكبير في
سورة يونس اعلم ان الطريق الى اثبات نبوة الانبياء
امران الاول ان يقول ان هذا الشخص قد ادعى النبوة
وظهرت المعجزة على يده وكل من كان كذلك فهو رسوله
عليه الصلوة والسلام من عند الله حقا وصدقا و
هذا الطريق قد ذكره الله في هذه السورة وقرره على احسن
الوجوه في قوله قل فاتوا بسورة مثله واما الطريق الثاني
فهو ان نعلم بعقولنا ان الاعتقاد الحق والعمل الصالح
ما هو فكل من جاء ودعى الخلق اليه وحملهم عليه وكانت
لنفسه قوة قوية في نقل الناس من الكفر الى الايمان ومن
الاعتقاد الباطل الى الاعتقاد الحق ومن الاعمال الداعية
الى الدنيا الى الاعمال الداعية الى الاخرة فهو رسول عليه
الصلوة والسلام الامام الحق الصادق المصدق وتقريره
ان نفوس الخلق استولى عليها انواع النقص والجهل وحب

الدنيا ونحن نعلم بعقولنا ان سعادة الانسان لا تحصل
الا بالاعتقاد والعمل الصالح وحاصله يرجع الى حرف واحد
وهو ان كل ما يقوي نزعتك عن الدنيا ويقوي رغبتك
في الاخرة فهو العمل الصالح وكل ما كان بالضد من ذلك
فهو العمل الباطل والمعصية واذا كان الامر كذلك كانوا
محتاجين الى انسان كامل قوي النفس مشرق الروح علوي
الطبع يكون بحيث يقوى على نقل هؤلاء الناقصين
من مقام النقصان الى مقام الكمال وذلك هو النبي عليه
الصلوة والسلام فالحاصل ان الناس اقسام ثلثة النا
قصون والكاملون الذين لا يقدرون على تكميل النا
قصين والقسم الثالث هذا الكامل الذي يقدر على
تكميل الناقصين فالقسم الاول هم عامة الخلق والقسم
الثاني هم الاولياء القسم الثالث هم الانبياء صلوات الله
وعلى نبينا اجمعين ولما كانت القدرة على نقل الناقصين
من درجة النقصان الى درجة الكمال مراتبها مختلفة و
درجاتها متفاوتة لا جرم كانت درجات الانبياء
في قوة النبوة مختلفة ولهذا السر قال النبي صلى الله
عليه وسلم علماء امتي كانبياء بني اسرائيل اذا عرفت
هذه المقدمة فنقول انه تع لما ادعى صحة نبوة محمد
صلى الله عليه وسلم بطريق المعجزة في قوله قل يا
ايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في

الصدور

الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين بين صحة نبوته بالطريق
الثاني وهذا الطريق كاشف عن حقيقة النبوة معرف لماهيتها
فالاستدلال بالمعجزة هو الطريق الذي يسمونه برهان اللم وهو
اشرف واعلى واكمل وافضل فان قيل كيف قال الامام الاعظم
ولم يعبد الصنم ولم يشرك بالله وقد قال تع ولا تكونن من
المشركين والنهي يدل على الوقوع قلنا لا يدل اذ يراد به التثبيت
والاستمرار في الزمان الاتي على ما كان عليه في الماضي والامر والنهي
من اقوى اسباب العصمة فلا يدلان على صدور الشرك والذنب
كقوله تع يا ايها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين
اي كن ثابتا دائما على التقوى وعلى عدم الاطاعة للكافرين والمنا
فقين والعصمة ان لا يخلق الله فيهم ذنبا وهذا تعريف العصمة
عندنا وقال قوم العصمة خاصية في النفس الشخص او في بدنه
يمتنع بسببها صدور الذنب عنه ويكذب هذا القول
انه لو كان صدور الذنب ممتنعا لما استحق المدح بترك الذنب
اذ لا مدح ولا ثواب بترك ما هو ممتنع لانه ليس مقدورا داخلا
تحت الاختيار وايضا فالاجماع منعقد على ان الانبياء مكلفون
بترك الذنوب مثابون به ولو كان الذنب ممتنعا عنهم لما كان
الامر كذلك اذ لا تكليف بترك الممتنع ولا ثواب عليه كما عرفت
انفا فان قيل كيف قال الامام الاعظم ولم يرتكب صغيرة ولا
كبيرة قط وقد قال الله تع ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك
وما تأخر وقال تع واستغفر لذنبك وقال تع لقد تاب الله على

على النبي ولا يوجد التوبة الا مع الذنب قلنا هو ترك الاولى
وتسميته بالذنب استعظام لصدوره عن النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم الا ترى ان حسنات الابرار سيئات المقربين فلذلك
يسمى ترك الاولى من الانبياء وكذا ارتكاب الصغيرة سهوا
ذنبا ويستغفرونه عنه ويعدونه ظلما ويتضرعون ويبكون
قال يونس عم سبحانك اني كنت من الظالمين اي لنفسي بترك
الاولى فاعترافه بالظلم هضم للنفس وكسر لها واستعظام
لما صدر عنها والمبالغة في التضرع فان قيل قال تع لمحمد صلى الله
عليه وسلم ووجدك ضالا فهدى ولا شك ان الضال
عاص قلنا اراد تعالى ضالا في امور الدنيا ويجب حمله على هذا
لقوله تع ما ضل صاحبكم وما غوى اذ المراد به نفي الضلالة
والغواية في امور الدين بلا شبهة وفي التفسير الكبير ووجدك
ضالا اي ناسيا فهداك الى ذكره وذلك ان النبي عليه الصلوة
والسلام ليلة المعراج نسي ما يجب ان يقول بسبب الهيبة
فهداه الله الى كيفية الثناء حتى قال لا احصي ثناء عليك
فان قيل قال تع لمحمد صلى الله عليه وسلم ووضعنا عنك وزرك
الذي انقض ظهرك والوزر هو الذنب والانقاض الثقل
يدل على كبره قلنا الوزر المذكور محمول على ترك الاولى والافضل
محمول على استعظام اياه او نقول الوزر قد جاء بمعنى
الثقل كقوله تع حتى تضع الحرب اوزارها مجازا فيكون
ههنا مستعملا للثقل الذي كان عليه من الغم الشديد

لاصرار

لاصرار قومه على الشرك بالله ولعدم استطاعته على تنفيذ
امر الدين فلما اعلى الله شانه وشد ازره فقد وضع وزره
وثقله فان قيل قال تع لمحمد صلى الله تع عليه وسلم ما كنت
تدري ما الكتاب ولا الايمان قلنا الاستاذ ابو اسحق
يقول في هذا بالتخصيص في الوقت فقال كان هذا قبل
البلوغ حين كان طفلا في المهد ما كان يعرف الايمان
والحسين بن الفضل البجلي يحمل الاية من باب حذف
المضاف يقول معناه ولا اهل الايمان يعني ما كنت
تدري من الذي يؤمن ومن الذي لا يؤمن واجماع الاصوليين
على ان الرسل عليهم السلام قبل الوحي كانوا مؤمنين و
نبينا صلى الله تع عليه وسلم كان يعبد الله قبل الوحي على دين
ابرهيم عليه الصلوة والسلام كذا قال الواحدي في الوسيط
قال فيه واكثر المفسرين ووجدك ضالا عن معالم النبوة
واحكام الشريعة غافلا عنها فهداك اليها دليله قوله
تع وان كنت من قبله لمن الغافلين وقوله تع ما كنت
تدري ما الكتاب ولا الايمان وهذا القول هو اختيار الزجاج
قال معناه انه لم يكن يدري القران ولا الشرايع
فهداه الله الى القران وشرايع الاسلام ولما فرغ الامام
الاعظم من ذكر الانبياء شرع في ذكر الخلفاء فقال افضل
الناس اي الامة بعد النبي صلى الله تع عليه وسلم ابو بكر
الصديق رضي الله عنه روي ان النبي صلى الله عليه وسلم

قال العاذكر قصة المعراج كذبوه وذهبوا الى ابي بكر وقالوا له
ان صاحبك يقول كذا وكذا فقال ابو بكر ان كان قد قال
ذلك فهو صادق ثم جاء رسول الله تع عليه وسلم فذكر له
الرسول تلك التفاصيل فكلما ذكر شيئا قال ابو بكر
صدقت فلما تم الكلام قال ابو بكر اشهد انك رسولي
حقا قال الرسول واشهد انك صديق حقا كذا في تفسير
الكبير في اول سورة بني اسرائيل قال رسول الله لو كنت متخذا
خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكنه اخي وصاحبي وقد
اتخذ الله صاحبكم خليلا وقال النبي صلى الله عليه وسلم
لابي بكر انت صاحبي في الغار وصاحبي في الحوض وقال
النبي صلى الله عليه وسلم اما انك يا ابا بكر اول من يدخل الجنة
من امتي وهذه الاحاديث الثلاثة من المصابيح ثم
عمر بن الخطاب الفاروق عن ابن عباس رض ان منافقا
خاصم يهوديا فدعاه اليهودي الى النبي عليه الصلوة
والسلام ودعاه المنافق الى الكعب بن الاشرف ثم انهما
احتكما الى رسول الله صلى الله تع عليه وسلم فحكم لليهودي
فلم يرض المنافق وقال نتحاكم الى عمر رض فقال اليهودي
لعمر رض قضى رسول الله عليه الصلوة والسلام فلم يرض
لقضائه وخاصم اليك فقال عمر رض للمنافق اكذلك
فقال نعم فقال مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل واخذ
سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى برد وقال

هكذا اقضي

هكذا اقضي لمن لم يرض بقضائي وقضاء رسول الله
صلى الله تع عليه وسلم فنزلت هذه الاية الم تر الى الذين
يزعمون انهم امنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك
يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقال جبرائيل عليه السلام
ان عمر رض فرق بين الحق والباطل فسمي الفاروق كذا في
تفسير القاضي في سورة النساء قال الجوهري في الصحاح
الفاروق اسم سمي به عمر بن الخطاب رضي عنه انس رض قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو بكر وعمر رضي عنهما سيدا
كهول اهل الجنة من الاولين والاخرين الا النبيين
والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين وعن حذيفة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتدوا بالذين
من بعدي ابي بكر وعمر وعن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه
وسلم خرج ذات يوم دخل المسجد وابو بكر وعمر رضي عنهم احدهما
عن يمينه والاخر عن شماله وهو اخذ بايديهما فقال
هكذا نبعث يوم القيمة عن ابي سعيد قال قال رسول الله
صلى الله تع عليه وسلم ما من نبي الا وله وزيران من
اهل السماء ووزيران من اهل الارض فاما وزيراي من
اهل السماء فجبريل وميكائيل عليهما السلام واما وزيراي
من اهل الارض فابو بكر وعمر هذه الاحاديث الثلاثة
من المصابيح ثم عثمان بن عفان ذو النورين لان النبي
عليه الصلوة والسلام زوجه بنته رقية ولما ماتت رقية

زوج النبي صلى الله تع عليه وسلم بنته ام كلثوم قال النبي
عليه الصلوة والسلام سمي بذي النورين عن عبد الرحمن بن خباب
قال شهدت النبي وهو يحث على جيش العسرة فقام عثمان
فقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم على مائة بعير باحلاسها
واقتابها في سبيل ثم حض م على الجيش فقام عثمان
فقال يا رسول الله عليه الصلوة والسلام على مائتا بعير باحلاسها
واقتابها في سبيل ثم حض فقام عثمان فقال على ثلثمائة
بعير باحلاسها واقتابها في سبيل الله فانا رايت رسول الله
صلى الله عليه وسلم ينزل عن المنبر وهو يقول ما على عثمان
ما عمل بعد هذه ما على عثمان ما عمل بعد هذه عن عبد الرحمن
بن سمرة قال جاء عثمان الى النبي صلى الله عليه وسلم بالف
دينار في كمه حين جهز جيش العسرة فنثرها في حجره
فرايت رسول الله عليه الصلوة والسلام يقلبها في حجره ويقول
ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم مرتين عن انس رض قال لما
امر رسول الله صلى الله تع عليه وسلم ببيعة الرضوان كان
عثمان رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة فبايع
الناس فقال رسول الله ان عثمان رض في حاجة الله وحاجة
رسول الله عليه الصلوة والسلام ماجكي بيديه على الاخرى
فكانت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثمان خيرا من
ايديهم لانفسهم وهذه الاحاديث الثلثة من المصابيح
ثم علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم

عليه وسلم لعلي انت مني بمنزلة هارون من موسى الا
انه لا نبي بعدي وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان عليا
مني وانا منه وهو ولي كل مؤمن وقال صلى الله عليه
وسلم من كنت مولاه فعلي مولاه عن ابن عمر قال اخى
رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اصحابه فجاء علي
يدمع عيناه فقال اخيت بين اصحابك ولم تواخ بيني
وبين احد فقال النبي عليه الصلوة والسلام انت اخي في الدنيا والاخرة
وهذه الاحاديث الثلثة من المصابيح عابدين اي كانوا
عابدين لله ثابتين على الحق اي على الاعتقاد الثابت
المطابق للواقع مع الحق اي كانوا مع الحق تع في عباداتهم
يعني عبدوه بالصدق والاخلاص والخضوع والخشوع
نتولاهم اي نحبهم جميعا اي جميع الخلفاء الاربعة لا
نفرق بينهم بحب البعض وبغض البعض والروافض ابغضوا
الخلفاء الثلاثة ورفضوا المذهب الحق والخوارج ابغضوا
عليا فخرجوا على الصراط المستقيم وفي شرح المواقف الامام
الحق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم عندنا ابو بكر وعند
الشيعة علي لنا فيه وجهان الاول ان طريقه اما النص
او الاجماع بالبيعة اما النص فلم يوجد لما بيناه واما
الاجماع فلم يوجد على غير ابي بكر اتفاقا من الامة الثاني
الاجماع منعقد على حقية امام احد الثلثة ابي بكر وعلي
والعباس ثم انهما لم ينازعا ابا بكر ولو لم يكن على الحق لنازعاه

كما نازع علي معاوية لان العادة تقتضي بالمنازعة في
مثل ذلك ولان ترك المنازعة مع امكانها مخل بالعصمة
اذ هو معصية كبيرة وانتم توجبونها في الامام وتجعلونها
شرطا لصحة امامته لا يقال لا نسلم امكان منازعتهما ابا
بكر لانا نقول علي في غاية الشجاعة والتصلب في الامور الدينية
وفاطمة مع علو منصبها زوجته والحسن والحسين مع كونهما
سبطي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولداه والعباس مع علو
منصبه معه فانه روي انه قال لعلي امدد يدك ابايعك
حتى يقول الناس بايع عم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ابن عمه فلا يختلف فيك اثنان والزبير مع شجاعته
كان معه حتى قيل انه سل السيف وقال لا ارضى بخلافة
ابي بكر وقال ابو سفيان ارضيتم يا بني عبد مناف ان
يلي عليكم تيمي والله لاملان الوادي خيلا ورجلا وكره
الانصار خلافة ابي بكر فقالوا منا امير ومنكم امير فدفعهم
ابو بكر بقول النبي عليه الصلوة والسلام الائمة من قريش ولو كان
على امامة علي نص جلي كما ادعت الشيعة لاظهروه
قطعا ولامكنهم المنازعة جزما كيف لا يمكن وابو بكر عند
الشيعة شيخ ضعيف جبان لا مال له ولا رجال ولا شوكة
فانى يتصور امتناع المنازعة قالت الشيعة نحن نعلم
قطعا ويقينا وجود نص جلي على امامة علي بعد الرسول صلى
الله عليه وسلم وان لم يبلغنا بعينه لوجهين الاول ان

عادة

عادة الرسول تقتضي باستخلافه على الامة عند غيبته عنهم
في حال حياته كما انه استخلف عليا على المدينة عند نهوضه
للغزوات ولا يخل بذلك البتة ولا يترك اهل البلد بلا
رأس فكيف يجوز ان يخلي الامة بجمعها عند الغيبة الكبرى
التي لا رجوع بعدها بلا امام يقتدون به ويرجعون اليه
في مصالحهم وايضا شفقته على الامة معلومة مكشوفة لا
سترة فيها حتى قال انما انا لكم مثل الوالد لولده وعلمهم
في امر خسيس كقضاء الحاجة دقائق اداب فكيف لا يبين
لهم من يصلح حالهم معاشا ومعادا ادعى من النبي انه لا
نص في حق ابي بكر والعباس فتعين ان يكون في حق علي الجواب
انه لما علم النبي صلى الله عليه وسلم ان الصحابة يقومون
بذلك التعيين ولا يخلون به لم يفعل ذلك لعدم الحاجة اليه
كما انه صلى الله عليه وسلم لم ينص على كثير من الادب واحكام
الشرع ثم عدم النص الجلي معلوم قطعا لانه لو وجد لنقل تواترا
ولم يكتم بحسب العادة اذ هو مما يتوفر الدواعي الى نقله وايضا
لو وجد نص على امامة علي يمنع غيره عن الامامة كما منع ابو بكر
الانصار بقول النبي صلى الله عليه وسلم الائمة من قريش مع كونه
خبر الواحد فاطاعوه وتركوا الامامة لاجله فكيف يتصور
ان يوجد نص جلي متواتر في علي وهو بين قوم لا يعصون خبر
الواحد في ترك الامامة وثبت نصهم في الصلابة في الدين بما يشهد
له بذلهم الاموال والانفس ومهاجرتهم الاهل والوطن و

وقتلهم الاولاد والاباء والاقارب في نصرة الذي ثم لا يحتج
علي عليهم بذلك النص الجلي بل لا يقولون احد منهم عند
طول النزاع في امر الامامة ما بالكم تتنازعون فيها والنص
قد عين فلانا لها ولو زعم زاعم ان علينا فعل ذلك فلم
يقبلوه كان ذلك الزاعم مباهتا منكرا للضرورة فلا
يلتفت اليه علم ولا يبالي بشانه كذا في شرح المواقف وقال
الامام الرازي في كتاب الاربعين لو كانت الخلافة حقا
لعلي بن ابي طالب بعد الرسول صلي الله عليه وسلم لكان
الزمان اما ان يعاون الامة اعانوه علي طلب هذا الحق او ما
اعانوه فان كان الاول وجب عليه ان يكون قد طلبه لانه
اذا لم يطلبه مع القدرة علي الطلب كان تكل المقصر فيه وان
قلنا ان الامة ما اعانوه بل خذلوه لزم ان يقال ان هذه
الامة شر الامم لكنه تع وصف هذه الامة بانها خير الامم
قال تع كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف
وتنهون عن المنكر فوصفهم بكونهم امرين بكل معروف
ناهين عن كل منكر ولو انهم خذلوا عليا وما اعانوه
علي طلب حقه لكانوا شر امة اخرجت للناس ولو كانوا
تاركين الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وكان ذلك باطل
وقال الامام الرازي في كتاب الاربعين النص الجلي علي خلافة
علي بعد الرسول صلي الله عليه وسلم لم يصل خبره الي الى الغير
حتى انا نحلف بالله وبالايمان التي لا مخارج عنها ان خبر

هذا النص

هذا النص لو تري في قلوبنا ولم يفد لنا ظن النص فضلا عن
القطع ومشهور عند اهل العلم ان واضع هذا المذهب
اعني ادعاء النص الجلي هو الرازيدي وابو عيسى الوراق
وامثالهما من المشهورين بالكذب ثم ان هولاء الروافض
لشدة شغفهم بتزيين مذهبهم قبلوا تلك الاكاذيب ثم
الذي يدل علي انه كذب محض وجوه الاول ان هذا النص
الجلي الذي لا يحتمل التاويل لو حصل لكان اما ان تعتقد
ان النبي صلي الله عليه وسلم اوصله الي اهل التواتر لكان قد شاع
واشتهر ووصل الي جمهور الامة ولو كان كذلك لامتنع
علي الاعداء اخفاء مثل هذا النص ولو كان كذلك لامتنع
~~علي الاعداء اخفاء مثل هذا النص ولو كان كذلك~~ اطباق الامة
مع شدة محبتهم للرسول ومبالغتهم في تعظيم اوامره
ونواهيه علي ظلم علي بن ابي طالب ومنعه من حقه فان طالب
الامامة هب انه ينكر هذا النص الا ان من لم يكن طالب
للامامة لا ينكره فما الذي يحملهم علي انكار هذا النص وعلي القاء
النفس في العذاب من غير غرض يرجع اليه في الدنيا والاخرة
واما ان قلنا بانه النبي عليه الصلوة والسلم ما اوصل هذا
النص الجلي لاهل التواتر فحينئذ لا يكون هذا الخبر حجة قاطعة
والوجوه مذكورة في كتاب الاربعين علي التفصيل وقال الامام
الرازي فيه انه النبي عليه الصلوة والسلام استخلف ابا بكر علي
الصلوة ايام مرضه وما عزله عن ذلك فوجب ان يبقى بعد موته

خليفة له في الصلوة واذا ثبت خلافته في الصلوة ثبت في
سائر الامور ضرورة انه لا قائل بالفرق وهذا الوجه هو الذي
تمسك به علي بن ابي طالب في اثبات امامة ابي بكر حيث
قال لا نقيلك ولا نستقيلك قدمك رسول الله عليه
الصلوة والسلام لديننا افلا نقدمك لدنيانا والكتب
الصحيحة ناطقة باستخلافه مدة مرضه مثل صحيح البخاري
وغيره فكيف يحكم برافضيته وقال سعد الدين في شرح
المقاصد ذهب جمهور اصحابنا والمعتزلة والخوارج الى ان
النبي صلى الله عليه وسلم لم ينص على امامة بعده وقيل نص
على ابي بكر فقال الحسن البصري رحمه نصا خفيا وهو تقديمه
اياه في الصلوة وقال بعض اهل الحديث نصا جليا وهو
ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ايتوني بدواة وقرطاس
اكتب لابي بكر كتابا لا يختلف فيه اثنان ثم قال يابى الله والمسلمون
الا ابا بكر وقيل نص النبي عليه الصلوة والسلام على علي وهو
مذهب الشيعة اما النص الخفي وهو الذي لا يعلم المراد منه
بالضرورة فبالاتفاق واما النص الجلي فعند الامامية
دون الزيدية وهو قوله عليه الصلوة والسلام سلموا على علي
بامرة المؤمنين وقوله النبي صلى الله عليه وسلم مشيرا الى علي و
اخذ بيده هذا خليفتي فيكم من بعدي فاسمعوا له واطيعوا
وقوله صلى الله عليه وسلم انت الخليفة من بعدي واستدل
اهل الحق بطريقين احدهما انه لو كان نص جلي ظاهر المراد

في هذا

في هذا الامر الخطير المتعلق مصالح الدين والدنيا لتواتر
واشتهر فيما بين الصحابة واللازم منتف وان لم يتوقفوا
على الانقياد له والعمل بموجبه ولم يترددوا حين اجتمعوا في
سقيفة بني ساعدة لتعيين الامام ولم يقل الانصار
منا امير ومنكم امير ولم يمل طائفة الى ابي بكر واخرى الى
العباس ولم يقل عمر لابي عبيدة امدد يدك لا بايعك
فانه قيل علموا ذلك النص وكتموه لاغراض لهم في ذلك
كحب الرياسة والحقد على علي لقتله اقاربهم وعشائرهم
قلنا من كان له حظ من الديانة والانصاف علم قطعا براءة
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا لاقدامهم عن
مخالفة امره في مثل هذا الخطب الجليل وكيف يظن بجماعة
اختارهم الله لصحبة رسول الله عليه الصلوة والسلام ونصرة
دينه ووصفهم بكونهم خير امة اخرجت للناس وقد تواتر
منهم الاعراض عن متاع الدنيا وطيباتها وزخارفها
ومستلذاتها والاقبال على نزل منهم وذخائرهم وقتل
اقاربهم وعشائرهم في نصرة رسول الله عليه الصلوة
والسلام واقامة شريعته انهم خالفوا اي كيف يظن
انهم خالفوا قبل ان يدفنوه وتركوا هداه واتبعوا
اهواءهم وعدلوا عن الحق الصحيح الى الباطل الصريح
الى هنا كلامه وقال صاحب الخلاصة في كتاب الفاظ
الكفر الرافضي ان كان يسب الشيخين ويلعنهم

فهو كافر وان كان يفضل عليا على ابي بكر وعمر رضي الله
عنهم لا يكون كافرا لكنه مبتدع وقال البزازي ومن انكر
خلافة ابي بكر فهو كافر في الصحيح ومن انكر خلافة عمر فهو
كافر في الاصح ولا نذكر احدا من اصحاب رسول الله الا
بخير اعتقاد اهل السنة والجماعة تزكية جميع الصحابة
والثناء عليهم كما اثنى الله تع ورسوله عليهم وما جرى
بين علي ومعاوية كان مبنيا على الاجتهاد كذا في الاحياء
عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تسبوا اصحابي فلو ان احدكم انفق مثل احد ذهبا
ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه عن عمر قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اكرموا اصحابي فانهم خياركم ثم الذين يلونهم ثم يظهر
الكذب عن عبد الله بن مغفل قال قال رسول الله عليه الصلوة
والسلام الله الله في اصحابي الله الله في اصحابي لا تتخذوهم
غرضا من بعدي فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم
فببغضي ابغضهم ومن اذاهم فقد اذاني ومن اذاني
فقد اذى الله تع ومن اذى الله فيوشك ان ياخذه
عن عبد الله بن بريدة عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم مثل اصحابي في امتي كالملح في الطعام لا
يصلح الطعام الا بالملح عن عبد الله بن بريدة عن ابيه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من احد من اصحابي يموت
بارض الا بعث قائدا ونورا لهم يوم القيمة وهذه الاحاديث

الخمسة

الخمسة منقولة من المصابيح قال ابو سعيد البردعي تقليد الصحابي
واجب يترك القياس بقوله قال على هذا ادركنا مشايخنا
وقد اتفق عمل اصحابنا بالتقليد فيما لا يعقل بالقياس
كذا في اصول البزدوي قوله وقد اتفق عمل اصحابنا اي
من المتقدمين والمتاخرين بالتقليد فيما لا يعقل بالقياس
كذا في الكشف وهو النهاية في تعظيم الصحابة وتعديلهم
ولا نكفر مسلما بذنب من الذنوب وان كانت كبيرة
اذا لم يستحلها خلافا للخوارج فذهب جمهورهم الى
ان كل معصية كفر ومنهم من فرق بين الصغيرة والكبيرة
وتمسكوا بوجوه الاول النصوص الناطقة بكون العصاة
كفارا كقوله تع ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون
وقوله تع تارك الحج ومن كفر فان الله غني عن العالمين
وقوله تع ومن كفر بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون
حصر الفسق على الكافر فيكون كل فاسق كافرا وقول النبي
عليه الصلوة والسلام من ترك الصلوة متعمدا فقد كفر
وقول النبي صلى الله عليه وسلم من مات ولم يحج فليمت ان
شاء يهوديا وان شاء نصرانيا الجواب قال عكرمة
قوله تع ومن لم يحكم بما انزل الله انما يتناول من كفر بكونه
حكما لله تعالى وجحد بلسانه اما من عرف كونه حكما لله و
اقر بلسانه كونه حكما الا انه اتى بما يضاده فهو حاكم بما
انزل الله ولكنه تارك له فلا يلزم دخوله تحت هذه الاية

وهذا جواب الصحيح كذا في تفسير الكبير وقد محي السنة في معالم
التنزيل قال العلماء هذا اذا رد نص حكم الله عيانا عمدا
اما من خفي عليه او اخطاء في تاويله فلا يكفر وقال القاضي
في سورة المائدة ومن لم يحكم بما انزل الله مستهينا به
منكرا له فاولئك هم الكافرون لاستهانتهم به وتمردهم
بان حكموا بغيره ولذلك وصفهم بقوله الظالمون والفا
سقون فكفرهم لانكاره وظلمهم بالحكم على خلافه وفسقهم
بالخروج عنه وقال القاضي في سورة آل عمران وضع كفر
موضع من لم يحج تاكيدا لوجوبه وتغليظا على تاركه وقال
وتسمية تارك الحج كافرا من حيث انه فعل الكفرة وقال
في سورة البقرة في قوله تعالى والكافرون هم الظالمون
يريد والتاركون للزكوة هم الذين ظلموا انفسهم او
وضعوا المال في غير موضعه وصرفوه على غير وجهه فوضع
الكافرون موضع التاركون للزكوة تغليظا وتهديدا
كقوله تعالى ومن كفر مكان من لم يحج وايذانا بان ترك
الزكوة من صفات الكفار لقوله تعالى وويل للمشركين الذين
لا يؤتون وقال صاحب الخلاصة في كتاب الكراهية قال
النبي صلى الله عليه وسلم من ترك الصلوة متعمدا فقد كفر
معناه كفران النعمة لا كفران الدين وقال الامام الغزالي
في كتاب الصلوة من كتب الاحياء قال النبي صلى الله عليه وسلم
من ترك الصلوة متعمدا فقد كفر اي قارب ان يخلع

عن الايمان بانحلال عروته وسقوط عماده كما يقال لمن
قارب البلدة انه بلغها ودخلها وقال سعد الدين
في شرح المقاصد والمراد بالفاسقون في قوله تعالى ومن
يكفر بعد ذلك اي بعد الايمان فاولئك هم الفاسقون
الكاملون في الفسق والمتمردون المنهمكون في الكفر
للقطع بان الفسق لا يخرج الكفر بعد الايمان وقول الامام
الاعظم انا لم يستحلها جواب اجمالي عما تمسك به الخوارج
واستحلال المعصية التي ثبتت حرمتها بدليل قطعي يكون
كفرا بالاتفاق ولا نزيل عنه اي عن المسلم الذي ارتكب
كبيرة غير مستحل اسم الايمان ونسميه مؤمنا حقيقة
اشار الامام الاعظم بقوله ولا نزيل عنه اسم الايمان ونسميه
مؤمنا حقيقة الى ان المسلم يسمى مؤمنا حقيقة وهذا
يدل على اتحاد الاسلام والايمان ويجوز ان يكون مرتكب
الكبيرة مؤمنا فاسقا غير كافر والفسق هو الخروج
عن طاعة الله بارتكاب الكبيرة وينبغي ان يقيد بعدم
التاويل للاتفاق على ان الباغي ليس بفاسق وفي معنى
ارتكاب الكبيرة الاصرار على الصغاير بمعنى الاكثار منها
سواء كانت من نوع واحد وانواع مختلفة كذا في شرح
المقاصد وقال صدر الشريعة فالكبيرة كل ما كان فاحشة
فاللواطة ونكاح منكوحة الاب او ثبت لها بنص قاطع عقوبة
في الدنيا والاخرة وقال الامام الحلواني كل ما كان شنيعا بين

المسلمين وفيه هتك حرمة الله والمؤمن فيه كبيرة وقالت
المعتزلة مرتكب الكبيرة فاسق لا يجوز ان يكون مؤمنا
ولا يجوز ان يكون كافرا واثبتوا منزلة بين المنزلتين
اي بين الكفر وبين الايمان وقال ابن عباس رضه لو كان
احد من اهل التوحيد يذنب لكن الذنب سفكوا الدم
الحرام وقد قال تعالى يا ايها الذين امنوا كتب عليكم
القصاص في القتلى ثم قال تع فمن عفي له من اخيه شيء
ثم قال تع ذلك تخفيف من ربكم ورحمة قال ابن عباس رضه
فسمى الله القاتل في اول هذه الاية مؤمنا وفي وسطها
اخا ولم يوئسه في اخرها من التخفيف والرحمة كذا في
الوسيط وقال سعد الدين رحمه في شرح المقاصد ومن شبه
المعتزلة ما احتج به واصل بن عطاء على عمرو بن عبيد
حتى رجع الى مذهبه وهو انه اجمعت الامة على
ان صاحب الكبيرة فاسق واختلفوا في كونه مؤمنا وكافرا
فوجب ترك المختلف فيه والاخذ بالمتفق عليه ق
الجواب ان هذا ترك للمتفق عليه وهو انه اما مؤمن
او كافر ولا واسطة عنهما واخذ بما لم يقل به احد
فضلا عن الاتفاق وقال السيد في شرح المواقف في بحث
النظرودت ان عمرو بن عبيد رضه من رؤساء المعتزلة قال
ان بين الكفر والايمان منزلة بين المنزلتين فقيل يجوز
قال الله هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن فلم يجعل

انه من

60

الله من عباده الا الكافر والمؤمن فبطل قولك
فسمع سفيان الثوري كلامهما فقال عليكم بدين
العجائز وقال في شرح المواقف في بحث الايمان انه
اي الفاسق مؤمن قطعا ولا خلاف فيه ممن كان قبله
من الامة بل قد اجتمع من كان قبله على انه اي المكلف
اما مؤمن او كافر فالقول بالواسطة خرق للاجماع المنعقد
على الانحصار في ذينك القسمين فيكون باطلا بلا
اشتباه وقالت المعتزلة قوله تع افمن كان مؤمنا كمن كان
فاسقا يدل على ان الفاسق ليس بمؤمن لانه تع جعل
المؤمن مقابلا للفاسق والجواب ان المراد بالفاسق
في الاية هو الكافر فان الكفر من اعظم الفسوق وقالت
المعتزلة قول النبي صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني وهو
مؤمن وقوله عليه الصلوة والسلام لا ايمان لمن لا امانة
له يدل على ان الفاسق ليس بمؤمن والواو فيه للحال
اي لا يزني الزاني حال كونه مؤمنا والجواب ان الحديث
وارد على سبيل التغليظ والمبالغة في الزجر عن المعاصي
بدليل الايات والاحاديث الدالة على ان الفاسق مؤمن
فيكون معنى الحديث انه موجب الايمان المنع من الزنا والخيانة
والايمان الذي لا يترتب عليه ذلك ملحق بالعدم ومن
عادة البلغاء ان يحصروا النوع في فرده الكامل وان
يقولوا للناقص انه ليس بشيء ولا كتب فيه اذا حاصله

اخراج الوهد التاقص عن الجنس لاعتبار ضطاب و المسح
على الخفين سنة اي ثبت جوازه بالسنة المشهورة فمن
انكره فانه يخشى عليه الكفر لانه قريب من الخبر المتواتر
قال الامام الاعظم في كتاب الوصية نقر بان المسح على
الخفين واجب للمقيم يوما وليلة وللمسافر ثلثة ايام
ولياليها وانما قال واجب لان اعتقاده جواز المسح
على الخفين واجب وهو المراد هنا لان علم الكلام يبحث
عن الاعتقادات وفي كتاب الخلاصة في باب الامامة لا
يصلي خلف من ينكر المسح على الخفين وفي كتاب الهداية
المسح على الخفين جائز بالسنة والاخبار فيه مستفيضة
حتى قيل ان من لم يره كان مبتدعا لكن من رواه ثم لم
يمسح اخذا بالعزيمة كان ماجورا وانما قال جائز لان
غسل الرجلين افضل لانه عزيمة والمسح رخصة
والتراويح في ليالي شهر رمضان سنة خلافا للروافض
فانهم انكروا التراويح والمسح على الخفين ومسحوا على ارجلهم
بلا خف قال صاحب الخلاصة في المنتقى سئل ابو حنيفة رضه
عن مذهب اهل السنة والجماعة فقال ان تفضل الشيخين
وتحب الختنين وترى المسح على الخفين وتصلي خلف
كل بر وفاجر والسنة للهادي وقال صاحب الهداية والاصح
انها سنة كذا روى الحسن عن ابي حنيفة لانه واظب
عليها الخلفاء الراشدون والنبي صلى الله عليه وسلم بين العذر

في ترك المواظبة وهو خشية ان يكتب علينا والسنة فيها
الجماعة لكن على وجه الكفاية حتى لو امتنع اهل المسجد عن
اقامتها كانوا مسيئين ولو اقامها البعض فالمتخلف عن
الجماعة تارك الفضيلة والصلوة خلف كل بر وفاجر
من المؤمنين جائزة خلافا للخوارج في الفاجر واعلم
انها تجوز الصلوة خلفه ويكره والجواز لوجود ايمانه و
الكراهة لعدم اهتمامه في الامور الدينية وفي كتاب الخلاصة
الفاسق اذا كان يؤم يوم الجمعة وعجز القوم عن منعه قال
بعضهم يقتدى به يوم الجمعة ولا يترك الجمعة بامامته وفي
غير الجمعة له سبيل من ان يتحول الى مسجد اخر ولا ياثم
بذلك ولو صلى خلف مبتدع او فاسق فهو محرز ثواب الجماعة
لكنه لا ينال ثواب خلف تقي ولا نقول ان المؤمن لا يضره الذنب
ولا نقول وانه لا يدخل النار خلافا للمرجئة قال الامام
الرازي في كتاب الاربعين العاصي لبس بهو فوكانت معصية
كبيرة فيه ثلثة اقوال احدها قول من قطع بانه لا يعاقب
وهذا قول من قطع بانه لا يعاقب وهذا قول مقاتل بن
سليمان وبعض المرجئة الخالصة وثانيها قول من قطع بانه يعاقب
وهو قول المعتزلة والخوارج وثالثها قول من لم يقطع لا
بالعفو ولا بالعقاب وهو قول اكثر الائمة وهو المختار
واما المرجئة فانهم تمسكوا على صحة قولهم بايات احدها
قوله تع حكاية عن موسى انا قد اوحي الينا ان العذاب على

من كذب وتولى فهذه الآية تدل على ان العذاب مختص بمن
كذب وتولى فمن لم يكن مكذبا بالله لم يكن العذاب متعلق
وثانيها قوله تع كلما القي فيها فوج سألهم خزنتها الم
يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا اخبر الله ان
كل فوج يدخلون النار فانهم يقولون قد جاءنا نذير
فكذبنا وهذا يدل على ان كل من دخل النار فهو مكذب
بانبياء الله وثالثها قوله تع ان الله يغفر الذنوب
جميعا حكم الله تع يغفر الذنوب جميعا ولم يشترط
التوبة والجواب عن الكل اجمالا ان نقول يعارض ايات
الوعيد والعفو ولما وقع التعارض بين ايات الله
اي ايات الوعد وايات الوعيد كان الترجيح لجانب
الوعد والعفو وقد ذكروا وجوه الترجيحات في المطولات
ولما كانت تلك الترجيحات ظنية لاجرم رجونا العفو
وما قطعنا به ولا نقول انه اي المؤمن خالد فيها اي
في النار وان هذا الوصل كان المؤمن فاسقا بعد
ان يخرج المؤمن الفاسق من النار مؤمنا خلافا للمعتزلة
فانهم قطعوا بخلود الفاسق في عذاب نار جهنم ابدا
كالكافر قال سعد الدين في شرح المقاصد قد اشتهر من مذهب
المعتزلة ان صاحب الكبيرة بدون التوبة مخلد في النار
وان عاش على الايمان والطاعة مائة سنة ولم يفرقوا
بين ان تكون الكبيرة واحدة او كثيرة واقعة قبل الطاعات

اوبعدها

او بعدها او بينها وجعلوا عدم حكم القطع بالعقاب
وتفويض الامر الى الله يغفر ان شاء ويعذب ان شاء
على ما هو مذهب اهل الحق ارجاء بمعنى انه تاخير الامر
وعدم الجزم بالعقاب وبهذا الاعتبار جعلوا لابا حنيفة
رحمه من المرجئة وانما المرجئة الخالصة الباطلة الذي
يحكمون بان صاحب الكبيرة لا يعذب اصلا وانما العذاب والنار
للكفار وهذا تفريط كما ان قول الوعيدية افراط
والتفويض الى الله وسط بينهما كالكسب بين الجبر والقدر ونحن
نقول ينبغي ان يكون ما اشتهر منهم مذهب بعضهم
لان مذهب الجبائي وابي هاشم وكثير من المعتزلة وهو
اختيار المتاخرين منهم ان الكبائر انما يسقط الطا
عات وتوجب دخول النار اذا زادت عقابها على ثوابها
والعلم بذلك مفوض الى الله فمن خلط الحسنات بالسيئات
ولم يعلم غلبة الاوزار لم يحكم بدخول النار بل اذا اراد الثواب
يحكم بانه لا يدخل النار اصلا واضطربوا فيما اذا تساوى
الثواب والعقاب وصرحوا بان هذا بحسب السمع واما
بحسب العقل فيجوز العفو عن الكبائر كلها الا عند الكعبي
وقال في شرح المقاصد لا اخفاء في ان من امن بعد الكفر
والمعاصي فهو من اهل الجنة بمنزلة من لا معصية له ومن
كفر بالله بعد الايمان والعمل الصالح فهو من اهل النار
بمنزلة من لا حسنة له وانما الكلام في من امن وعمل صالحا

وسيئاتنا واستمر على الطاعات والكبائر كانت هذه من الثلثي
فعندنا مآبه الى الجنة ولو بعد النار واستحقاقه للثواب
والعقاب بمقتضى الوعد والوعيد ثابت من غير حبوط
ولو كانت الكبيرة محبطة لثواب الطاعات لكانت منافية
لصحتها بمنزلة الردة قالوا استحقاق الثواب والعقاب
متنافيان لا يجتمعان لان الثواب منفعة خالصة د
ائمة مع التعظيم والعقاب بمقتضى مضرة خالصة دائمة
الاهانة قلنا لا نسلم لزوم قيد الخلوص والدوام سيما
في جانب العقاب وحينئذ لا يتنافى الثواب والعقاب
بان يعاقب حينا ثم يثاب ولو سلم فليس ابطال الحسنة
بالسيئة اولى من العكس كيف وقد قال تع ان الحسنات
يذهبن السيئات وحكم الله بان السيئة لا يجزي الا مثلها
والحسنة يجزي بعشرة امثالها الى سبعماية واكثر قالوا
الاحباط مصرح في القران كقوله تع ولا تجهروا له بالقول
كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم فاولئك حبطت
اعمالهم لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى قلنا لا يجب
الذي قصدتم بل يجب ان من عمل صالحا استحق به الذم
وكان يمكنه ان يعمل على وجه يستحق به المدح والثواب
يقال انه احبط عمله كالصدقة مع المن والاذى وبدونهما
وقال الامام عمر النسفي رحمه في كتاب التيسير في تفسير قوله تع
يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى تعلقت

المعتزلة بظاهر هذه الاية في ان الكبيرة تحبط الطاعات
وتخلد صاحبها في النار وهو حجة عليهم لا لهم فان
الله خاطبهم بقوله يا ايها الذين امنوا فبقى اسم الايمان
عليهم واخبر انه ان الحسنات يذهبن السيئات فاما
هذه الاية فهي بيان ان الصدقة اذا كان معها من واذى
لم تكن صدقة حقيقة وان تراها صدقة فان الصدقة ما
يبتغى به وجه الله وهذا كقول النبي صلى الله عليه وسلم
لا يقبل الله صلوة بغير طهور ولا صدقة من غلول ليس المعنى
انها بغير طهور صلوة ومن الغلول صدقة بل ذلك ليس بصلوة
ولا صدقة وقال الفقيه ابو الليث السمرقندي في تفسير سورة
الحجرات قال بعضهم من عمل كبيرة من الكبائر احبط جميع ما عمل
من الحسنات واحتج بهذه الاية ولا تجهروا له بالقول كجهر
بعضكم ان تحبط اعمالكم ولكنا نحن نقول الكبيرة لا تحبط
العمل ما لم يكن صاحبها وانما ذكر الله تع ههنا ابطال
العمل لان في ذلك استخفافا بالنبي صلى الله عليه وسلم
ومن قصد استخفافه يكفر قال الامام الغزالي في كتاب قواعد
العقائد من كتب الاحياء اما المعتزلة فشبهتهم قوله تع
واني لغفار لمن تاب وامن وعمل صالحا ثم اهتدى وقوله
تع والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين امنوا وعملوا
الصالحات وقوله تع ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين
فيها جثيا وقوله تع ومن يعص الله ورسوله فان له نار

جهنم خالدين فيها ابدا وقوله تع ومن يقتل مؤمنا
متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها قلنا هذه العمومات
ايضا مخصوصة بدليل قوله تع ان الله لا يغفر ما دون
ذلك لمن يشاء فيبقى لهم مشية في مغفرة ما سوى الشرك
وكذلك قوله النبي صلى الله عليه وسلم يخرج من النار من كان
في قلبه مثقال ذرة من الايمان وقوله تع ان الله لا يضيع
اجر المحسنين فكيف يضيع اصل الايمان وجميع الطاعات
بكبيرة واحدة وقوله تع ومن يقتل مؤمنا متعمدا الاية
وقد ورد على مثل هذا السبب وفي معالم التنزيل قال ابن
عمر كنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات الرجل
على كبيرة شهدنا انه من اهل النار حتى نزلت هذه
الاية ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون
ذلك لمن يشاء فامسكنا عن الشهادة وفيه ايضا في اخر
سورة البقرة فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء روى
طاوس عن ابن عباس فيغفر لمن يشاء الذنب العظيم
ويعذب من يشاء على الذنب الصغير لا يسأل عما
يفعل وهم يسألون وحديث الشفاعة في اخراج رسول الله
صلى الله تع عليه وسلم عصاة المؤمنين من نار جهنم
وادخالهم في الجنة مشهور مذكور في صحيح البخاري وصحيح
مسلم وغيرهما من الكتب المعتبرة ولا نقول ان حسنا
تنا مقبولة وسيئاتنا مغفورة كقول المرجية ولكن

ان يشرك به ويغفر

نقول

نقول من عمل حسنة بجميع شرائطها من النية والاخلاص
وغيرهما من الفرائض خالية عن العيوب المفسدة من الرياء
والسمعة والعجب ولم يبطلها الكفر والردة واما ارتكاب
الكبائر فلا يفسد الطاعات ولا يبطل ثوابها عند اهل
السنة والجماعة كما من خرج من الدنيا مؤمنا فان
الله لا يضيعها بل يقبلها ويثيبه عليها بلا وجوب عليه
ولا استحقاق بل بفضله ووعده قال الله تع وعد الله
المؤمنين والمؤمنات جنات تجري وقال الله تع ذلك فضل
الله يؤتيه من يشاء وقال تع والله لا يخلف الميعاد وفي
شرح المقاصد الثواب فضل من الله والعقاب عدل من غير
وجوب عليه ولا استحقاق من العبد خلافا للمعتزلة وفي
كون الثواب والعقاب غير مستحق انه ليس حقا لازما يقبح
تركه واما الاستحقاق بمعنى ترتبهما على الافعال المذكورة
وملايمة اضافتهما اليها في مجاري العقول والعادات
فمما لا نزاع فيه كيف وقد ورد بذلك الكتاب والسنة
في مواضع لا تحصى واجمع السلف على ان كلا من فعل
الواجب والمندوب ينتهض سببا للثواب ومن فعل الحرام
وترك الواجب سببا للعقاب وبناء الترغيب في اكتساب
واجتناب السيئات على افادتها الثواب والعقاب قال الشيخ
الامام فخر الاسلام علي البزدوي في اصول الفقه اما العلة
فانها في اللغة عبارة عن المعنى وفي الشرع عبارة عن

المعتزلة وفي الشريعة بمعنى ما يضاف اليه وجوب الحكم ابتداء مثل
البيع للملك والنكاح للحل والقتل للقصاص وغير
ذلك لكن علل الشرع غير موجبة بذاتها وانما الواجب
للاحكام هو الله تع ولكن ايجابه لما كان غيبا نسب
الوجوب الى العلل فصارت موجبة في حق العباد بجعل
صاحب الشرع اياها كذلك وفي حق صاحب الشرع هي
اعلام خالصة وهذا كافعال العباد من الطاعات ليست
بموجبة للثواب بذاتها بل الله بفضله جعلها كذلك
فصارت النسبة اليها بفضله وكذا العقاب يضاف
الى الكفر من هذا الوجه فاما ان يجعل لغوا كما قالت الجبرية
او موجبة بانفسها كما قالت القدرية ومات من السيئات
دون الشرك والكفر سواء تلك السيئات صغيرة
او كبيرة ولم يتب عنها اي عن تلك السيئات
التي ليست لشرك ولا كفر صاحبها حتى مات مؤمنا
فاستغفر اعلم فانه اي ذلك الفاسق في مشية الله تع
ان شاء عذبه في النار عدلا ثم اخرجه منها فضلا
وان شاء عفا عنه فضلا ولم يعذبه بالنار اصلا
ولم يدخل النار بفضله ورحمته او بشفاعة ان فعل
وفي بعض النسخ وان شاء عفا عنه ولم يعذبه بالنار ابدا
فقال بعض الشارح معناه من يعذبه الله من المؤمنين لا
يعذبه ابدا مخلدا اقول هذا المعنى لا يليق بهذا اللفظ

لان هذا

لان هذا المعنى معنى قول الامام ان شاء عذبه لان
العذاب المستفاد من قوله وان شاء عذبه موقت لا مؤبد
لانه عذاب المؤمن الفاسق بل معنى قول الامام وان شاء
عفى عنه ولم يعذبه بالنار ابدا اسقاط العذاب قبل دخول
النار ومحو الذنوب بلا ذوق العذاب لبعض العصاة
لانه مقابل لقوله وان شاء عذبه والمقابلة يقتضي المغا
يرة قالت المعتزلة لا يجوز العفو عن صاحب الكبيرة اذا لم
يتب عنها لانه تع اوعد بالعقاب على الكبائر واخبر
اي العقاب عليها فلو لم يعاقب على الكبيرة وعفا لزم الخلف
في وعيده والكذب في خبره والجواب وعيد صاحب
الكبيرة مشروط بعدم العفو لوجود ادلة منفصلة
تدل على العفو كما هو مشروط بعدم التوبة وفاقا فلا
يلزم الخلف في وعيده فالكذب في خبره قال الامام الرازي
في تفسير قوله تع ان الله لا يخلف الميعاد احتج الجبائي
بهذه الاية على القطع بوعيد الفساق لان الوعيد داخل
تحت الوعد والوعد والموعد والميعاد واحد والجواب
الوعيد عندنا مشروط بشرط عدم العفو كما انه بالاتفاق
مشروط لشرط عدم التوبة فكما انكم اثبتم ذلك الشرط
بدليل منفصل فكذلك نحن اثبتنا شرط عدم العفو
بدليل منفصل ولا نسلم ان الوعيد داخل تحت لفظ
الوعد قولهم لو لم يعذب فصاحب الكبيرة لصار

كاذبا او مكذبا لنفسه فجوابه ان هذا انما يلزم لو كان وعيد
صاحب الكبيرة ثابتا جزما من غير شرط وقال الامام الرازي
في تفسير سورة البقرة قوله تعالى فيغفر لمن يشاء ويعذب
من يشاء الاصحاب قد احتجوا بهذه الاية على جواز غفران
ذنوب اصحاب الكبائر وذلك لان المؤمن المطيع مقطوع
بانه يثاب ولا يعاقب والكافر مقطوع بانه يعاقب ولا
يثاب فيكون قوله تعالى فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء
في حق اصحاب الكبائر وقال الامام الرازي في تفسير سورة
الرعد اما قوله تعالى ان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم فاعلم
ان اصحابنا تمسكوا بهذه الاية على انه تعالى قد يعفو عن صاحب
الكبير قبل التوبة ووجه الاستدلال به ان قوله لذو مغفرة للناس
على ظلمهم اي حال اشتغالهم بالظلم كما تقول رايت الامير
على اكله اي حال اشتغاله بالاكل فهذا يقتضي كونه تعالى غافرا
للناس حال اشتغالهم بالظلم ومعلوم ان حال الاشتغال
الناس بالظلم لا يكون تائبا فدل هذا على انه تعالى قد يغفر الذنوب
قبل الاشتغال بالتوبة ونقول ترك العمل بهذا الدليل في
حق الكفر فوجب ان يبقى معمولا به في حق اهل الكبيرة او نقول
انه تعالى لم يقتصر على قوله وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم
بل ذكر معه قوله وان ربك لشديد العقاب فوجب ان يحمل الاول
على صاحب الكبيرة وان يحمل الثاني على الكفار فان قيل
لم لا يجوز ان يكون المراد من هذه المغفرة تاخير العذاب قلنا

ان تاخ

ان تاخير العذاب لا يسمى مغفرة والا لوجب ان يقال الكفار
كلهم مغفورون لهم لاجل ان الله اخر عذابهم الى الاخرة
فان قيل لم لا يجوز ان يكون المراد انه لذو مغفرة لاهل الصغائر
لا لاهل الكبائر قلنا انه تعالى تمدح بهذا والتمدح انما يحصل
بالتفضل والانعام اما باداء الواجب فلا تمدح فيه وعند المعتزلة
يجب على الله مغفرة الصغائر انتهى اقول وتقييد المطلق عدول
عن الظاهر فلا يجوز بلا ضرورة ههنا فيجري قوله ان ربك
لذو مغفرة للناس على ظلمهم ظاهرة فيتناول الصغائر و
الكبائر ولا يتناول الكفر لقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به وانما
عبر عن الكفر بالشرك لان كفار العرب كانوا مشركين واريد
الكفر ليعلموا قبح الشرك وعدم غفرانه عند الانتهاء بلا تامل
وتفكر ولو قيل لا يغفر ان يكفر به لقالوا نحن لا نكفر ولقالوا
الشرك ليس بكفر اما جهلا واما عنادا ويغفر ما دون ذلك
لمن يشاء وفي شرح المواقف الاجماع منعقد على ان الله
عفو وان عفوه ليس في حق الكافر بل في حق المؤمنين
فقالت المعتزلة هو عفو عن الصغائر قبل التوبة وعن الكبائر
بعدها وقالت المرجئة عفو عن الصغائر والكبائر
مطلقا كما عرفت من مذهبهم وذهب جمهور اصحابنا الى
انه تعالى عن بعض الكبائر يعفو مطلقا ويعذب بعضها
الا انا لا نعلم الان الشيء من هذين البعضين بعينه
وقال كثير منهم لا نقطع بعفوه عن الكبائر بلا توبة بل نجوزه

لنا علي ما اختاره جمهورنا وجهان الاول ان العفو لا يعتبر
على الذنب مع استحقاقه اي استحقاق العذاب ولا يقول
المعتزلة بذلك الاستحقاق في غير صورة النزاع اذ لا استحقاق
بالصغائر اصلا ولا بالكبائر بعد التوبة فلم يبق الا الكبائر
قبل التوبة فهو تعالى يعفو عنها كما ذهبنا اليه الثاني الاية
الدالة على العفو عن الكبيرة قبل التوبة وهو قوله تعالى ويغفر
ما دون ذلك لمن يشاء فان ما عدا الشرك داخل فيه
ولا يمكن التقييد بالتوبة لان الكفر مغفور مع التوبة
فيلزم تساوي ما نفي عنه الغفران وما اثبت له وذلك
مما لا يليق بكلام عاقل فضلا عن كلام الله وقوله
تعالى ان الله يغفر الذنوب جميعا الاية فانه عام للكل فلا
يخرج عنه الا ما اجمع عليه وهو الكفر وبعض الكبائر قبل
التوبة وقوله تعالى ان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم
والذنوب ما ذكرناه انفا يعني انه عام للكل فلا يخرج
عنه الا ما اجمع عليه والرياء اذا وقع في عمل من الاعمال
فانه اي الرياء يبطل اجره وانما ذكر ابطال الاجر ولم
يذكر ابطال العمل ههنا اثبات ان الاجر والثواب لان المقصد
الاقصى والمطلب الاعلى من العمل هو ثواب الله ومرضاة الله و
رضاء الله ولا يكون العمل سببا لهذه الاشياء اذا دخله رياء
ويجوز ان يقال انما لم يذكر ابطال العمل لان الرياء لا يبطل
بعض الاعمال كالوضوء والغسل وستر العورة وغير ذلك مما

ليس

ليس فيه النية فرضا ولكن يبطل اجره يعني لا يكون له
اجر وثواب في مقابلة وضوء وقع فيه الرياء ولكن يصح
الصلوة بذلك الوضوء وقول الامام على الايجاز والاختصار
لانه لو لم يذكر من احكام الرياء الا حكما واحدا وهو
ابطال الاجر فلا يجوز ان يستدل بعض الناس بقوله فانه
يبطل اجره على ان الرياء لا يبطل نفس العمل من الصلوة
والزكوة والصوم والحج وغير ذلك من العبادات المحضة
ومن احكام الرياء انه يبطل العبادة المحضة ويبطل و
يبطل اجرها ويبطل اجر العبادة الغير المحضة ويدخل صاحبه
نار جهنم قال صاحب التوضيح لا خفاء في ان الزكوة عبادة
محضة كالصلوة فلا تتأدى الا بالنية الخالصة لله تعالى
وقال الامام الغزالي في كتاب النية والاخلاص اعلم ان العمل
اذا لم يكن خالصا لوجه الله تعالى بل امتزج بشوب من
الرياء او حظوظ النفس فقد اختلف في ان ذلك هل
يقتضي ثوابا ام يقتضي عقابا ام لا يقتضي شيئا
اصلا فلا يكون له ولا عليه واما العمل الذي لم
يرد به الا الرياء فهو عليه قطعا وهو سبب المقت و
العقاب واما الخالص لوجه الله فهو سبب الثواب
ومن اراد تفصيله فليطالع كتاب الاخيار وقال في
كتاب الاربعين الخالة الثالثة ان يكون قصد العبادة
ضعيفا بحيث لو انفرد عن النفس اما اشتغل بمجرد عمل

العبادة فهذا لا تصح عبادته لا ينفي عنه ثمرة المقت وقال
الامام فخر الرازي في تفسير سورة الانعام قوله تعالى قل ان
صلوتي ونسكي ومحياي ومماتي لله يدل على انه لا يكفي
في العبادات ان يأتي بها كيف ما كانت بل يجب ان يأتي بها مع
تمام الاخلاص وهذا من اقوى الدلايل على ان شرط صحة الصلوة
ان يؤتى بها مقرونة بالاخلاص وفي شرح المجمع والزيلعي يفترض
ان ينوي المصلي صلوته لقوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين
له الدين والاخلاص انما يكون بالنية وفي كتاب العناية
وهو شرح الوقاية يحتاج الى ثلث نيات نية الصلوة التي
يدخل فيها ونية الاخلاص لله تعالى ونية استقبال القبلة و
قيل والصحيح ان استقبالها يغني عن النية وقيل ان كان
يصلي الى المحراب لا يشترط وان كان في الصحراء تشترط
وفي كتاب المستصفى الاصل في العبادات ان يكون النية
متصلة بها تحقيقا لمعنى الاخلاص الا ان في الصوم سقط
وصف الاتصال للحرج ولا ضرورة في الصلوة فوجب
ايصالها بها وشرط في الابتداء ليقع الكل منويا ولم
يشترط في حالة البقاء للحرج ايضا فصار حالة الابتداء
في الصوم نظير حالة بقاء الصلوة وابتداء الصلوة بالقيام
متردد بين العادة والعبادة فلا بد من التميز ليتحقق
الاخلاص المأمور وذكر لانه مأمور بالعبادة ولا وجود
لها الا بصفة الخلوص والخلوص لا يتحقق الا بالاخلاص

والاخلاص

مطلب
يحتاج الى ثلث نيات

والاخلاص ليس الا بجعل افعاله لله تعالى وذا لا يكون الا
بالنية وكذا العجب اذا وقع في عمل من الاعمال فانه يبطل
اجره وعمله لان المعجب يأمن مكر الله ولا يخاف من زوال ايمانه
واعماله والامن من عذاب الله كفر قال بعض المشايخ عبادة
صاحب الكبيرة ليست بمقبولة ولا اجر ولا ثواب لان كبيرته
يبطل اجرها وثوابها وتمنع قبولها والقبول والثواب
للصالح فقط واستدل بقول الامام الاعظم والرياء اذا
وقع في عمل من الاعمال فانه يبطل اجره وكذلك العجب فقال
الرياء والعجب يبطل اجر العمل فكذا سائر الكبائر حتى زعم
ان صلوة المرائي صحيحة غير مقبولة وصلوة صاحب الكبيرة
صحيحة غير مقبولة وكذا سائر عباداته وهذا الاستدلال
فاسد لان الرياء يمنع صحة الصلوة لعدم الاخلاص وكذا
يمنع صحة سائر العبادات المحضة وكذلك العجب يمنع صحة
الصلوة وغيرها لانه اما كفر في نفسه واما مؤد الى الكفر
والكفر تبطل جميع العبادات والكبيرة لا يبطلها ولا تبطل
ثوابها خلافا للمعتزلة كما مر قال صاحب الهداية في
كتاب السير في باب استيلاء الكفر والكفار والمحظور لغيره
اذا صلح سببا لكرامة تفوق الملك وهو الثواب
الاجل فما ظنك بالملك العاجل وقال صاحب الكفاية
قوله والمحظور لغيره اذا صلح سببا جواب عن قول
الخصم انه محظور قلنا نعم هو محظور الا انه محظور لغيره

لا يمنع الشيء من كونه سببا للملك كالبيع وقت النداء
ورد عليه ان المحظور لغيره وهو الصلوة في الارض
المغصوبة يصلح سببا لاستحقاق اعلى النعم وهو الثواب
في الاخرة فلان يصلح سببا للملك الدنيا اولى والايات
اي المعجزات للانبياء والخوارق التي تصدر عن الانبياء
تسمى ايات لان الله تع ربط بصدورها عنهم ان
يكون علامة ودليلا على نبوتهم وصدقهم والاية العلامة
والاصل اوية بالتحريك كذا في الصحاح قال سعد الدين
المعجزة ماخوذة من العجز المقابل للقدرة وحقيقة الاعجاز
اظهار العجز استعمل لاظهاره ثم اسند الى ما هو سبب
العجز وجعل اسما له فالتاء للنقل من الوصفية الى الاسمية
كما في الحقيقة وقيل للمبالغة كما في العلامة والمعجزة في
العرف امر خارق للعادة مقرون بالتحدي مع عدم المعا
رضة وانما قلنا امر ليتناول الفعل كانفجار الماء من
بين الاصابع وعدمه كعدم احراق النار ومن اقتصر
على الفعل وقال في التعريف المعجزة فعل او امر خارق
جعل المعجزة هنا كون النار بردا وسلاما على ابرهيم
وابقاء الجسم على ما كان عليه من غير احراق واحترز
بقيد المقارنة للتحدي عن كرامات الاولياء والعلامات
الارهاصية التي تقدم بعثة الانبياء واحترز بقيد
عدم المعارضة عن السحر والشعبذة ثم المراد بعدم المعارضة

اذ لا يظهر مثله ممن ليس بنبي واما من نبي اخر فلا امتناع
والتحدي طلب المعارضة فيما جعله هذا دعواه وكانت
معجزة كل نبي من جنس ما غلب على اهل زمانه وتفاخروا
به كالسحر في زمان موسى عم والطب في زمان عيسى عم
والموسيقى في زمان داود عم والفصاحة في زمان محمد
عليهم الصلوة والسلام والاحتمالات والتجويزات
العقلية لا تنافي العلوم العادية الضرورية القطعية
فنحن نقطع بحصول العلم بالصدق عقيب ظهور
المعجزة من غير التفات الى ما ذكر من الاحتمالات والسحر
امر خارق للعادة من نفس شريرة خبيثة بمباشرة اعمال
مخصوصة يجري فيه التعلم والتعليم وبهذين الاعتبارين
يفارق المعجزة والكرامة وبانه يختص ببعض الازمنة
او الامكنة او الشروط وبانه يتصدى لمعارضته ويبذل
الجهد في الاتيان بمثله وبان صاحبه ربما يعلن به الفسق
ويتصف بالرجس في الظاهر والباطن والخزي في الدنيا
والاخرة الى غير ذلك من وجوه المفارقة والكرامات
للاولياء اي الخوارق التي تصدر عن الاولياء تسمى
كرامات لان الله تع ربط بصدورها عنهم اكرامهم واعزازهم
قال الامام الرازي في تفسير سورة الكهف المعتمد الاولى
في بيانه الى ما هو عقلي وجهان الاول ان يكون
فعيلا مبالغة من الفاعل كالعليم والقدير ليكون

معناه من توالت طاعته من غير تخلل معصية والثاني
ان يكون فعيلا بمعنى مفعول كقتيل بمعنى مقتول وهذا
الذي يتولى الحق تع حفظه وحراسته على التوالي عن كل انواع
المعاصي ويديم توفيقه على الطاعات والولي هو القريب في اللغة
فاذا كان العبد قريبا من حضرة الله تع بسبب كثرة طاعته
وكثرة اخلاصه كان الرب قريبا منه برحمته وفضله واحسانه
فهناك حصلت الولاية المعرفة الثابتة اذا ظهر فعل
خارق للعادة على الانسان فذلك اما ان يكون مقرونا
بالدعوى او لا يكون مع الدعوى والقسم الاول وهو ان
يكون مع الدعوى فتلك الدعوى اما ان يكون دعوى الالهية
او دعوى النبوة او دعوى الولاية او دعوى السحر وطاعة
الشياطين فهذه اربعة اقسام القسم الاول ادعاء الالهية
وجوز اصحابنا ظهور خوارق العادة على يده من غير معارضة
كما نقل ان فرعون كان يدعي الالهية وكان يظهر خوارق العادة
على يده وكما نقل ذلك ايضا في حق الدجال قال اصحابنا وانما
جاز ذلك لان شكله وخلقته يدل على كذبه فظهور الخوارق
على يده لا يفضي الى التلبيس والقسم الثاني ادعاء النبوة
وهذا القسم على قسمين لانه اما ان يكون ذلك المدعي
صادقا او كاذبا فان كان صادقا وجب ظهور الخوارق على
يده وهذا متفق عليه بين كل من اقر بصحة نبوة الانبياء
واما اذا كان كاذبا فلم يجز ظهور الخوارق على يده وبتقدير

ان يظهر وجب لحصول المعارضة واما القسم الثالث وهو
ادعاء الولاية فالقائلون بكرامات الاولياء اختلفوا في انه هل
يجوز للولي ان يدعي الكرامة ثم انها تحصل على وفق دعواه
ام لا واما القسم الرابع وهو ادعاء السحر وطاعة الشيا
طين فعند اصحابنا يجوز ظهور خوارق العادات على يديه
وعند المعتزلة لا يجوز واما قسم الثاني وهو ان يظهر
خوارق العادات على يد انسان من غير شيء من الدعاوي فذلك
الانسان اما ان يكون صالحا مرضيا عند الله تع واما ان
يكون خبيثا مذنبا والاول هو القول بكرامات الاولياء
وقد اتفق اصحابنا على جوازه وانكرها المعتزلة الا
ابا الحسين البصري واما قسم الثاني وهو ان يظهر خوارق
العادات على بعض من كان مردودا عن طاعة الله تع
فهذا هو المسمى بالاستدراج فهذا تفصيل الكلام في
هاتين المقدمتين اذا عرفت ذلك فنقول الذي يدل
على صحة كرامات الاولياء القرآن والاخبار والآثار والمعقول
ومن اراد تفصيله فليطالع التفسير الكبير واما التي يكون
لاعدائه من الامور الخارقة للعادة مثل ابليس وفرعون
والدجال فما روي انه كان ويكون لهم فلا نسميها آيات فانها
للانبياء ولا كرامات فانها للاولياء اكراما لهم واحسانا
اليهم ولكن نسميها قضاء حاجاتهم ولما كان من
المستبعد عند العقول القاصرة قضاء حاجات اعدائه دفعه

في الاخبار صح

الامام الاعظم ذلك وبين الحكمة فيه وذلك لان الله يقضي
حاجات اعدائه استدراجا وعقوبة لهم فيغترون به ويزدادون
طغيانا وكفرا فيستحقون بذلك الاخذ الشديد قال الله تع
ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم انما نملي
لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين وذلك كله جائز ممكن
لا يستحيل في العقل وقوعه فان الله تع سيستدرجهم من حيث
لا يعلمون اعلم ان من اراد شيئا فاعطاه مراده لم يدل ذلك
على ان ذلك العبد صار وجيها عند الله سواء كانت العطية
على وفق العادة او لم يكن بل قد يكون ذلك اكراما للعبد و
قد يكون استدراجا ومعنى الاستدراج ان يعطيه الله تع
كل ما يريده في الدنيا ليزداد غيه وضلاله وجهله وعناده فيزداد
كل يوم بعدا من الله وتحقيقه انه ثبت في العلوم العقلية ان
تكرار الافعال سبب لحصول الملكة الراسخة فاذا مال قلب
العبد الى الدنيا ثم اعطاه الله مراده فحينئذ يصل الطالب
الى المطلوب وذلك يوجب حصول اللذة وحصول اللذة
يزيد في الميل الى ما حصول الميل يوجب مزيد الشوق ولا يزال
يتأدى كل منهما الى الاخر ويتقوى كل واحدة من هاتين
الحالتين درجة ومعلوم ان الاشتغال بهذه اللذات العاجلة
الفانية مانع من مقامات المكاشفات ودرجات المعارف فلاجرم
يزداد بعده من الله درجة فدرجة الى ان يتكامل فهذا هو
الاستدراج بقي علينا ان نذكر الفرق بين الكرامات وبين الاستدراج

فيقول

فنقول صاحب الكرامات يصير خوفه من الله تع اشد وحذره
من قهر الله اقوى فانه يخاف ان يكون ذلك من باب
الاستدراج واما صاحب الاستدراج فانه يستأنس
بتلك التي تظهر عليه ويظن انه انما وجد تلك الكرامة
لانه كان مستحقا لها فحينئذ يستحقر غيره ويتكبر عليه
ويحصل له امن من مكر الله وعقابه ولا يخاف سوء العا
قبة فاذا ظهر شيء من هذه الاحوال على من يظن انها وجد
كرامة دل ذلك على انه كان استدراجا لا كرامة فلاجرم ترى
المحققين يخافون من الكرامات كما يخافون من اشد انواع
البلاء لان اكثر ما وقع من الانقطاع عن حضرة الله
انما وقع في مقام الكرامات قال الاستاذ ابو بكر بن فورك
الولي لا يعرف كونه وليا وقال الاستاذ ابو علي الدقاق
وتلميذه ابو القاسم القشيري يجوز ان يعرف حجة المانعين
وجوه الحجة الاولى لو عرف الولي كونه وليا لحصل له
الامن بدليل قوله تع الا ان اولياء الله لا خوف عليهم
ولا هم يحزنون لكن حصول الامن غير جائز بدليل
قوله تع فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون الحجة الثانية
ان الولي لا يعرف كونه وليا لان الولي انما يصير وليا لا
جل ان الحق تع يحبه لا لاجل انه يحب الحق تع وكذلك
القول في العدو ثم ان محبة الخالق وعداوته سران
لا يطلع عليهما احد فطاعات العباد ومعاصيهم لا تؤثر

في محبة الحق تعالى وعداوته لان الطاعات والمعاصي محدثة
وصفات الحق قديمة غير متناهية والمحدث المتناهي لا يصير
غالبا على القديم الغير المتناهي وعلى هذا التقدير فربما يكون
العبد في الحال في غير الطاعة ويكون نصيبه في الازل عين
العداوة وبالعكس وتمام التحقيق ان محبته وعداوته
صفة وصفة الحق تعالى غير معللة ومن كانت محبته لا لعلة
يمتنع ان يصير محبا لعلة الطاعة ومن كانت عداوته لا
لعلة يمتنع ان يصير عدوا لعلة المعصية ولما كانت محبة
الحق تعالى وعداوته سرين لا يطلع عليهما لا جرم قال عيسى عم
تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك انك انت علام الغيوب
الحجة الثالثة على ان الولي لا يعرف كونه وليا ان الحكم بكونه
وليا ان الحكم بكونه وليا بكونه من اهل الثواب والجنة يتوقف
على الخاتمة والدليل عليه قوله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر
امثالها ولم يقل من عمل حسنة فله عشر امثالها وهذا يدل
على ان استحقاق الثواب مستفاد من الخاتمة لا من اول العمل
والذي يؤكد ذلك انه لو مضى عمره في الكفر ثم اسلم في اخر ال
العمر كان من اهل الثواب وبالضد وهذا يدل على ان
المعتبر بالخاتمة لا باول العمل ولهذا قال تعالى قل للذين كفروا
ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف فثبت ان المعتبر في
الولاية والعداوة وكونه من اهل الثواب ومن اهل
العقاب بالخاتمة فظهر ان الخاتمة غير معلومة لاحد

فوجب

فوجب القطع بان الولي لا يعرف كونه وليا واما الذين قالوا
ان الولي قد يعرف كونه وليا فقد احتجوا على صحة قولهم
بان الولاية لها ركنان احدهما كونه في الظاهر منقادا
للشريعة والثاني كونه في الباطن مستغرقا في نور الحقيقة
فاذا حصل الامران وعرف الانسان حصولهما عرف
لا محالة كونه وليا اما الانقياد في الظاهر للشريعة
فظاهر واما استغراق الباطن في نور الحقيقة فهو ان
يكون فرحه بطاعة الله واستيناسه بذكر الله وان لا
يكون له استقرار مع شيء سوى الله والجواب ان مداخل
الاغلاط في هذا الباب كثيرة غامضة والقضاء عسير
والتجربة خطر والجزم غرر ودون الوصول الى عالم الربوبية
ظلمات تارة من النيران واخرى من الانوار والله العالم
بحقائق الاسرار والكل منقول من التفسير الكبير ذكر
الامام فخر الرازي في سورة الكهف كان الله خالقا قبل
ان خلق ورازقا قبل ان يرزق ذكره الامام الاعظم
ابو حنيفة رحمه في هذا الكتاب هذا الكلام للتاكيد لانه
من مزالق الاقدام ومضايق الاجسام تتحير الاوهام
في وجود التخليق بدون المخلوق وفي وجود الترزيق
بدون المرزوق وهذه المسالة التكوين المشهور
القول به عن الشيخ ابي منصور الماتريدي واتباعه
من العلماء الحنفية وهم ينسبون الى قدمائهم الذين

كانوا قبل ابي الحسن الاشعري حتى قالوا ان قول ابي جعفر
الطحاوي في كتاب العقائد الذي صنفه رحمه الله تعالى قالوا ان
الربوبية ولا مربوب وللخالقية ولا
مخلوق اشارة الى هذا وفسروه باخراج المعدوم من العدم
الى الوجود ثم المنتهي في اثبات ازليته ومغايرته للقدرة
وكونه غير المكون وان ازليته لا يستلزم ازلية المكونات
والعمدة في اثباته ان الباري تعالى مكون الاشياء اجماعا
وهو بدون صفة التكوين محال كالعالم بلا علم ولابد
ان يكون ازليا لامتناع قيام الحوادث بذات الله تعالى ثم تختلف
اسماؤه بحسب اختلاف الاثار فمن حيث حصول المخلوقات
يسمى تخليقا والارزاق ترزيقا والصور تصويرا والحياة
احياء والموت اماتة الى غير ذلك واستدلوا ايضا بان
الباري تعالى تمدح في كلامه الازلي بانه الخالق الباري المصور
فلو لم يثبت التخليق والترزيق والتصوير في الازل لكان
تمدحا من الله بما ليس فيه وهو محال ولزم اتصافه بصفة
الكمال بعد خلوه عنها وهو عليه محال فان قيل التكوين
هو الاحداث والايجاد اي اخراج المعدوم من العدم الى الوجود
ولا خفاء في انه اضافة يعتبرها العقل من نسبة المؤثر
الى الاثر فلا يكون موجودا عينيا ثابتا في الازل وانه لو كان
ازليا لزم ازلية المكونات ضرورة امتناع التاثير بالفعل
بدون الاثر قلنا المراد بالتكوين صفة ازلية بتكوين الاشياء

بها في اوقاتها

بها في اوقاتها وخروجها عن العدم الى الوجود ليست نفس القدرة
لان مقتضى القدرة ومتعلقها انما هو صحة المقدور وكونه
ممكن الوجود ومقتضى التكوين ومتعلقه وجود المكون
في وقته على انه ان اريد بالتكوين نفس الاحداث والاخراج
من العدم فازليته لا يستلزم ازلية المخلوق لانه لما كان
ازليا دائما مستمرا الى زمان وجود المخلوق وترتبه
عليه لم يلزم من انفكاك الاثر عن المؤثر وتخلف المعلول
عن العلة في شيء ولم يكن كالضرب بلا مضروب والكسر بلا
مكسور وانما يلزم ذلك في التكوين الذي يكون من الاعراض
التي لا بقاء لها فقد قال الشيخ الامام الناصري في شرح كتاب العقائد
الذي صنفه ابو جعفر الطحاوي فقد ثبت عند علماء الائمة
وحفاظهم العارفين بمذاهب السلف ان من انتمى الى ابي حنيفة
ولم يثبت قدم صفات الذات وقدم صفات الفعل جميعا ولم
يثبت ازلية كلام الله تعالى ولم يؤمن بالقدر خيره وشره فليس
هو من مذهب ابي حنيفة رحمه الله في شيء وقال الشيخ الامام
عمر النسفي الحنفي في تفسير سورة الفاتحة انه تعالى مستحق
حمد الكل اذ هو خالقهم ومربيهم ومالكهم وليس وجود
ربوبيته بوجودهم فهذا كان تعالى رب العالمين قبل ان
يكونوا ويكون رب العالمين بعد ان يبيدوا وكان
خالقا قبل وجود المخلوقات صانعا قبل وجود المصنوعات
قادرا قبل وجود المقدورات قاهرا قبل وجود المقهورات رازقا

قبل وجود المرزوقين راحما قبل وجود المرحومين
مذكورا قبل وجود الذاكرين مشكورا قبل وجود
الشاكرين محمودا قبل وجود الحامدين معبودا قبل
وجود العابدين مجيبا قبل دعوات الداعين غنيا
قبل وجود السموات والارضين ملكا قبل وجود المملكة
والمملوكين باقيا بعد فنا الخلق اجمعين وقال
هذا الكلام هو خالق لم يزل ورحيم لم يزل وسميع
لم يزل وكذلك يقول هو رب كل شيء واله كل شيء في
الازل وان كانت الاشياء حادثة كما قال مالك يوم
الدين والله تع يرى على صيغة المجهول في الاخرة
والاخرة تانيث الاخر الذي هو نقيض الاول وهي صفة
الدار بدليل قوله تع تلك الدار الاخرة وهي من الصفات
التي غلبت عليها الاسمية وكذلك الدنيا وانما سميت
بالاخرة لتاخرها عن الدنيا وانما سميت بالدنيا لدنوها
وقربها من الاخرة واولها من وقت الحشر الى ما لا يتناهى
وهو الابد الدايم الذي لا ينقطع اصلا ويراه المؤمنون
وهم في الجنة والله تع ليس في الجنة اي كما يبقى في
الجنة فيكون حالا من فاعل يرى ولا يجوز ان يكون
حالا من مفعول يرى لفساد المعنى باعين روسهم
خلافا للمعتزلة بلا تشبيه ولا كيفية خلافا للمشبهة
والمجسمة ولا يكون بينه وبين خلقه مسافة حسية

بونه والمسافة في اللغة البعد والمراد بها هاهنا
الجهة والمكان والمقابلة وفي المصابيح من الصحاح
قال رسول الله صلى الله تع عليه وسلم انكم سترون ربكم
عيانا وقال جرير بن عبد الله كنا جلوسا عند رسول الله
فنظر الى القمر ليلة البدر فقال انكم سترون ربكم
كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته وعن
صهيب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل اهل
الجنة الجنة يقول الله تبارك وتع تريدون
شيئا ازيدكم فيقولون الم تبيض وجوهنا الم
تدخلنا الجنة وتنجينا من النار قال النبي صلى الله عليه
وسلم فيرفع الحجاب فينظرون الى وجهه فما اعطوا
شيئا احب اليهم من النظر الى ربهم ثم النبي صلى الله
عليه وسلم للذين احسنوا الحسنى وزيادة من الحسان
عن عمر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله تع
عليه وسلم ان ادنى اهل الجنة منزلة لمن ينظر الى جنانه
وازواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة الف سنة
واكرمهم على الله من ينظر الى وجهه غدوة وعشية
ثم قرأ عليه الصلوة والسلام وجوه يومئذ ناضرة
الى ربها ناظرة وعن ابي رزين العقيلي قال قلت
يا رسول الله عليه الصلوة والسلام اكلنا يرى ربه مخليا
يوم القيمة وما اية ذلك في خلقه قال يا ابا رزين اليس

كلكم ترى القمر ليلة البدر مخليا به قال بلى قال رسول الله
عليه الصلوة والسلام فانما هو خلق من خلق الله والله
اجل واعظم الي هنا من المصابيح قال الامام فخر الرازي
في كتاب الاربعين مذهبنا في هذه المسئلة ما اختاره
الشيخ ابو منصور الماتريدي السمرقندي وهو انا لا نثبت
صحة رؤية الله بالدليل العقلي بل نتمسك في هذه
المسئلة بظواهر القران والاحاديث فاذا اراد الخصم
تاويل هذه الظواهر وصرفها عن ظواهرها بوجوه
عقلية يتمسك بها في نفي الرؤية اعترضنا على دلائلهم
وبينا ضعفها ومنعناهم من تاويل هذه الظواهر
وقال فخر الاسلام علي البزدوي في اصول الفقه ومثال
المتشابه رؤية الله تعالى بالابصار عيانا في الاخرة
بنص القران بقوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها
ناظرة ولانه موجود بصفات الكمال وان يكون مرئيا
لنفسه ولغيره من صفات الكمال والمؤمن للاكرام بذلك
اهل لكن اثبات الجهة ممتنع فصار متشابها بوصفه
فوجب تسليم المتشابه على اعتقاد الحقية فيه وقال
شمس الائمة السرخسي في اصول الفقه ان رؤية الله تعالى
بالابصار في الاخرة معلوم ثابت بالنص وهو قوله تعالى
وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ثم هو موجود
بصفات الكمال في كونه مرئيا لنفسه ولغيره معنى الكمال الا ان

الجهة

الجهة ممتنعة فان الله تعالى لا جهة له فكان متشابها
فيما يرجع الى كيفية الرؤية والجهة مع كون اصل
الرؤية ثابتا بالنص معلوما كرامة للمؤمنين فانهم
اهل لهذه الكرامة والتشابه فيما يرجع الى الوصف
لا يقدح في العلم بالاصل ولا يبطله وقال ولا يجوز الصلوة
خلف من ينكر شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم وينكر
الكرام الكاتبين وعذاب القبر وكذا من ينكر الرؤية
لانه كافر وان قال لا يرى لجلاله وعظمته فهو مبتدع
والايمان في اللغة التصديق وهو قبول خبر المخبر
بالقلب ومعناه بالفارسية كرويدن وبالتركية انانمق
وفي الشرع هو الاقرار باللسان والتصديق
بالجنان بجميع ما علم كونه من دين الاسلام بالتواتر و
بالسماع من فم الرسول عليه الصلوة والسلام ويكفي الاجمال
فيما يلاحظ اجمالا ويشترط التفصيل فيما يلاحظ تفصيلا
فمن اراد ان يكون من امة محمد صلى الله عليه وسلم فقال
بلسانه لا اله الا الله محمد رسول الله وصدق بقلبه معناه
فهو مؤمن وان لم يعرف الفرائض والمحرمات ثم قيل له ان
الصلوة الخمس في كل يوم فرض عليك فان صدق فرضيتها
وقبلها فهو ثابت على ايمانه وان انكرها ولم يقبلها
فهو كافر وكذلك على سائر الفرائض والمحرمات الثابتة بدليل
قطعي من الكتاب والسنة والاجماع قال الامام الغزالي

في كتاب العلم من كتب الاحيا فاذا بلغ الرجل العاقل بالاحتلام
او السن فاول واجب عليه تعلم كلمتي الشهادة وفهمه وهو
قول لا اله الا الله محمد رسول الله وليس يجب عليه ان يحصل
كشف ذلك لنفسه بالنظر والبحث وتحرير الادلة بل يكفيه ان
يصدق به ويعتقده جزما من غير اختلاج ريب واضطراب
نفس وذلك قد يحصل بمجرد التقليد والسماع من غير
بحث وبرهان اذ اكتفى رسول الله صلى الله عليه وسلم
من اجلاف العرب بالتصديق والاقرار من غير تعليم و
دليل وقال بعد هذا الكلام واما الاعتقادات واعمال
القلوب فيجب علمها بحسب الخواطر فان خطر له شك
في المعاني التي يدل عليها كلمتا الشهادة فيجب عليه تعلم
ما يتوصل به الى ازالة الشك فان لم يخطر له ذلك ومات
قبل ان يعتقد ان كلام الله قديم مرئي وانه ليس محلا
للحوادث الى غير ذلك مما يذكر في المعتقدات فقد مات على الاسلام
اجماعا وقال الامام النسفي في كتاب التيسير في قوله تعالى قالوا
امنا بالله وما انزل الينا وهو دليل على الاقرار شرط
وفيه اشتراط التصديق وقال فخر الاسلام في اصول الفقه
اما الايمان والاسلام فان تفسيره التصديق والاقرار
بالله كما هو بصفاته واسمائه وقبول احكامه وشرايعه
وقال صدر الشريعة في التوضيح واما الاسلام فهو
التصديق والاقرار وهو نوعان ظاهر يثبت بين المسلمين

وثابت

وثابت بالبيان بان يصف الله تعالى كما هو لا ان في
اعتباره على سبيل التفصيل حرجا فيكفي الاجمال
بان يصدق بجميع ما اتى به النبي صلى الله عليه وسلم فلهذا
قلنا الواجب ان يستوصف فيقال اهو كذا وكذا فاذا
قال نعم يكمل ايمانه اي لاجل ان الاجمال كان بناء على ان
الحرج مرفوع في الدين قلنا ان الواجب الاستيصاف
وليس المراد بالاستيصاف ان نسأله عن صفات
الله تعالى او نسأله عن الايمان ما هو وما صفته فان هذا
بحر عميق تغرق فيه العقول الافهام ولا يكاد العلماء
يعلمون صفات الله تعالى بل المراد ان نذكر صفات الله التي يجب
ان يعرفها المؤمن ونسأله اهو كذلك اي اتشهد
ان الله موصوف بالصفات المذكورة فيقول نعم فيكمل ايمانه
انتهى كلامه والصفات التي يجب ان يعرفها المؤمن الحيوة
والقدرة والعلم والكلام والسمع والبصر والارادة
والتخليق وقال سعد الدين في شرح المقاصد وكون
الاقرار ركنا من الايمان ملحقا باصله انما هو عند بعض
العلماء كشمس الائمة السرخسي وفخر الاسلام وكثير من الفقهاء
وعند بعضهم الايمان هو التصديق وحده والاقرار شرط
لاجراء الاحكام في الدنيا حتى لو صدق بالقلب ولم يقر
باللسان مع تمكنه منه كان مؤمنا عند الله تعالى وايمان اهل
السماء والارض لا يزيد ولا ينقص يعني ان ايمان الملائكة

مطلب لان من قال آمنت

وايمان الانبياء في الجنة ولا يزيد ولا ينقص في الدنيا والاخرة
من جهة المؤمن به لان من قال امنت بالله وبما جاء من
عند الله وامنت برسول الله وبما جاء من عند رسول
الله فقد امن بجميع ما يجب الايمان به فهو مؤمن ومن امن
ببعض ما يجب الايمان به كمن امن بالله وملائكته وكتبه و
رسله ولم يؤمن باليوم الاخر وانكر الحشر الاجساد فهو كافر
ولو امن زيد بالله وملائكته ولم يؤمن بغير ذلك وكان
مؤمنا وامن عمرو بالله وملائكته وكتبه ورسله ولم يؤمن باليوم
الاخر كان مؤمنا لجاز زيادة الايمان ونقصانه لصار ايمان
زيد ناقصا وايمان عمرو زايدا وهو باطل بدليل قوله تعالى
ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين
الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون
ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقا فلا
فرق بين من يؤمن ببعض المؤمن به وبين من يكفر بكل المؤمن به
في كونهما كافرا حقا والمؤمنون مستوون في الايمان
بما يجب عليهم ان يؤمنوا به والتوحيد لانه يجب عليهم ان
يعتقدوا ان الله واحد لا شريك له والتوحيد نفي الشركة
في الالوهية والربوبية والخالقية والازلية والقدمية
والقيومية والصمدية فمن نفى الشركة في بعضها
دون بعض فهو مشرك لا موحد فلا يزيد التوحيد ولا
ينقص من هذا الوجه اما من وجه التقليد والاستدلال

فيزيد

فيزيد وينقص اذ ليس توحيد المقلد الاعمى كتوحيد المستدل
البصير وليس توحيد المستدل بالادلة العقلية كتوحيد
العارف الواصل الى المكاشف والواردات والمعارف
الالهامية والعلوم اللدنية وكذلك لا يستوي ايمانهم
من هذا الوجه قال الله تعالى قل هل يستوي الاعمى والبصير
افلا تتفكرون قل هل يستوي الذين يعلمون والذين
لا يعلمون لا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة اصحاب
الجنة هم الفائزون فلا يستوي من هو محترق بنار الشبهات
والشهوات والجهالات ومن هو متمكن في جنة العلوم
والمعارف والمكاشف والواردات والتصديق اليقيني
الذي لا شك فيه فيحصل طمانينة النفس اليه فليس طمانينة
النفس الى ان الاثنين اكثر من واحد كطمانينتها
الى ان العالم حادث وان كان لا شك في واحد منهما
بل اليقينيات تختلف في درجات الايضاح ودرجات
طمانينة النفس اليها وفي الحديث يخرج من النار من قلبه
مثقال ذرة من الايمان وفي حديث اخر مثقال دينار فاي
معنى لاختلاف مقاديره ان كان ما في القلب لا يتفاوت
متفاضلون ومتفاوتون في الاعمال اي الطاعة الظاهرة
والباطنة وهذا يدل على ان العمل الصالح ليس جزءا
من الايمان لان العمل يزيد وينقص لان بعض الناس يصلي
الصلوات الخمس كلها وبعضهم يصلي بعضها وصلاة من يصلي

لتحقق كلها صلوات صحيحة وصلوة من صلى بعضها صلوة
صحيحة لا باطلة وصوم من صام رمضان كله صوم
صحيح وصوم من صام رمضان كله صوم صحيح
وصوم من صام رمضان الى نصفه صوم صحيح لا باطل
وقس على هذا هذا سائر الاعمال من الوظائف والنوافل
فالايمان ليس كذلك لان ايمان من امن ببعض المؤمن
به ليس بايمان صحيح بل هو باطل كصوم من صام بعض
يوم واحد ثم افطر قاله الامام الغزالي في كتاب قواعد
العقائد من كتب الاحياء فان قلت فقد مال الاختيار
الى ان الايمان حاصل بمجرد العمل وقد اشتهر عن السلف
قولهم الايمان عقد وقول وعمل فما معناه قلنا لا يبعد
ان يعد العمل من الايمان لانه مكمل له كما يقال الرأس
واليدان من الانسان ومعلوم انه يخرج عن كونه انسانا
بعدم الرأس ولا يخرج عنه بكونه مقطوع اليد وكذلك
يقال التسبيحات والتكبيرات من الصلوة وان كانت
لا تبطل بفقدها فالتصديق بالقلب من الايمان كالقلب
من وجود الانسان اذ ينعدم بعدمه وبقية الطاعات
كالاطراف بعضها اجل من بعض وقد قال رسول عليه الصلوة
والسلام لا يزني الزاني وهو مؤمن والصحابة ما اعتقدوا
مذهب المعتزلة في الخروج عن الايمان ولكن معناه انه غير
مؤمن حقا ايمانا تاما كاملا كما يقال للعاجز المقطوع

الاطراف

الاطراف انه ليس بانسان اي ليس له الكمال الذي هو وراء
الحقيقة الانسانية فان قلت فقد اتفق السلف على
ان الايمان يزيد وينقص يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية
واذا كان الايمان هو التصديق فلا يتصور فيه زيادة
ولا نقصان فاقول السلف هم الشهود العدول وليس
لاحد عن قولهم عدول فما ذكروه حق وانما الشان
في فهمه وفي قولهم دليل على ان العمل ليس من اجزاء الايمان
واركان وجوده بل هو مزيد عليه يزيد به والزائد
موجود والناقص موجود والشيء لا يزيد بذاته فلا
يجوز ان يقال الانسان يزيد برأسه بل يقال يزيد بلحيته وسمنه
ولا يجوز ان يقال الصلوة يزيد بالركوع والسجود بل يزيد
بالسنن والاداب فهذا تصريح بان الايمان له وجود بدون
العمل ثم بعد الوجود يختلف حاله بالزيادة والنقصان فان
قلت فالاشكال قائم في ان التصديق كيف يزيد وينقص
وهو خصلة واحدة فاقول اذا تركنا المداهنة وكشفنا
الغطاء ارتفع الاشكال فنقول الايمان اسم مشترك يطلق
من ثلاثة اوجه الاول ان الايمان يطلق على التصديق بالقلب
على سبيل الاعتقاد والتقليد من غير كشف وانشراح صدر
وهو ايمان الخلق كلهم الا الخواص وهذا الاعتقاد تارة
يشتد ويقوى تارة يضعف ويسترخي كالعقدة على الخيط
مثلا ولا تستبعد هذا واعتبر باليهودي في صلابته

في عقيدته التي لا يمكن نزعها منه بتخويف ووعظ وبرهان
وكذا النصراني والمبتدع ومنهم من يمكن تشكيكه
بادنى كلام ويمكن استنزاله عن اعتقاده بادنى استماله
او تخويف مع انه غير شاك في اعتقاده كالاول ولكنهما
يتفاوتان في شدة التصميم وهذا موجود في الاعتقاد
الحق ايضا والعمل الصالح يؤثر في نماء هذا التصميم و
زيادة كما يؤثر الماء في نماء الاشجار وزيادتها الاطلاق
الثاني ان يراد بالايمان التصديق والعمل جميعا كما قال
عليه الصلوة والسلام الايمان بضع وسبعون بابا وكما
قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني وهو مؤمن
واذا دخل العمل في مقتضى لفظ الايمان لم يخف زيادته
ونقصانه وهل يؤثر ذلك في زيادة الايمان الذي هو
مجرد التصديق هذا فيه نظر وقد اشرنا الى انه يؤثر
فيه الاطلاق الثالث ان يراد بالايمان التصديق اليقيني
على سبيل الكشف وانشراح الصدر والمشاهدة بنور
البصيرة وهذا ابعد الاقسام عن قبول الزيادة ولكن اقول
التصديق اليقيني الذي لا شك فيه يختلف طمانينة
النفس اليه فليس طمانينة النفس الى ان الاثنين اكثر
من واحد كطمانينتها الى ان العالم مصنوع حادث
وان كان لا شك في واحد منهما على اليقينيات تختلف في
درجات الايضاح ودرجات طمانينة النفس اليها وقد تعرضنا

لهذا

لهذا في فصل اليقين من كتاب العلم في باب علامات العلماء
الاخرة فلا حاجة الى الاعادة وقد ظهر في جميع الاطلاقات
ان ما قالوه من زيادة الايمان ونقصانه حق وهذا تحقيق الامام
الغزالي بهذه المسئلة وفي تفسير القاضي قال بلى ولكن
ليطمئن قلبي اي بلى امنت ولكن سالت لازيد بصيرة
وسكون قلب بمضامة العيان الى الاستدلال وفي معالم
التنزيل قال ابو سليمان الخطابي ليس في قول النبي صلى الله عليه
وسلم نحن احق بالشك من ابراهيم اعتراف بالشك
على نفسه ولا على ابراهيم ولكن نفي الشك عنهما يقول
النبي صلى الله عليه وسلم اذا لم اشك انا في قدرة الله
على احياء الموتى فابراهيم اولى ان لا يشك وقال
النبي صلى الله عليه وسلم ذلك من سبيل التواضع وفيه
اعلام ان المسئلة من ابراهيم لم تعرض من جهة الشك
لكن لطلب زيادة العلم بالعيان فان العيان يفيد
من المعرفة والطمانينة ما لا يفيد الاستدلال وفي تفسير
الكواشي ولكن ليطمئن قلبي اي ليسكن قلبي ويصير
علم اليقين بالاستدلال عين اليقين بالمشاهدة
وليس ما يصل الى القلب بالخبر كالذي يصل اليه
بالنظر لان الكذب في الخبر ممكن وفي النظر غير ممكن
اقول النظر على ضربين نظر بظاهر العين ونظر بعين
القلب وهذا قد يكون اقوى واوضح من الاول

وقال الامام الغزالي في كتاب التوبة من كتب الاحيا وهذا
كلام قد انكشف لارباب القلوب انكشافا اذا اتضح
من المشاهدة بالبصر اذ البصر يمكنه الغلط اذ قد يرى
البعيد قريبا والكبير صغيرا ومشاهدة القلب لا يمكن الغلط
فيها وانما الشأن في الانفتاح بصيرة القلب والا فما
يرى بها بعد الانفتاح لا يتصور فيه الكذب واليه الاشارة
بقوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى وقال في كتاب ذم الغرور
من كتب الاحيا ولا تظنن ان معرفة النبي صلى الله عليه وسلم
لامر الآخرة وللامور الدينية تقليد لجبريل عليه السلام بالسماع
كما ان معرفتك تقليد النبي صلى الله عليه وسلم حتى يكون
معرفتك كمعرفته هيهات فان التقليد ليس بمعرفة
بل هو اعتقاد صحيح والانبياء عارفون ومعنى معرفتهم
انه كشف لهم حقيقة حقائق الاشياء كما هي عليه فشاهدوها
بالبصيرة الباطنة كما تشاهد انت المحسوسات بالبصر
الظاهر فيخبرون عن مشاهدة لا عن سماع وتقليد
وفي شرح المواقف قال رب ارني كيف تحيي الموتى والشك
في قدرة الله على احياء الموتى كفر والجواب ان ذلك السؤال
لم يكن عن شك في الاحيا والقدرة عليه بل في الآية مصرح
بانه انما طلب لازدياد علمه اليقيني من الطمأنينة ما ليس في
علم اليقين فانه للوهم باحراز الوساوس والدغدغة سلطانا
سلطانا على القلب عند علم اليقين فانه للوهم باحراز الوساوس

وقد يقال

وقد يقال انما سأل عن كيفية الاحياء لا عن الاحيا لان
الاحاطة بالكيفية المفصلة اقوى وارسخ من المعرفة
الاجمالية المفضية الى التردد بين الكيفيات المتعددة
مع الطمأنينة في اصل الاحيا والقدرة عليه وقال
سعد الدين في شرح الكشاف والاصوب واليه ذهب
المصنف ان نفس التصديق مما يقبل الزيادة والنقصان
للفرق الظاهر بين يقين الانبياء وارباب المكاشفات
ويقين آحاد الامة ولهذا قال امير المؤمنين علي
لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا وكذا بين ما قام
عليه دليل واحد وبين ما قام عليه ادلة كثيرة وقال
الامام الغزالي في كتاب التوكل من كتاب الاحيا لا تتم
التوكل الا بقوة القلب وقوة اليقين جميعا اذ بهما
يحصل سكون القلب وطمأنينته فالسكون في القلب
شيء واليقين شيء آخر فكم من يقين لا طمأنينة معه
كما قال تعالى اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي فالتمس
ان يكون مشاهدا احيا الموتى بعينه لتثبت في خياله فان
النفس تتبع الخيال وتطمئن به ولا تطمئن باليقين في
ابتداء امرها الى ان تبلغ بالآخرة درجة النفس المطمئنة
وذلك لا يكون في البداية اصلا وكم من مطمئن لا يقين
له كسائر ارباب الملل والمذاهب فان اليهودي مطمئن
القلب الى تهوده وكذا النصراني والمبتدع ولا يقين

لهم اصلا وانما يتبعون الظن وما تهوى الانفس ولقد
جاءهم من ربهم الهدى وهو سبب اليقين الا انهم معرضون
عنه وفي شرح المواقف الايمان هل يزيد وينقص اثبته
طائفة ونفاه اخرون والحق ان التصديق لا يقبل الزيادة
والنقصان بوجهين اي بحسب الذات وبحسب المتعلق الاول
القوة والضعف فان التصديق من الكيفيات النفسانية
المتفاوتة قوة وضعفا قولكم الواجب اليقين والتفاوت
لا يكون الا لاحتمال النقيض قلنا لا نسلم ان التفاوت لذلك
الاحتمال فقط اذ يجوز ان يكون بالقوة والضعف بلا احتمال
النقيض ثم ذلك الذي ذكرتموه يقتضي ان يكون ايمان
النبي صلى الله عليه وسلم وآحاد الامة سواء وانه باطل
اجماعا ولقول ابراهيم ع م اي ذلك الذي ذكرتموه ليس
بصحيح لاقتضائه تلك المساواة ولقول ابرهيم ع م و
لكن ليطمئن قلبي فانه يدل على قبول التصديق اليقيني
للزيادة كما سلف تقريره والظاهر ان الظن الغالب الذي
لا يخطر معه احتمال النقيض بالبال حكمه حكم اليقين في كونه
ايمانا حقيقيا فان ايمان اكثر العوام من هذا القبيل وعلى
هذا فكون التصديق الايماني قابلا للزيادة والنقصان
واضح وضوحا تاما الثاني من وجهي التفاوت اعني ما
هو بحسب المتعلق ان يقال التصديق التفصيلي في افراد
ما علم مجيئه به جزء من الايمان يثاب عليه ثوابه على التصديق

بالاجمال

بالاجمال يعني ان افراد ما جاء به الرسول عليه الصلوة والسلام
متعددة وداخلة في التصديق الاجمالي فاذا علم واحد
منها بخصوصه وصدق به كان تصديقا مغايرا لذلك
التصديق الاجمالي جزءا من الايمان ولا شك ان التصديقات
التفصيلية يقبل الزيادة فكذا الايمان والنصوص كقوله
تع اذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا دالة على قبول
لهما اي على قبول الايمان للزيادة والنقصان بالوجه
الثاني كما ان النص وهو قوله ولكن ليطمئن قلبي دل على
قبول لهما بالوجه الاول اي بحسب الذات انتهى كلام
قال بعض الشراح المراد في قول الامام الاعظم الايمان
لا يزيد ولا ينقص انما هو باعتبار المتعلق وهو المؤمن
به والتصديق التفصيلي ليس زايدا على الايمان الاجمالي
في عصر النبي صلى الله عليه وسلم وغيره لانه اذا نزل فرض
بعد فرض ووقع الاطلاع على تفصيل متعلقات الايمان
فالايمان انما هو تصديق ذلك المجموع لا ان يكون التصديق
الاجمالي ايمانا والتصديق التفصيلي زايدا عليه وهذا
مثل قراءة المصلي في الصلوة فانه اذا قرء اية واحدة
فتلك الاية فرض وان زاد عليها اية اخرى او ايات
والفرض هو المجموع لا انه يكون اية واحدة فرضا والباقية
زيادة عليه اي على الفرض واما ما ورد من الايات الدالة على
زيادة الايمان فلعل المراد بها التفاوت في الكيفية والاعتقاد

في القوة والضعف وقال بعضهم لما كان الايمان
بالتفاصيل برمّتها اجمالا حاصلا في حال ما لا اطلاع
عليها لم ينقلب من النقصان الى الزيادة بل من الاجمال
الى التفصيل فقط بخلاف ما في عصر النبي صلى الله عليه وسلم
فان الايمان فيه كان عبارة عن التصديق بجملة ما جاء به
النبي عليه الصلاة والسلام من عند الله فكلما ازداد من ان
التفصيلي ازيد ممنوع وما ذكر من ان الايمان التفصيلي
اكمل واقوى مسلم لان التفصيل اوقع في النفس واثبت
الا انه لا يفيد زيادة الايمان واجزائه واركانه والتصديق
التفصيلية كلها ركن واحد للايمان وركنه الثاني هو الاقرار
ولا يوجد للايمان ركن ثالث والسجود المكرر في ركعة
واحدة ركن واحد ولا يجوز ان يقال يزيد الصلاة بكون
السجود مكررا وينقص بكون السجود واحدا فكذا
لا يجوز ان يقال يزيد الايمان بكون التصديق تفصيليا
وينقص بكون التصديق اجماليا فثبت ان الايمان لا يزيد
ولا ينقص بحسب المتعلق بل يكفي ان لم يؤمن بالايمان التفصيل
فيما علم تفصيلا لانه فرض يزول الايمان الاجمالي بتركه
الايمان التفصيلي عند علمه ولو كان الايمان التفصيلي
سنة او مستحبا لزاد الايمان بوجوده ونقص بعدمه والاسلام
هو التسليم والانقياد لاوامره تعالى في الصحاح التسليم
بذل الرضاء بالحكم والسلم اي دخل في السلم وهو الاستسلام

واستسلم

واستسلم اي انقاد والمسالمة المصالحة والسلم الصلح
يفتح ويكسر والانقياد والخضوع والخضوع التطامن و
التواضع فمعنى الكلام هو الرضا باحكام الله في الفرائض
والمحرمات اي هو الرضاء بحكم الله بكون بعض الاشياء
فرضا وبكون بعض الاشياء حلالا وبكون بعض الاشياء
حراما بلا اعتراض ولا استنكاف فمن طريق اللغة فرق بين
الايمان والاسلام لان الايمان في اللغة عبارة عن التصديق
قال تعالى وما انت بمؤمن لنا اي بمصدق والاسلام عبارة
عن التسليم والاستسلام بالاذعان والانقياد وترك
التمرد والاباء والعناد فالتصديق محل خاص وهو القلب
واللسان ترجمانه واما التسليم فانه عام في القلب واللسان
والجوارح فان كل تصديق بالقلب هو تسليم وترك الاباء
والجحود وكذلك الاعتراف باللسان وكذلك الطاعة و
الانقياد بالجوارح فموجب اللغة ان الاسلام اعم والايمان
اخص وكان الايمان عبارة عن اشرف اجزاء الاسلام
فاذن كل تصديق تسليم وليس كل تسليم تصديقا كذا
في الاحياء ويدل على كون الاسلام اعم في اللغة كون المنافقين
من المسلمين بحسب اللغة وما كانوا مسلمين بحسب الشرع
وما كانوا مؤمنين بحسب اللغة وما كانوا مؤمنين بحسب الشرع
قال الله تعالى قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا
لوجود الاعتراف باللسان وهو الاسلام في اللغة وليس بايمان

في اللغة لعدم التصديق بالقلب ولكن لا يكون اي لا يوجد
ايمان بلا اسلام لان الايمان هو الاقرار والتصديق لالوهية
الله واتصافه بصفات الكمال وثبوت الجلال اجمالا وتفصيلا
فمن اقر وصدق يوجد فيه التسليم والقبول لوضيته او
امر الله وحقيقة [illegible] احكام وشرايع لا يجحدها
ولا ينازع فيها ولا اسلام بلا ايمان اي لا يوجد اسلام بلا
ايمان لان من لم يؤمن لم يصدق بالله لا يسلم ولا يقبل او
امره واحكامه وشرايعه وهو ظاهر وقبول لوضيته الاوامر
وحقيقة الشرايع باللسان وحده ليس باسلام في الشريعة
بل في اللغة كما مر انفا وهو منافق يسمى مؤمنا او مسلما
في الظاهر وهو كافر عند الله تع وفي الكفاية الايمان هو تصديق
الله فيما اخبر من اوامره ونواهيه والاسلام هو الانقياد والخضوع
لالوهيته وذا لا يتحقق الا بقبول الامر والنهي والايمان
لا ينفك عن الاسلام حكما فلا يتغايران واذا كان المراد
بالاتحاد هذا المعنى صح التمسك فيه بالاجماع على انه ليس
للمؤمن حكم لا يكون للمسلم وبالعكس وعلى انه يمتنع ان
ياتي احد بجميع ما اعتبر في الايمان ولا يكون مسلما
او ياتي بجميع ما اعتبر في الاسلام ولا يكون مؤمنا وعلى انه
دار الايمان دار الاسلام وبالعكس وفي شرح الجمهور على
ان الايمان والاسلام واحد اذ معنى امنت بما جاء به النبي
صلى الله عليه وسلم صدقته ومعنى اسلمت سلمته ولا يظهر

بينهما كثير فرق لرجوعهما الى معنى الاعتراف والانقياد و
الاذعان والقبول وبالجملة لا يعقل بحسب الشرع مؤمن ليس
بمسلم او مسلم ليس بمؤمن وهذا مراد القوم بترادف
الاسمين واتحاد المعنى وعدم التغاير وذهب
الحشوية وبعض المعتزلة الى تغايرهما نظرا الى ان لفظ
الايمان ينبئ عن التصديق بما اخبر الله به على لسان رسله
ولفظ الاسلام ينبئ عن التسليم والانقياد فمتعلق التصديق
لابد ان يكون هو الاخبار ومتعلق التسليم هو الاوامر و
النواهي فتمسكوا في اثبات احدهما ونفي الاخر بقوله تع
قالت الاعراب امنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا وبعطف
احدهما على الاخر في قوله تع ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين
والمؤمنات وبقوله تع وما زادهم الا ايمانا وتسليما
والتسليم هو الاسلام وبان جبريل عم اجاب لكل منهما بجواب
وذلك ان جبريل قال اخبرني عن الايمان فقال النبي عليه
الصلاة والسلام الايمان ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه و
رسله واليوم الاخر والقدر خيره وشره ثم قال اخبرني
عن الاسلام فقال الاسلام ان تشهد ان لا اله الا الله وتقيم
الصلاة المكتوبة وتؤتي الزكوة المفروضة وتصوم رمضان
وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا فدل هذا الحديث
على ان الايمان هو التصديق بالامور المذكورة والاسلام
هو الاتيان بالاعمال المخصوصة والجواب عن الاول انا لا

يعني اتحاد المفهوم عن اصل الآخر على ان التحقيق ان مرجع
الامرين الى الاذعان والقبول كما مرّ والتصديق كما يتعلق بالاخبار
بالذات فكذا يتعلق بالاوامر والنواهي بمعنى كونها حقا و
احكامها من الشارع وكذا التسليم وعن الثاني بان المراد
الاستسلام والانقياد الظاهر خوفا من السيف والكلام
في الاسلام المعتبر في الشرع المقابل للكفر وعن الثالث ان
تغاير المفهوم في الجملة كاف في العطف مع انه يكون على طريق
التفسير كما في قوله تع اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة
وعن الرابع ان المراد الشرائع بمعنى شرائع الاسلام اعني الاحكام
المشروعة التي هي الاسلام على ما وقع صريحا في بعض الروايات
وعلى ما قال عليه الصلوة والسلام لقوم وفدوا عليه اتدرون
ما الايمان بالله وحده فقالوا الله ورسوله اعلم فقال النبي
شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واقام الصلوة
وايتاء الزكوة وصوم رمضان وان تعطوا من المغنم الخمس
وكما قال النبي عليه الصلوة والسلام الايمان بضع وسبعون
شعبة اعلاها قول لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى
عن الطريق الى هنا من شرح المقاصد وهما كالظهر مع البطن
اي وهما متلازمان لا ينفك احدهما عن الآخر كما لا ينفك
الظهر عن البطن وعن الظهر هذا بحسب الظاهر اما عند التحقيق
فالايمان والاسلام اسمان مترادفان كالاسد والليث لان
الاسم الاعظم قال في تعريف الايمان هو الاقرار والتصديق

وقال

وقال في تعريف الاسلام هو التسليم والانقياد لاوامر الله تع
والانقياد هو التسليم والتسليم في هذا التعريف ليس تسليم
اللسان وحده وهو الاقرار ولا تسليم الجوارح وحده
وهو العمل ولا تسليم القلب وحده وهو التصديق
والا يلزم ان يوجد الاسلام بلا ايمان وهو غير جائز في الشرع
ولا يجوز ان يكون التسليم في التعريف تسليم القلب واللسان
والجوارح جميعا والا يلزم ان يوجد الايمان بلا اسلام
وهو غير جائز في الشرع فوجب ان يكون التسليم في
التعريف تسليم اللسان وتسليم القلب وهما الاقرار
والتصديق فالايمان والاسلام هو الاقرار والتصديق
للاوامر والنواهي اي الاقرار والقبول والرضاء بكون
الصلوة والزكوة والصوم والحج ونحوه فرضا وبكون
القتل والزنا واللواطة والكذب والظلم حراما
وتفضيل الاوامر الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله
واليوم الآخر لانه افضل الاوامر واول الفرائض
قال الله تع يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله
واليوم الآخر وملائكته وكتبه وفي فتاوى قاضيخان
رجل قال لغيره صل المكتوبة فقال لا اصليها اليوم
اختلفوا فيه ذكر الناطفي عن محمد انه قال فهذا كفر
لا اصلي يحتمل وجوها اربعة احدها لا اصلي فقد
صليتها والثاني لا اصلي بقولك فقد امرني من هو

خيرٌ منك والثالث لا اصلي فسقا او مجانة وفي هذه
الوجوه بالثالثة لا يكفر والرابع لا اصلي فليس علي
الصلوة ولم اومر بها يجب تجديد الايمان كما قرأ
قال الناطفي فعل هذا اذا اطلق وقال لا اصلي لا يكفر
لان اللفظ محتمل ولو قال بالفارسية اگر فلان پيغمبر
بودي بوي نگرويدمي ان اراد به انه لو كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم لم يؤمن به كان كافرا كما قال لو امرني
الله بامر كذا لا افعل او قال لا اومن به او قال لو امرني الله
ثم بعث صلوات لا افعل او قال لو كانت القبلة في
هذه الناحية لم اصل كان كافرا في هذه المسائل انتهى
كلام واذا كان كافرا في هذه الكلمات لورده كون
ما امر الله به فرضا عليه او كونه فعال الاستخفاف امر الله
والرد والاستخفاف لا وامر الله واحكام وشرايع كفر
ولو قال لو امرني بالله بامر كذا لا افعل او قال لو امرني
الله بعشر صلوات لا افعل فسقا او مجانة ونحوها لا
لا يكون كافرا ولو اطلق وقال لا اصلي لا يكفر لان
اللفظ محتمل كما مر الا اذا قال على وجه الرد والاستخفاف
والهزل والمزاح وفي فتاوى قاضي خان رجل بينه
وبينه غيره خصومة فقال رجل حكم خداي چنين
است فقال الاخر من حكم خداي چه دانم قال ابو القاسم
هو كفر لانه استخفاف بامر الله تعالى رجلان بينهما خصومة

قال احدهما

قال احدهما للاخر بيا تا بعلم روم فقال الاخر من علم
چه دانم قال ابو بكر القاضي يكفر المجيب لانه استخف بالعلم
وفي خلاصة الفتاوى عن ابي يوسف انه قال ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان يحب القرع فقال رجل انا لا
احبه فقال ابو يوسف هاتوا بالنطع والسيف فقال الرجل
استغفر الله فتركه وتاويل هذا انه قال بطريق الاستخفاف
ولو قال لشعر محمد بشعير يكفر وتاويله هكذا انه قال
بطريق الاستخفاف والاهانة رجل قال لو كان فلان نبيا لا
اومن به وقال لو امرني الله بعشر صلوات لا اصلي او
قال لو كانت القبلة في هذه الجهة لا اصلي هذا كله كفر
وقال لو بعث فلان نبيا لا اتبع بامره لا يكفر ولو عنى به
في الاول ان لا يذهب على موجب الاوامر لا يكفر قيل لاخر
صل فقال لا اصلي يكفر ولو قال لا اصلي بامرك لا يكفر
وقيل لو قال لا اصلي ولم يرد شيئا يكفر وهو الاصح رجل
قال انا مؤمن ان شاء الله تعالى يكفر ان قاله بغير تاويل
رجل احضر امرأة فقالت المرأة لست بمسلم فقال الرجل
هب اني لست بمسلم قال الامام الفضلي ايضا كفر
لان معناه انا افعل ما شئت كما فعل المسلمون اذا ارادت
المرأة ان تحرم على زوجها فتكلمت بالكفر والايمان
مستقر في قلبها بانت وهي مشركة بذلك الكلام ولو
قال للفقهاء انشمندكه او قال للعلوي علويك ان

لم يكن قصده الاستخفاف بالدين لا يكون وان كان يكون اشهر
كلام وفي الفتاوى الظهيرية لو قال رجل قل لا اله الا الله
فقال لا اقول قال بعض المشايخ يكفر وقال بعضهم ان عنى
بقوله انه لا يقول بامرك لا يكفر وبعضهم قالوا انه يكفر مطلقا
اذ الرفض ذكر كلمة الاخلاص مرة وسئل نجم الدين عمن قال
عبده وحضرة الصلوة فقال لم هو فضل فقال ان الله تعالى
نقص من مالي فانا انقص من حقه ولو اصلي ايكون بهذا
قال نعم لانه رد القبول وهو كفر رجل اطلق لفظ
الكفر عمدا لكنه لم يعتقد الكفر قال بعضهم لا يكفر لان
الكفر يتعلق بالضمير ولم يعتقد ضميره على الكفر وقال بعضهم
يكفر وهو الصحيح لانه استخف بدينه كذا ذكر في مجموع
النوازل رجل قال لا ادري ايماني صحيح ام لا فهذا خطا
ولو قال فلانة عندي حلالة شيء يسير يكون لان هذا مذهب
اهل التناسخ ولا ينبغي ولا ينبغي للرجل ان يستثني
في ايمانه فلا تقول انا مؤمن ان شاء الله لانه تاكيد
وتحقيق الايمان والاستثناء يضاده قال ابرهيم عليه السلام
قال لم تره اولم تؤمن قال بلى من غير استثناء ولو قال
ليت الزنا لا يكون حراما والظلم كذلك فلانا لا يكون ولو
قال ليت الخمر كان حلالا لم يكون والاصل في جنس هذه
المسائل ان كل ما يعرف حرمته بالعقل يكفر من تمنى حله
والزنا واللواطة والظلم من هذا القبيل وكل ما لا يعرف

حرمة

حرمة بالعقل لكن بالشرع تعرف لا يكفر من تمنى حله والخمر
من هذا القبيل ولو قال الحرمة الخمر لم يثبت بالقران يكفر
انتهى كلام وفي الفتاوى البزازية قال الصلوة فريضة
لكن ركوعها وسجودها لا لا يكفر لانه يؤول قائلا
ان الصلوة لا تؤدى بلا ركوع ولا سجود بالايماء ومثل
هذا التاويل ان قصده عن الاكفار فكفر اذا انكره وان
انكر فرضية الركوع مطلقا يكفر حتى اذا انكر فرضية السجدة
الثانية يكفر ايضا لورود الاجماع والتواتر اذ اعداد الركعات
والسجدات ثابتة بالتواتر والاجماع وعن الامام ابي
حفص الكبير قيل لمريض صل فقال والله لا اصلي ابدا
ولم يصل حتى مات لو جاز في قلت ارموه في الماء
ولا تصلوا عليه لانه مات كافرا الاية قال ذلك على وجه
التهاون دلت المسألة على ان تهاون الصلوة والبركة
استخفافا كفر وان كان مجانة فسقا قال عند دخول
شهر رمضان جاء الشهر الثقيل او الضيف الثقيل
ان قاله تهاونا كفر وان قال لضعف وجوعه لا يكفر
قيل له ادّ الزكوة فقال لا اؤديها قيل يكفر مطلقا
وقيل في الاموال الباطنة لا يكفر وينبغي ان يكون على
الاقاويل الآخر مرتب في الصلوة وضع قلنسوة المجوس
على راسه قيل لا يكفر لانه موضع نية مصدق بجنابه
وقد كان الامام لا يخرج احد من الايمان الا من الباب الذي دخل

والدخول بالاقرار والتصديق فايمان وقيل بكونه علامة
الكفر ولا يلبسها الا من التزم التجسس والاستدلال بالعلامة
والحكم بما دلت عليه مقررة في العقل والشرع ولو قال لو امر
في الله بعض صلوات لا اصلي او قال لو كان القبلة على
هذه الجهة لا اصلي كفر الا اذا عنى انه لا يذهب على موجب الاوامر
لا يكفر لانه عزم على ترك العمل وانه لا يوجب الاكفار كما لو
قال لو بعث فلان نبيا لا اؤمن به لا يكفر وهذه المسائل
منقولة من كتب الفتاوى التي تقدم ذكر اسمائها بعباراته
تلك الكتب لكن وقع بعض المسائل مقدما وبعضها مؤخرا
وفيها فوائد كثيرة ودلائل كبيرة وفضيلة ظاهرة لمسالة
الايمان والاسلام والدين اسم واقع على الايمان والاسلام
والشرائع كلها يعني لفظ الدين فيطلق ويراد به الايمان وقد
يطلق ويراد به الاسلام وقد يطلق ويراد به شريعة محمد صلى الله عليه وسلم
وقد يطلق ويراد به شريعة موسى عم وقد يطلق ويراد به شريعة
عيسى عم او غيرهم من الرسل قال صاحب التيسير وفي تفسير الدين
اقاويل سبعة قال ابن عباس رضه هو الحساب وقال مجاهد
والضحاك هو الجزاء وقال جماعة هو القضاء وقال محمد بن كعب
القرظي هو التوحيد وقال زهير هو الطاعة وقال الحسين
بن الفضل هو الخضوع وقال يمان بن رباب هو القهر والغلبة
وقال الفراء هو العادة وفي التلويح الشرع والشريعة ما
شرع الله تعالى لعباده من الدين اي ظهر وبين حاصله الطريقة

المعهودة

المعهودة الثابتة من النبي صلى الله عليه وسلم نعرف الله تعالى حق
معرفته اي حق واجب معرفته وكمالها وما يحق منها من حق يحق
وجب وثبت ومن في منها بيانية ما اي يعرف الله المعرفة التي
يجب وتحق له علينا كما وصف نفسه اي ذاته الواجب الوجود
في كتابه بجميع صفاته اي يعرف الله حق معرفة بجميع صفاته
التي وصف نفسه بها في كتابه العظيم وكلامه القديم وبجميع اسمائه
الحسنى التي في الكتاب والسنة اي يقدر على معرفته بصفاته واسمائه
على التفصيل والكمال ولا يقدر على معرفته بصفاته كنه ذاته اعلم
ان حقيقة الله تعالى غير معلومة للبشر وعليه جمهور المحققين
من الفرق الكلامية وغيرهم وخالف فيهم كثير من المتكلمين
من اصحابنا والمعتزلة احتج الخصم بانه لو لم يكن وانه
متصورا معلوما لامتنع الحكم عليها بانها غير متصورة و
امتنع الحكم عليها بالصفات الاخر والجواب ظاهر وهو ان
التصديق لا يتوقف على التصور بالكنه بل بوجه ما وهذا الخلاف
في الوقوع وفي جواز العلم بحقيقة الله تعالى خلاف ايضا
منعه الفلاسفة وبعض اصحابنا كالامام الغزالي وامام
الحرمين ومنهم من توقف كالقاضي ابي بكر الباقلاني وضرار
بن عمرو وكلام الصوفية في الاكثر مشعر بالامتناع وتفصيل
هذا البحث في شرح المواقف قال الله تعالى في حق الكافرين
وما قدروا الله حق قدره اي ما عرفوا الله حق معرفته فمن
قال المؤمن لا يعرف الله حق معرفته فقد اوقع التشبيه بينه

المؤمن والكافر في معرفة الله تعالى وما يقال عن بعضهم ما عرفناك
حق معرفتك معناه ما عرفناك حق ذاتك معرفة حقة
كاملة بل عرفناك بالصفات السلبية والصفات الثبوتية
وليس يقدر احد ان يعبد الله حق عبادته كما هو اهل له
قال صاحب البشير قال ابو منصور الماتريدي ليس في وسع
احد ان يتقي الله حق تقاته في كل العبادات الا ترى ان
الملائكة مع انهم لا يفترون ولا يسأمون عن العبادة
يقولون يوم القيمة سبحانك ما عبدناك حق عبادتك و
قال بعض العارفين العبادة اجلال الرب وتعظيمه ولا نهاية
لجلاله وعظمته فلا يقدر عبد ان يأتي بالعبادة اللائقة
بجلال الله وعظمته ~~قد~~ وكيف لا قال الله تعالى وان
تعدوا نعمة الله لا تحصوها فلا يقدر عبد ان يشكر
الله حق شكره لان شكره بعدد نعمه ولا يقدر عبد ان
يعبد الله عبادة مساوية لثوابه ولان ثوابه واجرهم
حسب وبغير زوال اكلها دائم وظلها عطاء غير
مجذوذ اي غير مقطوع واعمال العبد حسب على زوال
فلا يكون عمل العبد لائقا بوجه الله وعطائه وثوابه ولكنه
يعبده كما امره لان الله لا يكلف نفسا الا وسعها
قال وما جعل عليكم في الدين من حرج وقال فاتقوا الله ما
استطعتم ويستوي المؤمنون كلهم في المعرفة و
اليقين والتوكل والمحبة والرضاء والخوف والرجاء

الايمان

والايمان في ذلك يتفاوتون فيما دون الايمان في ذلك
كله اعلم ان لهذا الكلام معنيين احدهما ان المؤمنين
يستوون في اصول هذه الصفات وكل مؤمن مطيعا
كان او عاصيا لا يخلوا قلبه عن وجود نفس المعرفة
ونفس اليقين وغيرها لان الايمان يقتضي ذلك وان
ضعف وفي هذا المعنى اشارة الى ان ايمان المقلد غير
معتبر في الشرع لان المقلد لا يقين له اصلا والمقلد
من نشأ على ما هو جبل عليه ولم يتفكروا في خلق
السموات والارض واختلاف الليل والنهار فاخبره انسان
واحد بما يجب عليه اعتقاده فصدقه فيما اخبره بمجرد
اخباره من غير تفكر وتدبر ففي صحة ايمانه اختلاف بين
المتكلمين ولا نزاع في صحة ايمان الذين نشأوا في ديار
الاسلام وسمعوا بمعجزات النبي صلى الله عليه وسلم وتفكروا
في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار وحركات
الشمس والقمر لانهم من اهل النظر والاستدلال ولا يشترط
الاقتدار على التحرير والتقرير ولا على مجادلة الخصوم ودفع
شبهاتهم ويتفاوتون في مراتب هذه الصفات وكمالها
فبعضهم في اعلاء مراتبها وبعضهم في ادنى مراتبها
والاوسط على مراتبهم ودرجاتهم قوله والايمان في ذلك
اي وفي الايمان بذلك الاستواء والحقيقة يقوم بعضها
مقام بعض بعينه يستوي المؤمنون في الايمان بات

المؤمنون يستوون في اصل المعرفة واصل اليقين الى آخره
والجار والمجرور في قوله في ذلك كله متعلق بنفسه ويتفاوتون
وبدل من ما دونه واشارة الى الصفات المذكورة وانما استووا
في الايمان ولم يتفاوتوا فيه لان الايمان لا يزيد ولا
ينقص بحسب المتعلق به وهذه الصفات تزيد وتنقص
بحسب المتعلق به فان معرفة بعض الناس تتعلق بالمسائل
الفقهية والمسائل الكلامية وبالتفاسير وبالاحاديث
وبغير ذلك ومعرفة بعضهم يتعلق ببعض هذه
الاشياء دون بعض ويقين بعضهم يتعلق بالله
ورسوله وبحشر الاجساد وبغير ذلك ويقين بعضهم
يتعلق بالله ورسوله ولا يتعلق بحشر الاجساد وان اعتقده
وبعضهم يتكله ويقول بحشر الارواح وبعضهم ينكره
ايضا ويعلم علم اليقين انه تعالى موجود خالق وكذا
الصفات الباقية والمعنى الثاني ان المؤمنين يستوون
كلهم في المعرفة اي في وجوب المعرفة لان اول ما يجب
على العبد هو معرفة الله تعالى ثم معرفة الاعمال من الفرائض
والواجبات والحلال والحرام قال النبي صلى الله عليه وسلم
طلب العلم فريضة على كل مسلم والصفات السبعة المذكورة
ههنا كلها فرض على المؤمنين كلهم ويستوون في
فرضيتها وفي كونهم مكلفين بها قوله والايمان في ذلك
اي في وجوب الايمان بوجوب صفات المذكورة عليهم

يعني يستوون

يعني يستوون المؤمنون في كونهم مكلفين بالتصديق و
بكونهم مكلف بالصفات المذكورة قوله ويتفاوتون
فيما دون الايمان في ذلك كله اي فيما دون الايمان بوجوب
ذلك المذكور كله يعني ويتفاوت المؤمنون كلهم في الصفات
المذكورة بحسب زيادة كل واحدة منها ونقصانها وانما
لا يتفاوتون في الايمان بذلك كله بحسب المؤمن به لا بحسب
التصديق واليقين ولما كانت هذه الصفات مما يلزم
معرفتها وتعريفها ههنا على الاجمال وتفصيله في كتاب
الاحياء وكتاب حقائق الحقائق المعرفة في اللغة بمعنى العلم
وفي الاصطلاح المعرفة هي العلم باسماء الله وصفاته مع
الصدق لله في معاملاته وقيل المعرفة معرفتان معرفة
حق ومعرفة حقيقة فمعرفة الحق معرفة وحدانية
الله بما ابرز للخلق من اسمائه وصفاته ومعرفة الحقيقة
لا سبيل اليها لامتناع الاحاطة به علما لقوله تعالى ولا
يحيطون به علما واليقين في اللغة العلم الذي لا شك
معه وفي الاصطلاح واليقين هو رؤية العيان بقوة
الايمان ولا بالحجة والبرهان وقال الجنيد البغدادي
اليقين علم لا يتغير ولا يحول وقيل هو زوال الشبه
والمعارضات وقيل هو المكاشفة قال الامام القشيري
المكاشفة عند المشايخ ظهور الشيء للقلب باستيلاء ذكره
عليه من غير بقاء شك وقد ذكر الله تعالى اليقين في

القرآن على ثلاثة أوجه علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين
فعلم اليقين ما يحصل عن الفكر والنظر وعين اليقين
ما يحصل على العيان وحق اليقين اجتماعهما وعلم اليقين
لعوام العلماء وعين اليقين لخواص العلماء والأولياء وحق
اليقين للأنبياء وحقيقة اليقين لمحمد رسول الله عليه
الصلاة والسلام والتوكل هو الثقة بما عند الله واليأس
عن ما في أيدي الناس وقيل التوكل تمام اليقين بالله
لأن اليقين بالله لا يتم إلا بحسن الظن به والثقة بما وعد
من الرزق والرضاء بما جرى به قضاؤه وقدره فإذا
تم اليقين بالله سمي توكلا والمحبة في اللغة المودة وفي
الاصطلاح محبة الله للعبد إرادة كثرة الإنعام عليه
والإحسان إليه بتقريبه وإعطائه الأحوال السنية والمقا
مات العلية ومحبة العبد لله هي حالة يجدها في قلبه لا توصف
بوصف ولا تحد بحد أوضح وأقرب إلى الفهم من لفظ المحبة
وقال بعض المشايخ محبة العبد لله هي التعظيم وإيثار
الرضاء وقلة الصبر عن الله وكثرة الاشتغال بذكره
وأما الرضاء سرور القلب بمر القضاء أي المقضي من
المصائب والبلايا وقال بعضهم الراضي بالله هو الذي
لا يعترض على تقديره وسئل أبو محمد المزني عن قول النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم إني أسألك الرضاء بعد
القضاء إنما قال عليه الصلاة والسلام ذلك لأن الرضاء قبل

القضاء

العزم على الرضاء وأما الرضاء بعد القضاء فهو الرضاء حقيقة
وقيل للحسن بن علي بن أبي طالب إن أبا ذر يقول الفقر
أحب إلي من الغناء والسقم أحب إلي من الصحة فقال
رحم الله أبا ذر أما أنا فأقول من وثق بحسن اختيار الله
له لم يتمن غير ما اختار الله له والخوف توقع حلول مكروه
أو فوات محبوب وسئل الجنيد عن الخوف فقال هو توقع العقوبة
على مجاري الأنفاس وقيل هو حركة القلب من جلال الرب تعالى
وقيل الخوف للمذنبين والرهبة للعابدين والخشية للعالمين
والوجل للمحبين والهيبة للعارفين قال تعالى ألا إن أولياء الله
لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فالعارف له هيبة ودهشة
في مقام الجلال لحضرة ذي الجلال والرجاء في اللغة الأمل
وقد جاء بمعنى الخوف أيضا ومنه قوله تعالى ما لكم لا ترجون
لله وقارا أي ما لكم لا تخافون عظمة الله والرجاء في الاصطلاح
هو تعلق القلب بحصول محبوب في المستقبل وقيل سرور
الفؤاد بحسن الميعاد وقيل هو النظر إلى سعة رحمة الله
واعلم أن الرجاء لا يتحقق إلا مع الخوف كما أن الخوف لا يتحقق
إلا مع الرجاء فهما متلازمان لأن الرجاء بلا خوف أمن و
غرور والخوف بلا رجاء قنوط ويأس من رحمة الله
وقال النبي صلى الله عليه وسلم إنما يخاف من يرجوها وإنما يرجو
من النار من يخافها والله تعالى متفضل على عباده عادل قد
يعطي من الثواب أضعاف ما يستوجبه العبد تفضلا منه وقد

يعاقب على الذنب عدلا منه وقد يعفو فضلا منه اعلم ان الله
تع يتفضل على عباده فيعطي بفضله من الثواب اضعاف ما
يستحقه العبد الا ترى انه تع قال من جاء بالحسنة فله عشر
امثالها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل عمل ابن ادم
يضاعف الحسنة بعشر امثالها الى سبعماية ضعف قال
صاحب التيسير في قوله تع ذلك الفضل من الله ذلك الاية
ان العبد لا يجب له الاصلح على الله وان ما يفعل الله بعبده
فهو فضل منه فبطل مذهب المعتزلة وقال في قوله تعالى
فقد وقع اجره على الله اي حصل له الاجر بوعد الله وهذا
تاكيد للوعد فلا شيء لاحد يجب على الله من خلقه وقال الامام
القشيري في قوله تع ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم
وامنتم اي ان شكرتم نعمه وامنتم اي صدقتم ان نجاتكم
بالله لا بشكركم قوله ما يستوجبه العبد ان يستحقه استحقاقا
بحسب وعد الله وحكمه لا بالاستحقاق الذاتي قوله تفضلا
منه لنفي الاستحقاق الذاتي لان الوعد بالثواب والحكم
به ليس بواجب على الله بل هو تفضل واختيار من الله تعالى
قال الامام فخر الرازي في كتاب الاربعين اعلم ان المكلف
اما ان يكون مطيعا او عاصيا فان كان مطيعا فالله تع
يثيبه بفضله وزعم البصريون من المعتزلة ان اداء الطاعة
علة لاستحقاق الثواب على الله ومذهبنا انه ليس لاحد
حق على الله تع لان الانعام يوجب على المنعم عليه الاشتغال

بالشكر

بالشكر والخدمة ونعم الله على العبد في الزمان الماضي والزمان
الحاضر كثيرة خارجة عن الحصر والاحصا فتلك النعم التي تقدمت
توجب على العبد الاشتغال بالطاعة وبالشكر واداء
الواجب لا يكون سببا لاستحقاق شيء اخر فوجب ان لا يكون
اشتغال العبد بالطاعة علة لاستحقاق الثواب على الله تعالى
وعند المعتزلة فعل العبد واقع بقدرة العبد وارادته
فلو صار ذلك الفعل سببا لان يجب على الله اعطا الثواب
لزم ان يكون العبد قد الجاء الله بذلك الفعل الى اعطاء
الثواب والالجاء لا يتمكن من تركه وذلك محال شبهة الخصم قوله
تع جزاء بما كانوا يعملون وامثاله والجواب ان العمل
عندنا علامة حصول الثواب لا علة موجبة له وهذا
القدر يكفي في اطلاق اسم الجزاء على الثواب الى هنا كلام
قوله تع وقد يعاقب على الذنب عدلا منه لانه يتصرف في النص
ملكه والظلم هو التصرف في ملك الغير بلا اذنه قال صاحب
التيسير في سورة النساء قال الامام ابو منصور الماتريدي
رحمه ان الله لا يظلم مثقال ذرة ذكره الله هذا ونحوه
لئلا يظن جاهل اذا راى الم الاطفال لم يحل بهم ان
ذلك منه ظلم بهم لكنه ذلك ليعلم ان الصحة والسقم
افضال من الله عليهم لا حق لهم عليه اذ له ان يخلق كيف
يشاء صحيحا وسقيما ثم تكلم الرازي في ان هذا فانما الظلم
لاحد بخصلتين اما الجهل بالعدل والحق واما الحاجة

عنه بدفعها بالظلم عن نفسه والله تعالى غني بذاته عالم لم يزل يتعالى عن ان يمسه حاجة او يخفى عليه شيء مع ما ان الظلم في الحق هو هو ثنا ولما ليس له بعز انه من له ذلك وكل الخلائق من كل الوجوه له فلا معنى للظلم في حقه تعالى وقوله

تعالى وان تك حسنة يضاعفها يبطل قول المعتزلة ان من ارتكب كبيرة يخلد في النار ومع حسنات كثيرة والله تعالى يقول وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما انتهى كلام قوله وقد يعفو فضلا منه اي قد يعفو عن الذنب صغيرا كان ذلك الذنب او كبيرا مقرونا بالتوبة او غير مقرون بها عن الذنوب انشاء فضل وانعام لا حق للعبد فيه والعفو اسقاط العقاب عمن يحسن عقابه قال الله تعالى وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات فلو كان العفو عبارة عن اسقاط العقاب عن التائب كما زعم المعتزلة لكان ذلك تكرارا فعلمنا ان العفو عبارة عن اسقاط العقاب عمن يحسن عقابه وعند المعتزلة لا يحسن ولا يجوز عقاب التائب وقال الله تعالى غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول فقوله تعالى غافر الذنب ان كان المراد منه انه تعالى يغفر الذنوب مع التوبة لصاحبها يعني قوله تعالى قابل التوبة فيحصل التكرار والاصل عدمه ثم انه تعالى جل جلاله لم يزل غافر الذنب قابل التوب عما يدل على الوعيد وهو

قوله تعالى شديد العقاب ذكر عقيبه مرة اخرى بما يدل عليه على العفو فقال ذي الطول اي ذي الفضل والانعام على من لا يستحق استحقاقا فاما الطاعة والجنة بالوعد الحق والعهد الصدق الالهي وكل ذلك يدل قطعا عن ترجيح جانب الوعد والاحسان اعلم ان عمومات الوعد والوعيد لما تعارضت فلا بد من تاويل احد الجانبين وصرف التاويل الى جانب الوعيد مستحسن في العرف اما اهمال الوعد فانه مستقبح وكان صرف التاويل الى جانب الوعد اولى فتعين صرفه الى جانب الوعد كذا في كتاب الاربعين في اصول الدين

وشفاعة الانبياء عليهم الصلوة والسلام حق وشفاعة محمد عليه الصلوة والسلام للمؤمنين والمذنبين ولاهل الكبائر المستوجبين العقاب حق ثابتة بالكتاب والسنة واجماع الامة الهادية والشفاعة مصدر الشفيع وهو من يطلب قضاء حاجة غيره مشتق من الشفع لان الشفيع يشفع نفسه لمن يشفع في طلب مراده ولا شفاعة في حق الكفار لقوله تعالى حكاية عن الكفار فما لنا من شافعين ولا صديق حميم والكفار يقولون ذلك حين رأوا المؤمنين شفاعة الشفعاء ومعونة الاصدقاء وقال النبي صلى الله عليه وسلم شفاعتي لاهل الكبائر من امتي من كذب بها وقال النبي صلى الله عليه وسلم

مطلب شفاعة لاهل الكبائر

قال الله تعالى من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه
وهو إثبات الشفاعة لمن أذن له بها وقال الإمام المشهور
فالله تعالى هو الشفيع الأكبر على التحقيق وإن كان
لا يطلق عليه اسم الشفيع لعدم التوقيف كذا في شرح
التبيين ووزن الأعمال بالميزان يوم القيمة حق
قال الله تعالى والوزن يومئذ الحق وقال تعالى ونضع الموازين
القسط ليوم القيمة فلا تظلم نفس شيئا والإقرار بالوزن
يوم القيمة من مذهب أهل السنة والجماعة والله أعلم
بالغيب وحوض النبي صلى الله عليه وسلم حق قال
رسول الله عليه الصلوة والسلام حوضي مسيرة شهر
وزواياه سواء ماؤه أبيض من اللبن وريحه أطيب
من المسك وكيزانه كنجوم السماء من شرب منها لا يظمأ
أبدا والقصاص فيما بين الخصوم بالحسنات يوم القيمة
وإن لم يكن لهم الحسنات فطرح السيئات عليهم حق
جائز قال رسول أكرم صلى الله عليه وسلم من كانت له مظلمة
على أخيه من عرضه أو شيء فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون
دينار ولا درهم إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته
فإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه
وقال رسول أكرم وحبيب محترم صلى الله عليه وسلم أتدرون
من المفلس قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع فقال
النبي صلى الله عليه وسلم إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيمة

بصلوة وصـ

بصلوة وصيام وزكوة ويأتي قد شتم هذا وقذف
هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى
هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت ارفوته
حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت
عليه ثم طرح في النار والجنة هي دار الثواب الدائم
والنار هي دار العقاب الدائم مخلوقتان اليوم لقوله
تعالى وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات
والأرض أعدت للمتقين وقال الله تعالى فاتقوا النار
التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين والفعل
الماضي هو اللفظ الدال على ثبوت معنى لشيء في زمان قبل
زمانك إخبارك فالجنة والنار مخلوقتان وقيل أن يقول
جبريل لمحمد صلى الله عليه وسلم أعدت للمتقين أعدت للكافرين
فوجه وحمل الآية على التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي
لتحققه خلاف الظاهر فلا يعدل إليه إلا ضرورة ولا
ولا اشتباه هنا فإن عورض بقوله تعالى تلك الدار الآخرة
نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا
قلنا يحتمل الحال والاستمرار وليس جعلها بعد خلقها
هنا بل قطعها كقوله تعالى وجعلت له مالا ممدودا
أي أعطيت له جوز المتكلمون وجود عالم آخر مماثل لهذا
العالم لأن الأمور المماثلة حيثما ذكره في الأحكام وإليه الإشارة
بقوله تعالى في القرآن المجيد أوليس الذي خلق السموات والأرض

بقادر على ان يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم قال الفلاسفة
لا عالم غير هذا العالم اعني ما يحيط به سطح محدد الجهات وتفصيل
هذا البحث في شرح المواقف وسئل انس بن مالك عن الجنة افي
السماء ام في الارض قال واي ارض وسماء تسع الجنة فقيل فاين
هي قال فوق السموات تحت العرش قال قتادة رض وكانوا يرون
ان الجنة فوق السموات السبع وان جهنم تحت الارضين السبع
كذا في معالم التنزيل في تفسير سورة آل عمران قال رسول الله
ان في الجنة مائة درجة اعدها الله للمجاهدين في سبيل الله
ما بين الدرجتين كما بين السماء والارض فاذا سألتم الله
فاسألوه الفردوس فانه اوسط الجنة واعلى الجنة وفوقه عرش
الرحمن ومنه تفجر انهار الجنة كذا في المصابيح في كتاب الجهاد ولا
يفنيان ابدا قوله ابدا يحتمل معنيين احدهما انه لا يطرأ
عليهما الفناء لكن لا يكون فناؤهما ابديا بل موقتا لقوله تعالى
كل شيء هالك الا وجهه ولقوله تعالى هو الاول والآخر اي يميت
الخلق كلهم ويبقى وحده ثم يحييهم لقوله تعالى ثم يميتكم ثم
يحييكم ولقوله تعالى كما بدأنا اول خلق نعيده قال جهم بن صفوان
لعنه الله تعالى ان الجنة والنار تفنيان ولا تعادان اصلا لان
البقاء الابدي لله وحده وجوابه ان الله تعالى باق لذاته لا لغيره
وبقاء الجنة والنار واهلهما بابقاء الله تعالى فلا مشابهة
والمعنى الثاني انهما لا تفنيان ابدا اي لا يلحقهما الفناء
والعدم اصلا وفي الصحاح الابد الدهر والجمع آباد يقال

ابد ابيد كما يقال دهر داهر ولا افعله ابد الآبيد وابد
الآبدين كما يقال الدهر الداهر والأبد ايضا الدوام والتأبيد
التخليد والدهر الزمان تعالى الدهر الابد ويقال لا آتيك الدهر
الداهرين اي ابدا انتهى كلامه ومراده في قال لا آتيك ابدا
ترك الاتيان في كل جزء من اجزاء الزمان وعدم وقوع
الاتيان منه في جميع الازمان والاوقات فكذا قوله لا تفنيان ابدا
اما قوله كل شيء هالك الا وجهه فيجوز ان يكون معناه
ان كل ممكن فهو هالك في حد ذاته يعني ان الوجود الامكاني
بالنظر الى الوجود الواجبي بمنزلة العدم والبقاء العارضي
بالنظر الى البقاء الذاتي بمنزلة الفناء ولا يموت الحور العين ابدا
اي لا يطرأ عليها عدم وفي المصابيح عن علي قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة لمجتمعا للحور
العين يرفعن باصوات لم يسمع الخلائق مثلها يقلن نحن
الخالدات فلا نبيد ونحن الناعمات فلا نبأس ونحن
الراضيات فلا نسخط طوبى لمن كان لنا وكنا له قوله فلا نبيد
اي لا نهلك قال القرطبي في كتاب التذكرة واما اهل الجنة
من الحور والولدان فلم يأت عنهم خبر والاظهر انها دار
الخلد فالمؤمن يدخلها لا يموت فيها ابدا مع كونه قابلا للموت
فالذي يخلق فيها اولى ان لا يموت فيها ابدا وقال لم يبلغنا
في خبر صحيح ولا عليل انه يهلك الحور فليكن الجنة مثله قال
بعضهم في موضع وفي فناء الجنة والنار عند فناء جميع

الخالق قولان احدهما يفنيهما ولا يبقى شيء سواه تعالى
وهو معنى قوله هو الاول والاخر والثاني انهما مما لا يجوز
عليهما الفناء وانهما باقيان بابقاء الله تعالى انتهى كلامه اختلف
العقلاء في ان الشيء اذا عدم وفني هل يمكن اعادته
بعينه مرة اخرى ام لا اما الفلاسفة فقد اتفقوا على انه
محال واما اهل السنة والجماعة فقد اتفقوا على ان اعادة
المعدوم بعينه ممكنة فانهم يقولون الشيء اذا عدم فقد
بطل ذاته وصار نفيا محضا وعدما صرفا ولم يبق له
حال العدم هوية ولا خصوصية ثم انهم قالوا يمتنع في
قدرة الله تعالى اعادته بعينه لان الشيء اذا صار معدوما فانه
بعد العدم جائز الوجود والله تعالى قادر على جميع الجائزات
فوجب القطع بكونه تعالى قادرا على اعادته بعينه بعد العدم و
بعض الكرامية وابو الحسين البصري ومحمود الخوارزمي من
المعتزلة يعترفون بالمعاد الجسماني وينكرون اعادة المعدوم
ويقولون اعادة الاجسام هي جمع اجزائها المتفرقة وفي
كتاب الاربعين اختلف علماء الكلام في ان الله تعالى هل يعدم
اجسام العالم ام لا فقال قوم انه تعالى يعدم الذوات والاجزاء
ثم يعيدها وقال اخرون انه تعالى لا يعدمها بل يفرق اجزاء
السموات والارض ويخربها ثم انه تعالى يؤلفها مرة اخرى
كما كانت واحتج القاطعون على انه تعالى يعدم العالم بايات
احدها قوله تعالى وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده لفظ الخلق

فناط

فناط لجملة المخلوقات والضمير في قوله يعيده عائد الى الخلق
فدلت هذه الاية على انه تعالى يعيد جميع مخلوقاته والاعادة لا تعقل
الا بعد الافناء فدل هذا على انه تعالى يفني جميع مخلوقاته و
ثانيها قوله تعالى هو الاول والاخر ومعنى كونه اولا انه كان موجودا
في الازل مع انه ما كان معه غيره فكذلك معنى الاخر هو انه تعالى
يبقى ولا يكون معه غيره وهذا يقتضي انه تعالى يعدم جميع المخلوقات
حتى يتحقق كونه اخرا ثم انه تعالى يعيدها مرة اخرى
ليتحقق صدق الايات الدالة على ان الثواب والعقاب لا
اخر لهما وثالثها قوله تعالى كما بدأنا اول خلق نعيده حكم الله
بان الاعادة على وفق الابتداء ولما كان الابتداء عبارة
عن خلق الذوات وخلق التركيب والتأليف فيها وجب
ان يكون الاعادة مشابهة للابتداء واما الذين قالوا
ان الله تعالى يفرق الاجزاء لكنه لا يعدمها فاعلم انهم انما
اختاروا هذا القول لان عندهم اعادة المعدوم ممتنعة
قالوا فعلى هذا قالوا لو ان الله تعالى اعدم الاجزاء والذوات
لكان الذي يعيده بعد ذلك مغايرا لتلك الاشياء التي
عدمت اولا وعلى هذا التقدير لا يكون الثواب واصلا الى المطيع
ولا العقاب واصلا الى العاصي وذلك غير جائز فلاجل
الفرار عن هذا الاشكال قالوا انه تعالى يفرق الاجزاء ويزيل
التأليف عنها ولكنه تعالى لا يعدمها فاذا اعاد التأليف
اليها وخلق الحيوة فيها مرة اخرى كان هذا الشخص هو

عين الشخص الذي كان موجودا قبل ذلك فحينئذ يصل
الثواب الى المطيع والعقاب الى العاصي ويزول الاشكال
اقول الذين قالوا اعادة المعدوم ممتنعة من اهل القبلة
بعض الكرامية وابو الحسين البصري ومحمود الخوارزمي
من المعتزلة فالذين قالوا ان الله تع يفرق الاجزاء لكنه
لا يعدمها لان اعادة المعدوم ممتنعة هؤلاء المبتدعة
ويقول الذين قالوا ان اعادة المعدوم بعينه ممكنة واقعة
بالادلة القاطعة والاشكال المذكور فرقا عنه لازم عليهم
وذلك لان المشار اليه بكل احد بقوله انا ليس مجرد
تلك الاجزاء وذلك لانه لو قدرنا ان هذه الاجزاء تفرقت
وصارت ترابا من غير حيوة ولا امتزاج ولا تركيب ولا تاليف
فان كل احد يعلم ان ذلك القدر من التراب المتفرق ليس عبارة
عن زيد بل الانسان المعين انما يكون موجودا اذا تركبت
الاجزاء وتالفت على وجه مخصوص ثم قام بها حيوة وعلم
وعقل فثبت ان الشخص المعين ليس عبارة عن تلك الاجزاء
والذوات بل هو عبارة عن تلك الاجزاء الموصوفة بالصفات
المخصوصة واذا كان كذلك كانت تلك الصفات اصحاب
اجزاء ماهية ذلك الشخص من حيث انه ذلك الشخص و
عند تفرق الاجزاء بطلت تلك الصفات فلو امتنعت
اعادة المعدوم بعينه لامتنعت اعادة تلك الصفات
فيكون العائد بصفات اخر لا تلك الصفات التي اعتبرها كان

ذلك

ذلك الشخص ذلك الشخص وعلى هذا التقدير لم يكن العائد
ثانيا هو الذي كان موجودا اولا فلم يكن الزيد الثاني
عين الزيد الاول فوجب ان يقال اعادة المعدوم بعينه
حق حتى يصير زيد المحشر عين زيد الاول ويصل الثواب
اليه ان كان مطيعا والعقاب ان كان عاصيا ولا يرد
الاشكال ومن قال اعادة المعدوم بعينه ممتنعة كان
الاشكال المذكور باقيا عليهم قلنا ان الله تع يفني الذوات
والاجزاء ويعدمها او قال الله تعالى لا يفنيها ولا يعدمها
بل يفرقها ثم تفرقها في شرح المواقف قال الخصم انما
يكون المعاد معادا بعينه اذا اعيد بجميع عوارضه ومنها
الوقت الذي كان فيه مبتدا فيلزم ان يعاد في وقته الاول
وكل ما وقع في وقته الاول فهو مبتدا فيكون ح مبتدا
من حيث انه معاد وكون الشيء الواحد مبتدا ومعادا باطل
الجواب انما اللازم في اعادة الشيء الواحد بعينه اعادة
عوارضه المشخصة والوقت ليس منها ضرورة ان زيدا
الموجود في هذه الساعة بعينه هو الموجود قبلها بحسب الامر
الخارجي اي بحسب الامر المعتبر في وجوده في الخارج لا تفاوت
ولا تغاير في ذلك فلو كان الوقت من المشخصات المعتبرة
في وجوده خارجا لكان هو في كل وقت شخصا اخر وهو
باطل قطعا ولا يخفى عقاب الله ولا ثوابه سرمدا والنعيم
الدائم قال الشرح ان الله لعن الكافرين واعد لهم سعيرا

اي زيد المعاد صح

خالدين فيها ابدا وقال الله تع وفي العذاب هم خالدون
اي باقون دائمون وقال الله سبحانه وتعالى ان الذين امنوا
وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين
فيها لا يبغون عنها حولا وقال الله سبحانه وتعالى والذين
امنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها ابدا والايات والاحاديث في خلود
اهل الجنة وخلود اهل النار كثيرة وفي شرح المواقف
اجمع المسلمون على ان الكفار مخلدون في النار ابدا لا
ينقطع عذابهم سواء بالغوا في الاجتهاد والنظر في
معجزات الانبياء ولم يهتدوا او علموا نبوتهم وعاندوا
او تساهلوا وانكر تخلدهم في النار طائفة خارجة من ملة
الاسلام وقال الجاحظ وعبد الله بن الحسن العنبري هذا
الذي ذكر من دوام العذاب انما في حق الكافر المعاند والمقصر
واما المبالغ في اجتهاده اذا لم يهتد للاسلام ولم يلح له
دلايل الحق فمعذور وعذابه منقطع واما الكتاب والسنة
والاجماع المنعقد قبل ظهور المخالفين يبطل ذلك وهو
مخالف لما علم من الدين ضرورة ولم ينقل عن احد
قبل المخالفين هذا الفرق الذي ذكره الجاحظ والعنبري
انتهى كلامه والله تعالى يهدي من يشاء فضلا
منه ويضل من يشاء عدلا منه واضلاله خذلانه وتفسير
الخذلان ان لا يوفق العبد على ما يرضاه عنه وهو عدل منه

وكذا

وكذا عقوبة المخذول على المعصية والهدى له معان كما
في قوله تعالى واما ثمود فهديناهم اي بينا لهم الحق
والحق والهدى خلق فعل الاهتداء في العبد كما في قوله
تعالى يهدي من يشاء ان يخلق فعل الاهتداء في من يشاء
وفعل الاهتداء الايمان والعمل الصالح والهدى التثبيت
على فعل الاهتداء كما في قوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم
اي ثبتنا عليه والهدى الدعوة كما في قوله تع ولكل قوم
هاد اي داع يدعو الى الحق والهدى الدلالة كما في قوله
تع حكاية قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل
اي يدلني والهدى الاصلاح كما في قوله تع والله لا يهدي
كيد الخائنين اي لا يصلح والهدى الالهام كما في
قوله تع والذي قدر فهدى اي الهم والهدى التبيين
كما في قوله تعالى قل ان هدى الله هو الهدى اي دين
الله تع هو الدين الحق وهو دين الاسلام والهدى
اليقين كما في قوله تعالى وزادهم هدى اي يقينا والهدى
التوحيد كما في قوله تعالى حكاية نحن صددناكم عن الهدى
اي عن التوحيد والهدى الرسل والكتب كما في قوله تعالى
فاما يأتينكم مني هدى اي رسلا وكتبا والامام الاعظم
عرف اضلال الله بخذلانه وفسر الخذلان بان لا يوفق العبد
على ما يرضاه عنه فالهداية ههنا بمعنى التوفيق والاضلال
بمعنى ترك التوفيق فلزم تفسير التوفيق في التلويح التوفيق

جعل الاسباب موافقة وفي شرح المواقف الشيخ الاشعري
واكثر الائمة من اصحابه حملوا التوفيق على خلق القدرة
على الطاعة وهو مناسب للوضع اللغوي لانه الموافقة
في الطاعة وبخلق القدرة الحادثة تحصل تحقق الموافقة
وقال امام الحرمين التوفيق خلق الطاعة لا خلق القدرة
اذ لا تاثير لها وحملوا الهداية على معناها الحقيقي اعني
خلق الاهتداء وهو الايمان انتهى وفي كتاب الشكر من
كتب احياء العلوم التوفيق لا يستغنى عنه احد وهو
عبارة عن التاليف والتلفيق بين ارادة العبد وبين
قضاء الله وقدره وهذا يشمل الخير والشر وما هو
سعادة وما هو شقاوة ولكن جرت العادة بتخصيص
اسم التوفيق بما يوافق السعادة من جملة قضاء الله وقدره
اقول التعريف الجامع ان يقال التوفيق جعل الاسباب
موافقة للسعادة والخير وهو خلق اختيار الخير
والطاعة وخلق القدرة على الخير والطاعة وتوجيه
الحركات الى المطلوب وتيسيرها عليه بمساعدة الاعضاء
والالات وتقوية امره بالبصيرة من داخل وبمساعدة
الاسباب من خارج والعصمة عن الشر والمعصية فقوله
يهدي من يشاء فضلا منه يدل على ان الهداية ليست
بواجبة على الله تع لان الفضل هو فعل ما ليس بواجب
وهو رد لقول المعتزلة فانهم قالوا الهداية واجبة

على الله

على الله تعالى لانه يجب على الله ان يفعل بعباده ما هو الاصلح
لهم في باب الدين وقال بعضهم لا بل يجب عليه رعاية الصلاح
في حقهم وقال اهل السنة والجماعة ما هو الاصلح و
الانفع والصلاح والنافع للعبد فليس بواجب على الله تعالى
والا لما خلق الكافر الفقير المعذب في الدنيا والاخرة ابدا وقد
كان الاصلح والانفع ان يبقى على عدم الاصلي وان يكون
غير مكلف ومعذب قوله وهو عدل منه وكذا عقوبة المخذول
على المعصية عدل لا ظلم فيه لان الله تعالى لا يكون ظالما
بالخذلان وبعقوبة المخذول على المعصية لان الظلم وضع
الشيء في غير موضعه والله تع وضع التصرف في ملكه لا
في ملك غيره قال الشيخ الكلاباذي في كتاب معاني الاخبار
ان الله تع يفعل ما يشاء من رحمة وعذاب لان الخلق خلقه
والملك ملكه فان رحمهم واثابهم فهو المتفضل في ذلك
وان عذبهم والمهم فهو العدل وله ان يفعل ما يشاء
قال النبي صلى الله عليه وسلم لو ان الله عذب اهل السماء و
الارض لعذبهم وهو لهم غير ظالم فهو تعالى لا يسئل عما
يفعل وهم يسالون عما يفعلون فانما يسئل من هو تحت
قدرة غيره وفوقه امر زاجر وناه فكيف يعترض
على مالك يفعل في ملكه ما يشاء وهو عليم حكيم وكيف لا
يستسلم لله الملك القادر الجبار القهار انتهى كلامه قال الله تعالى
كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا

العذاب ان الله كان عزيزا حكيما والحكيم ذو الحكمة وهي
العلم بالاشياء على ما هي عليه والاتيان بالافعال على ما
ينبغي قيل الحكيم بمعنى المحكم من الاحكام وهو اتقان التدبير
واحسان التقدير ولا يجوز ان نقول ان الشيطان في
سلب الايمان اي الاقرار والتصديق من العبد المؤمن قهرا
وجبرا لان العبد المؤمن لا يكون معذبا وهو مجبور في
سلب الايمان وغرض الشيطان من سلب الايمان تعذيبه فلا
يحصل غرضه بالقهر والجبر فلا يسلبه جبرا ولكن نقول
العبد يترك اي يترك الايمان فيسلب منه الشيطان
باختيار العبد فان بعض القلوب يغلب عليه عند سكرات
الموت اما الشك واما الجحود فيقبض الروح في حال غلبة
الشك او الجحود فيكون اغلب على القلب منها حجابا بينه
وبين الله ابدا وذلك يقتضي البعد الدائم والعذاب المخلد
فان قلت فما السبب الذي يفضي الى سوء الخاتمة فاعلم
ان اسباب هذا الامر لا يمكن احصاؤها على التفصيل
ولكن يمكن الاشارة الى مجامعها اما الختم على الشك
او الجحود فسببه الغالب القوي البدعة واعني بالبدعة ان يعتقد
الرجل ذات الله وصفاته وافعاله على خلاف الحق فهو في هذا
حاله فاذا قرب الموت وظهر له ناصية ملك الموت واضطراب
القلب بما فيه ربما ينكشف له بطلان ما اعتقده بالجهل
المركب فيهما بطل عنده كل ما كان اعتقده وقد كان قاطعا به

كان

كان سببا لبطلان بقية اعتقاداته او لشكه فيها
فان اتفق زهوق روحه في هذه الحالة قبل ان يثبت
ويعود الى اصل الايمان فقد ختم له بالسوء وخرجت روحه
على الكفر والعياذ بالله منه وينكشف في سكرات الموت
بعض الامور وكل من اعتقد في الله وصفاته وافعاله
شيئا على خلاف ما هو به اما تقليدا واما نظرا بالرأي
والمعقول فهو في هذا الخطر والزهد والصلاح لا يكفي
لدفع هذا الخطر بل لا ينجي منه الا الاعتقاد الحق و
لذلك منع السلف عن البحث والنظر والخوض في الكلام
والتفتيش عن هذه الامور وامروا الخلق بان يقتصروا على
ان يؤمنوا بما انزل الله جميعا وبكل ما جاء من الظواهر
مع اعتقاد نفي التشبيه ومنعوهم عن الخوض في التاويل
لان الخطر في البحث عن صفات الله عظيم وعقباته كؤودة
والعقول عن ادراك جلال الله قاصرة والسبب الثاني في
سوء الخاتمة هو ضعف الايمان في الاصل ثم استيلاء
حب الدنيا على القلب ضعف الايمان ضعف حب الله
وقوي حب الدنيا فانه اذا جاءت سكرات الموت ازداد
حب الله ضعفا لما يظهر من استشعاره فراق الدنيا
وهي محبوبة الغالبة على قلبه ويرى فراق الدنيا من الله
فيختلج ضميره بانكار ما قدره عليه من الموت وكره ذلك
من حيث انه من الله تعالى فيخشى ان يثور في باطنه

بغض الله بدل الحب كما ان الذي يحب ولده حبا ضعيفا
اذا اخذه ذلك الولد اموالة التي هي احب اليه من ولده
واحرقها انقلب ذلك الحب الضعيف بغضا فاذا
اتفق زهوق روحه في تلك اللحظة التي خطرت فيها
هذه الخواطر فقد ختم له بالسوء وهلك هلاكا مؤبدا
نعوذ بالله تعالى منه بتفصيله في كتاب الخوف من كتب الاحياء

وسؤال منكر ونكير حق كائن في القبر واعادة الروح
الى الجسد في قبره حق وضغطة القبر وعذابه حق

كائن للكفار كلهم ولبعض عصاة المسلمين المنكر
اسم المفعول والنكير على فعيل بمعنى مفعول وانما سميا
بهذين الاسمين لان الميت لم يعرفهما ولم ير صورة
مثل صورتهما وفي الصحاح منكر ونكير اسما ملكين
ضَغَطَ يضغط ضغطا زحم الى حائط ونحوه ومنه
ضغطة القبر والزحمة الزحام يقال زحمه وازحمه
وازدحم القوم على كذا وتزاحموا عليه وفي المصابيح عن
ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قبر
الميت اتاه ملكان اسودان ازرقان يقال لاحدهما
المنكر وللاخر النكير فيقولان ما كنت تقول في هذا
الرجل فيقول هو عبد الله ورسوله اشهد ان لا اله الا الله
وان محمدا رسول الله فيقولان قد كنا نعلم انك
تقول هذا ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعا في

سبعين

100

سبعين ثم ينور له فيه ثم يقال له نم فيقول ارجع الى اهلي
فاخبرهم فيقولان نم كنومة العروس الذي لا يوقظه
الا احب اهله اليه حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك
وان كان منافقا قال سمعت الناس يقولون قولا فقلت
مثله لا ادري فيقولان قد كنا نعلم انك تقول ذلك
فيقال للارض التئمي فتلتئم عليه فتختلف اضلاعه فلا
يزال فيها معذبا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك عن عثمان
قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا فرغ من دفن الميت
وقف عليه فقال استغفروا لاخيكم ثم سلوا له بالتثبيت
فانه الان يسال قال الامام الغزالي رحمه الله في كتبه من كتب الاحياء
قال ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم المؤمن في قبره
في روضة خضراء ويرحب له في قبره سبعون ذراعا
ويضيء حتى يكون كالقمر ليلة البدر هل تدرون فيما اذا
نزلت فان له معيشة ضنكا قالوا الله ورسوله اعلم
قال في عذاب الكافر في قبره يسلط عليه تسعة وتسعون
تنينا هل تدرون ما التنين تسعة وتسعون حية
لكل حية سبعة رؤوس يخدشونه في جسمه الى يوم القيمة
فان قلت فنحن نشاهد الكافر في قبره مدة ونراقبه
ولا نشاهد شيئا من ذلك فما وجه التصديق على خلاف
المشاهدة فاعلم ان لك ثلث مقامات في التصديق
بامثال هذا احدها وهو الاظهر والاصح والاسلم

ان تصدق بامثال هذا احدها وهو الاظهر بانها
موجودة وهي تلدغ الميت ولكنك لا تشاهد ذلك
فان هذه العين لا تصلح لمشاهدة الامور الملكوتية
وكل ما يتعلق بالاخرة فهو من عالم الملكوت اما ترى
ان الصحابة كيف كانوا يؤمنون بنزول جبريل وما
كانوا يشاهدونه ويؤمنون بان النبي صلى الله عليه وسلم
يشاهده فان كنت لا تؤمن بهذا فتصحيح اصل
الايمان بالملائكة اهم عليك وان امنت وجوزت ان
يشاهد النبي صلى الله عليه وسلم ما لا تشاهده الامة
فكيف لا تجوز هذا في الميت وكما ان الملك لا يشبه
الادميين والحيوانات لا تشبه الحيات العقارب التي تلدغ في
القبر حيات الدنيا وعقاربها الا انها ليست من جنس
حيات عالمنا هذا وعقاربه بل هي جنس اخر وتدرك
بحاسة اخرى المقام الثاني ان تتذكر امر النائم فانه
قد يرى في نومه حية تلدغه وهو يتألم بذلك ويتأذى
كما يتأذى اليقظان وانت ترى ظاهره ساكنا
ولا ترى حوله حية والحية في حقه موجودة والعذاب
حاصل واذا كان العذاب من لدغ الحية حاصلا
فلا فرق بين حية تتخيل او تشاهد المقام الثالث
انك تعلم بنفسها لا تؤلم بل الذي يلقاك منها السم
والعذاب في الصفات المهلكة من الكبر والحسد والبخل

د اوية ٦

والرذائل وغيرها تنقلب موذيات ومولمات في النفس
عند الموت فيكون الامها كالام لدغ الحيات من غير وجود
حيات فان قلت فما الصحيح من هذه المقامات الثلاث فاعلم
ان من الناس من لم يثبت الا الاول وانكر الثاني وانت
الثالث وانما الحق الذي انكشف لنا بطريق الاستبصار
ان كل ذلك في حيز الامكان وان من ينكر بعض ذلك
فهو لضيق حوصلته وجهله باتساع قدرة الله وعجائب
تدبيره فينكر من افعال الله ما لم يأنس به ولم يألفه وذلك
جهل وقصور بل هذه الطرق الثلاثة في التعذيب
ممكنة والتصديق بها واجب ورب عبد يعاقب بنوع
واحد من هذه الانواع الثلاثة ورب عبد تجمع عليه هذه
الانواع الثلاثة نعوذ بالله من عذاب الله قليله وكثيره
فصدق به تقليدا فيعز على بسيط الارض من يعرف
ذلك تحقيقا والذي اوصيك به ان لا تكثر نظرك
في تفصيل ذلك ولا تشتغل بمعرفته بل اشتغل بالتدبير
في دفع العذاب كيف ما كان فان اهملت العمل والعبادة
واشتغلت بالبحث عن ذلك كنت كمن اخذه السلطان
وحبسه ليقطع يده ويجدع انفه فجعل طول الليل يتفكر
بانه هل يقطع بسكين او سيف واهمل طريق دفع
العذاب عن نفسه وهذا غاية الجهل وكل شيء ذكره
اي بعبارة العربية من صفات عز اسمه فجائز القول به اذا

العلماء بالفارسية من صفات الباري هو

كان مرادفا له كذا لكل شيء ذكره العلماء بغير العربية
من اسماء الله تع فجاز القول به اذا لان مرادفا
لم يجوز ان يقول خداي تع توانست ودانست وبينست
وشنوانست نه بچشم وگوش كما قال الامام الغزالي
في كتاب كيمياء سعادة بوهمه چيزها قادرست وتوانائي
وي بكمالست دو بر آمد از بيش هيچ يار وهمتا
زيست وي داناست چه دانستني است هرچه به
عالم هست همه بجواست وچنان كه داناست بهرچه
هست بينا وشنواست بهرچه ديدني وشنيدني است
وديدار وي بچشم نبود وشنواي وي بگوش نبود
چنانكه دانش وي باندیشه وتدبير نبود وآفريدن
وي بآلت نبود سوي اليد بالفارسية اي بغير العربية
فلا يجوز ان يقال دست خداي وقال الله تع يد الله فوق
ايديهم بل يداه مبسوطتان ولا يجوز تفسير اليد
بغير اللغة العربية اذ لم يسمع من العلماء قال
صاحب الكشف في شرح اصول البزدوي رحمه اعلم انه
امثال ما ذكرنا يتبع فيه اللفظ الذي ورد به النص من
الكتاب والسنة ولا يشتق منه الاسم فلا يقال الله متوجه
الى فلان ولا يقال بالفارسية ايضا چشم خداي ودست
خداي وغير ذلك وليس قرب الله ولا بعده اي
ليس قرب العبد من الله ولا بعد العبد من الله من

طريق طول المسافة وقصرها لان القرب والبعد من
هذا الطريق لا يتصور الا في المتمكن والمتحيز في مكان
وجهة والله تع منزه عن المكان والحيز والجهة لانه
ليس بجوهر ولا عرض ولكن على معنى الكرامة والهوان
يعني قرب العبد نقصا واطلاق القرب على الكرامة والبعد
على الهوان مجاز مرسل من قبيل اطلاق السبب على المسبب
والمطيع قريب منه بلا كيف اي ليس قربه من الله من طريق
قصر المسافة والجهة ولا من طريق قرب العرض من الجوهر
لا بالعكس ولا من طريق قرب الجنس من الفصل ولا من
طريق قرب الفصل من الجنس القريب والعاصي بعيد منه
بلا كيف اي ليس بعده من الله من طريق طول المسافة
والجهة ولا من طريق بعد الفصل من الجنس العالي كالناطق
بالنسبة الى الجوهر لانه ليس بجنس ولا فصل لشيء وليس
شيء بجنس ولا فصل لله تع لانه واحد حقيقي والجنس لا
يتعين ولا يتميز الا بالفصل والفصل لا يقوم الا بالجنس فكل
واحد منهما محتاج الى الآخر والله تع غني قديم والقرب
والبعد والاقبال يقع على المناجي لان هذه المعاني من
صفات الاجسام والاعراض حقيقة ولا تطلق على الله تع
الا بالتأويل وكذلك جواره اي مجاورة المطيع لله تع
في الجنة والوقوف بين يديه اي بين يدي الله بلا كيف
اي ليس هذا على معناه الظاهر من المشابهة كما قال الامام

يعني قرب العبد من الله كرامة العبد منه
وبعد العبد من الله هو هوانه

الغزالي في كتاب المحبة من كتب الاحيا الحبيب هو القرب من الله تع
والقريب من الله تع في العبد من صفات البهايم والسباع
وفي التخلق بمكارم الاخلاق التي هي الاخلاق الالهية فهو قرب
بالصفة لا بالمكان ومن لم يكن قريبا ثم صار قريبا فقد
تغير فربما يظن بهذا ان القرب لما تجدد فقد تغير صفة
العبد والرب جميعا وهو محال في حق الله تع اذ التغير
عليه محال بل لا يزال في نعوت الكمال والجلال على ما كان عليه
في ازل الازال ولا ينكشف هذا الا بمثال القرب بين الاشخاص
فان الشخصين قد يتقاربان بتحركهما جميعا وقد يكون احدهما
ثابتا فيتحرك الاخر فيحصل القرب بتغير في احدهما من غير
تغير في الاخر والقرب في الصفات كذلك فان التلميذ يطلب القرب
من درجة استاده في كمال العلم والاستاذ ثابت في كمال علمه غير
متحرك بالنزول الى درجة تلميذه والتلميذ متحرك مترق من
حضيض الجهل الى يفاع العلم وكذلك ينبغي ان تفهم ترقي العبد
في درجات القرب فكلما صار اكمل صفة واتم علما واطهر نزاهة
عن الرذائل صار اقرب من درجة الكمال لله وقرب كل
واحد من التقييد كان اظهر فقد فهم من هذا التفصيل معنى
قول الامام الاعظم والقرب والبعد والاقبال يقع على المناجي
اي المتذلل لله المتضرع الى الله المتخلق باخلاق الله
والقران منزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في
المصاحف مكتوب وايات القران في معنى الكلام اي في

كونها كلام الله

كونها كلام الله كلها مستوية في الفضيلة والعظمة قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل كلام الله على سائر
الكلام كفضل الله على خلقه وايات القران كلها مستوية
في هذه الفضيلة مفضلة كل اية على سائر الكلام كفضل الله
على خلقه الا ان لبعضها فضيلة الذكر وفضيلة المذكور
مثل اية الكرسي لان المذكور فيها جلال الله وعظمته و
صفاته فاجتمعت فيها فضيلتان فضيلة الذكر اي القران
وفضيلة المذكور وهو الله وصفاته واسماؤه وكذا الايات
التي يذكر فيها الانبياء والاولياء فيها فضيلتان ولبعضها
فضيلة الذكر فقط مثل قصة الكفار فيها فضيلة القران
لانها كلام الله لا كلامهم كما مر في صدر الكتاب وليس
للمذكور فيها فضل وكذلك الاسماء والصفات كلها مستوية
في العظم والفضل لا تفاوت بينهما يعني لا تفاوت
بين اسماء الله تع ولا بين صفاته اذ كلها مستوية في
العظم والفضل الذي يحصل لها بكونها اسماء الله وصفاته
وبكونها لا هو ولا غيره وبعضها اعظم يقال له الاسم
الاعظم لدلالته على المعاني الكثيرة العظيمة ولعدم اطلاقه
على غير الله تع قال الامام الغزالي في كتاب المقصد الاقصى
اما قوله الله فهو اسم للموجود الحق الجامع لصفات الالهية
المنعوت بنعوت الربوبية المتفرد بالوجود الحقيقي اعلم
ان هذا الاسم اعظم الاسماء التسعة والتسعين لانه

وهم الكفار صح

لانه دال على الذات الجامعة لصفات الالهية كلها حتى لا
نشذ منها شيء وسائر الاسماء لا يدل احادها الا على
احاد المعاني من علم او قدرة او فعل ونحوه ولانه اخص
الاسماء اذ لا يطلقه احد على غيره تعالى لا حقيقة ولا مجازا
وسائر الاسماء قد يسمى بها غيره كالقادر والعالم والرحيم
وغيره فلهذين الوجهين يشبه ان يكون هذا الاسم
اعظم هذه الاسماء وقال الامام الغزالي ايضا الرحمن اخص
من الرحيم ولذلك لا يسمى به غير الله والرحيم قد يطلق
على غيره فهو من هذا الوجه قريب من اسم الله ولذلك جمع
الله بينهما فقال قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن اياما تدعوا
فله الاسماء الحسنى ووالدا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ماتا على الكفر هذا رد على من قال ان والداه ماتا على الايمان
وقالت عمه رضي الله عنه مات كافرا هذا رد على من قال مات ابو طالب
على الايمان وقالت الروافض مات والدا رسول الله صلى الله
عليه وسلم وكانا مؤمنين ومات ابو طالب عمه على الايمان
وكان مؤمنا وقد رد الامام فخر الرازي قول الروافض
في التفسير الكبير في تفسير سورة الانعام وفي المصابيح
ان اهون اهل النار عذابا ابو طالب وهو متنعل بنعلين
تغلي منهما دماغه وان مات الكافر ولم يسلم يغسله
ويكفنه ويدفنه بذلك امر علي رضي الله عنه في حق ابيه ابي
طالب وقاسم وطاهر وابرهيم كانوا بني رسول الله

صلى الله عليه وسلم وفاطمة ورقية وزينب وام كلثوم
كن بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا رد على من
روى بعض اولاد رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثر او اقل
من المذكورين في هذه الرواية وهي الصحيحة كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم تزوج خديجة وهو ابن خمس وعشرين
سنة فولدت منها ستة اولاد وولدت من الجارية ابرهيم
وهي جارية قبطية وولد ابرهيم المدينة ومات صغيرا قال البراء
لما توفي ابرهيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان له مرضعا
في الجنة واذا اشكل على الانسان المؤمن شيء اي مسالة
من دقائق اي من مسائل علم التوحيد والصفات فانه ينبغي له
اي يجب عليه ان يعتقد في الحال على الاجمال ما هو الصواب
عند الله تعالى بان يقول مثلا انما اراد الله منه حق واقع
او يقول اعتقدت ما هو الصواب عند الله وهذا القدر
يكفي الى ان يجد عالما بعلم مسائل علم التوحيد والصفات
فيسأله عما اشكل عليه ولا يسعه اي لا يجوز له تاخير
الطلب اي تاخير طلب العلم الذي هو فرض عليه وهو علم
الايمان وعلم ما يزول به الايمان ويحصل الكفر وعلم ما
يكون به من اهل السنة والجماعة وعلم كل عمل اذا كان
فرضا عليه قال الله تعالى فاعلم انه لا اله الا الله وقال فاسئلوا
اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم وقال النبي صلى الله عليه وسلم

اطلبوا العلم ولو بالصين ولا يعتد بالتوقف فيه اي لا
يكون معتقدا اما التوقف فيما لا يحمل عليه من الاعتقادات
ويمكن ان يتوقف في ما لا يحمل عليه اذا كان من ضروريات
الدين لان التوقف في المؤمن به كفر لان التوقف يمنع
التصديق ومثاله توقف جالينوس فانه توقف في حشر
الاجساد فلم يحكم بوقوعه وبعدم وقوعه ومن علم علم
التوحيد والصفات مفصلا وعلم الفقه مفصلا يعلم
ان التوقف في اي مسئلة يكون كفرا واذا قال اعتقدت
ما هو الحق عند الله يثبت ايمانه الاجمالي لوجود التسليم
والقبول اجمالا فان قيل من لم يحمل عليه وحدانية الله تع
وقدرته على كل شيء من الجزئيات والكليات وحشر
الاجساد وحدوث العالم ونحوه فقال اعتقدت ما هو
الحق عند الله ثم لم يسئل عن ما لم يحمل عليه وخطر على
قلبه من هذه المذكورات واخر الطلب ولم يطلب ابدا هل يبقى
مؤمنا بقوله اعتقدت ما هو الحق عند الله او يكون كافرا
بترك السؤال والطلب قلنا هذه المذكورات من ضروريات
الدين وجليات يعلمها كل عاقل نشا بين المؤمنين اما
اجمالا واما تفصيلا ولو خطر على قلبه انه كون اله
العالم واحدا او لم يحمل عليه كونه واحدا ومتعددا ولم يمل
قلبه الى واحد منهما يجب عليه ان يقول في الحال اعتقدت
ما هو الحق عند الله ويجب عليه الطلب والسؤال بلا توقف

ولو اخر

ولو اخر الطالب وتركه ولم يعتقد ان اله العالم واحد يكون
كافرا ومن توقف في خروج اصحاب الكبائر من النار فهو
مبتدع ومن توقف في شفاعة الانبياء فيهم يوم القيمة
فهو كافر ومن توقف في عذاب القبر فهو مبتدع عند بعضهم
وكافر عند بعضهم ومن توقف في كون الشيء بتقدير الله
تع فهو كافر ومن توقف في القيمة او الجنة او النار او
الميزان او الصراط او الحساب او الصحائف المكتوبة فيها
اعمال العباد يكفر ولو توقف في البعث فكذلك ولو توقف
في بعث رجل بعينه لا يكفر ولو توقف في كون المعوذتين
من القرآن لا يكفر وخبر المعراج حق ومن رده فهو
مبتدع ضال اي من انكر المعراج الى السماء فهو مبتدع
ضال لانه عروج رسول الله عليه وسلم بجسده في اليقظة
الى السماء ثابت بالخبر المشهور وهو قريب من الخبر
المتواتر في القوة وفي كتاب الخلاصة ومن انكر المعراج ينظر
ان انكر الاسراء من مكة الى بيت المقدس فهو كافر ولو
انكر المعراج من بيت المقدس لا يكفر وخروج الدجال
ويأجوج ومأجوج وطلوع الشمس من مغربها ونزول
عيسى عليه السلام من السماء وسائر علامات يوم القيمة
على ما وردت به الاخبار الصحيحة حق كائن عن حذيفة
من اسيد الغفاري رض قال اطلع النبي صلى الله عليه وسلم
ونحن نتذاكر فقال ما تذاكرون قالوا نذكر الساعة قال النبي صلى الله عليه وسلم

انها لن تقوم حتى ترو قبلها عشر ايات فذكر الدخان
والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى
ابن مريم عليه السلام ويأجوج ومأجوج وثلثة خسوف
خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة
العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس الى
محشرهم كذا في المصابيح والله يهدي من يشاء الى صراط
مستقيم اي يوفق ويثبت على ذلك اي على اعتقاد صحيح
وعمل صالح من تعلق مشيئته الازلية بهدايته والامام
الاعظم ابو حنيفة رضي الله عنه كانه يقول ما ذكرناه من
العقائد الدينية في كتاب الفقه الاكبر بيان وبلاغ للناس
وما علينا الا البلاغ فقد بلغنا والله يهدي من يشاء
الى صراط مستقيم قال الله تعالى ليس عليك هداهم ولكن الله
يهدي من يشاء وقال الله تعالى انك لا تهدي من احببت
ولكن الله يهدي من يشاء وهو اعلم بالمهتدين اي لا
يجب عليك ان تجعل الناس مهتدين وانما عليك
الارشاد والحث على المحاسن والنهي عن القبائح قوله
ولكن الله يهدي من يشاء صريح بان الهداية من الله
وعنايته وانما تختص بقوم دون قوم قال الله تعالى في
هذه الاية انك لا تهدي من احببت وقال الله تعالى
في اية اخرى وانك لتهدي الى صراط مستقيم ولا تنافي
بينهما فان الذي اثبته واضافه الى رسوله هو الدعوة

والبيان

والبيان والذي نفى عنه هداية التوفيق وشرح الصدر
وهو نور يقذف في القلب فيحيى به القلب واما قوله
تعالى وهو اعلم بالمهتدين فالمعنى انه تعالى هو المختص بعلم
الغيب فيعلم من يهتدي بعد ومن لا يهتدي اللهم
يا هادي المهتدين اهدنا الصراط المستقيم
صراط الذين انعمت عليهم واحشرنا
في زمرتهم وادخلنا الجنة معهم
برحمتك يا ارحم الراحمين تم
شرح الكتاب بعون الله
الملك الوهاب اللهم ارزقنا
سلامة وعافية
وصحة لي وللاولاد
ولاولاد الاولاد
[illegible] عبادك المؤمنين
[illegible] امين
٢٠٢ جمادى الآخرة

هذا مختصر الحكمة النبوية شرح فقه الاكبر لابي حنيفة رحمه الله تع

واما الفعلية فالتخليق والترزيق والانشاء والابداع والصنع وغير ذلك من صفات الفعل ويعني بصفات الفعلية الصفات التي كانت في وصف ذاته وفعله كالمذكورات وكالاحياء والاماتة وكالانبات والانماء والتصوير وغيرها والتخليق والانشاء والفعل والصنع والابداع احداث بمعنى واحد وهو احداث الشيء بعد ان لم يكن سواء كان على مثال سابق اولا والابداع احداث الشيء بعد ان لم يكن لا على مثال سابق والترزيق احداث رزق الشيء وجعله قوتا له فاعلم ان لا موجود في عالم الشهادة وعالم الارواح والملائكة سوى الله تع الا وهو حادث احدثه الله تعالى بتخليقه وفعله وانشائه وصنعه بعد ان لم يكن وانه تع خلق الانس والجن وخلق ارزاقهما فرزقهما لانه هو الرحمن الرحيم الودود الكريم فيجب ان يظهر نعمته ورحمته على الخلايق في الدنيا والاخرة لا لانه مفتقر ومحتاج اليهم فان الله غني عن العالمين ثم اعلم ان المصنف انما خص بالذكر ههنا من صفات الله الذاتية والفعلية المذكورات اعني الحيوة والقدرة والعلم والكلام والسمع والبصر والارادة والتخليق والترزيق وغيرها لان معرفتها تكون المرء في معرفة وجود الله تع ولانه لو جهل واحدة منها لم يكن مؤمنا في معرفة فخر الاسلام علي البزدوي رحمه الله في اصول الفقه واما الايمان والاسلام فان تفسيره التصديق والاقرار بالله تعالى كما هو بصفاته واسمائه وقبول احكامه وشرايعه وهو نوعان ظاهر بنشئه بين المسلمين وثبوت حكم الاسلام تبعا للغير من الوالدين وثابت بالبيان بان يصف الله تع كما هو الا ان هذا كمال يتعذر شرط لانه معرفة الخلق باوصافه على التفسير متفاوتة وانما شرط الكمال بما لا حرج فيه وهو ان يثبت التصديق والاقرار بما قلنا اجمالا وان عجز عن بيانه وتفسيره ولهذا قلنا ان الواجب ان يستوصف المؤمن فيقال هو كذا فاذا قال نعم فقد ظهر كمال اسلامه الا ترى ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم استوصف فيما روي عنه عن ذكر الجمل دون التفسير وكان ذلك دأبه عليه الصلوة والسلام وبذلك امرنا بالكتاب والسنة قال الله سبحانه وتعالى يا ايها الذين امنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله

اعلم

اعلم بايمانهن وكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يمتحن الاعراب بعد دعوى الايمان الا ان يظهر اماراته فيجب التسليم له كما قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم الرجل يعتاد الجماعة فاشهدوا له بالايمان وقال النبي صلى الله عليه وسلم من صلى صلوتنا واستقبل قبلتنا واكل ذبيحتنا فاشهدوا له بالايمان فاما من لم يستوصف فجهل فليس بمؤمن لذلك قال محمد رحمه الله في الجامع الكبير في صغيرة بين ابويها مسلمين اذا لم تصف الاسلام حتى ادركت فلم تصف انها تبين من زوجها ثم اعلم ان صفات الله تعالى لم يزل ولا يزال بصفاته واسمائه لم يحدث له صفة ولا اسم يعني ان صفات الله تعالى واسمائه كلها ازلية لا بداية لها وابدية لا نهاية لها لم يحدث له تع صفة من صفاته ولا اسم من اسمائه لانه هو واجب الوجود لذاته وهو الكامل في ذاته وصفاته الذي لا يعتريه نقص في ذاته وصفاته فلو حدث له تع صفة من صفاته او زالت عنه لكان قبل حدوث تلك الصفة وبعد زوالها ناقصا وذلك محال وباطل فصفات الله تع كلها ازلية وابدية لم يزل عالما بعلمه والعلم صفته في الازل وقادرا بقدرته والقدرة صفته في الازل وخالقا بتخليقه والتخليق صفته في الازل وفاعلا بفعله والفعل صفته في الازل والمفعول مخلوق وفعل الله غير مخلوق يعني انه تعالى اذا علم شيئا فانما يعلمه بعلمه الذي هو صفته الازلية لا بعلم حادث واذا قدر على شيء فانما يقدر عليه بقدرته التي هي صفته الازلية لا بقدرة حادثة واذا خلق شيئا وفعله فانما يخلقه ويفعله بفعله الذي هو صفته الازلية لا بفعل حادث ووصف حادث فاذا لا يحدث له علم ولا قدرة ولا خلق ولا فعل بحدوث المعلوم والمقدور والمخلوق والمفعول تعالى الله عن ان يكون محلا للحوادث علوا كبيرا فاعلم ان العاقل ملكا كان او نفسا ناطقة في ادراك ذاته لا يحتاج الى صورة غير ذاته بل يعلم ذاته بذاته لا بصورة متقررة في ذاته كما يعلم ساير الاشياء بصورة متباينة متقررة في ذاته وقد علمت ان صفاته تع ليست غير ذاته وعلمت ايضا استحالة قيام الحوادث بذاته تع فاذا ان الله تع كما يعلم ذاته بذاته لا بصورة متقررة في ذاته كذلك يعلم الاشياء كلها بذاته لا بصورة متباينة متقررة في ذاته وكذلك يفعلها بذاته لا بمشاركة غيره ولا بان يحدث في ذاته شيء فانما حادث

اثر فعله لا فعله وانت تعلم ان المغنطيس يجذب الحديد لا بانفراد ذاته بل بمشاركة قوة في ذاته
ومع ذلك يجذبه من غير ان يحدث في ذاته شيء فاما الحادث اثر قوته وجذبه وهو جذب الحديد وانجذابه
الحاصل في خارج المغنطيس لا قوته وجذبه الذي في ذاته فلو كان المغنطيس قديما لكان قوته
وجذبه قديما ايضا فاذا كان المغنطيس يجذب الحديد بمشاركة قوة في ذاته من غير ان يحدث في
ذاته شيء فما ظنك بحال الفاعل بانفراد ذاته من مشاركة غيره وصفاته في الازل غير محدثة ولا
مخلوقة ومن قال انها مخلوقة او محدثة او وقف او شك فيها فهو كافر بالله تعالى يعني ان
من قال ان صفات الله تع مخلوقة او محدثة فهو كافر بالله تع لانه اعتقد ان واجب الوجود
والخالق موصوف بالمخلوق والحادث واعتقد ايضا صفته ان الخالق كصفة المخلوق ومن اعتقد
ذلك فهو جاحد بالله تع وصفاته كافر به وبانبيائه وقوله او وقف او شك فيها اي او من
وقف في جهله بها بان لم يطلع فيها او شك فيها اي شك في وجودها بان لا يعرفها
يقينا فهو كافر بالله تع ايضا الا ان الجهل والشك الموجبين الكفر مخصوصان بصفات الله
المذكورة اعني الحياة والقدرة والعلم والكلام والسمع والبصر والارادة والتخليق والترزيق
وقد بين وجه ذلك في كتاب الخلاصة رجل قال ري وار كار كنيم واز ادوار خوريم هذا من
كلمات المجوس وفي هذا رؤية الرزق من الكسب وانه لا لان الرزق من الله تع يرزق بالكسب وبغير
كسب ولو قال الرزق من الله تع ولكن از بنده جنبش خواهد هذا شرك لان حركة ايضا من
الله تع ولو قال تا اين دستهاي زريه من بامنست مواجه روزي كم نيايد هذه مخاطرة ف
القرآن كلام الله تع قد يطلق القران ويراد به كلام الله الذي هو صفته وذلك لان معناه
انما يفهم بواسطة الحروف والقراءة وقد يطلق القران ويراد به المنظوم العربي المنزل على محمد
صلى الله عليه وسلم فالمراد ههنا هو المعنى الاول [والقرآن صح] في المصاحف مكتوب يعني ان كلام الله الذي
هو صفته تعالى مكتوب في المصاحف بواسطة الحروف وفي القلوب محفوظ وعلى الالسن مقروء
وعلى النبي صلى الله عليه وسلم منزل بواسطة الحروف والالفاظ ولفظنا بالقران مخلوق وكتابتنا
له مخلوق وقراءتنا له مخلوق لان ذلك من افعالنا والقران اي كلام الله الذي هو صفته تع غير مخلوق
قال المصنف رحه في كتاب الوصية نقر بان القران كلام الله تع غير مخلوق ووحيه وتنزيله وصفته
لا هو ولا غيره بل هو صفته على التحقيق مكتوب في المصاحف مقروء على الالسن محفوظ في الصدور

غير

غير حال فيها والحبر والكاغد والكتابة كلها مخلوقة لانها افعال العباد وكلام الله سبحانه
وتع غير مخلوق لان الكتابة والحروف والكلمات والايات كلها آلة القرآن لحاجة العباد
اليها وكلام الله تعالى قائم بذاته ومعناه مفهوم بهذه الاشياء فمن قال بان كلام الله
تع مخلوق فهو كافر بالله العظيم وقال فخر الاسلام علي البزدوي رحمه الله في اصول
الفقه وقد صح عن ابي يوسف رحمه الله انه قال ناظرت ابا حنيفة رحمة الله عليه في
مسئلة خلق القرآن ستة اشهر فاتفق رأيي ورأيه على ان من قال بخلق القرآن
فهو كافر وصح هذا القول عن محمد رحمه الله فاعلم ان الصحابة والتابعين وغيرهم
من المجتهدين رضوان الله تعالى عليهم اجمعين قد اجمعوا على ان كل صفة من صفات الله تع
هو ولا غيره يعني لا هو بحسب المفهوم ولا غيره بحسب الوجود اما انه لا هو بحسب المفهوم فلا
شك ان مفهوم علمه وقدرته وسمعه وبصره وكلامه وسائر صفاته غير مفهوم ذاته
واما انه لا غيره بحسب الوجود فقد علمت بالادلة الشرعية والعقلية ان وجوده عين
ذاته وصفات ليست غير ذاته فكل صفة من صفات انما تمتاز عن ذاته وسائر صفاته
بحسب المفهوم لا بحسب الوجود هذا كما كان في قولنا الانسان سميع بصير متكلم فانما
تمتاز كل واحد من هذه المحمولات عن موضوعها وعن كل واحد منها بحسب المفهوم لا بحسب
الوجود فليس وجود السميع غير موجود القادر ولا وجود المتكلم غير وجود البصير
واما قدرة الانسان وسمعه وبصره وكلامه فوجود كل واحد من هذه الصفات غير وجود
الموصوف بها وذلك لان الانسان انما يقدر ويسمع ويبصر ويتكلم بالات لا بانفراد ذاته
اما علم النفس الناطقة ذاتها فانما يكون بانفراد ذاتها بصورة حاصلة في ذاتها فلذلك
لم يكن وجوده غير وجودها فلا يمتاز من ذاتها الا بحسب المفهوم لا بحسب الوجود
فالله سبحانه وتعالى كما يعلم ذاته بذاته كذلك يعلم الاشياء كلها ويفعلها ويقدر عليها بانفراد
ذاته لا بالة ولا بمشاركة غيره وكذلك الامر في سائر صفاته ثم اعلم ان صفاته تع كثيرة
لانه هو الموصوف بصفات الكمال كلها ومن جملتها تسع وتسعون صفة وهي التي منها
تشتق اسماؤه الحسنى وذلك لان صدق المشتق على شيء يقتضي بانضمام الاشتقاق له
وغيرها من صفات الله تع مذكورة في كتاب الله تعالى وفي سائر الكتب المنزلة وفي الاخبار

وما ذكره الله تع في القرآن عن موسى عليه السلام وغيره من الانبياء صلوات الله عليهم
وعلى نبينا وعن فرعون وابليس لعنة الله عليهما فان ذلك كله كلام الله تعالى
اخبارا عنهم وكلام الله تعالى غير مخلوق وكلام موسى عليه السلام وغيره من المخلوقين
مخلوق والقرآن كلام الله لا كلامهم يعني ان ما ذكره الله تع في القرآن اخبارا عن موسى
وعيسى عليهما السلام وغيرهما من الانبياء وعن فرعون وابليس فانما قال بكلامه القديم
وكلامه القديم الذي قد كتب الكلمات الدالة عليه في اللوح المحفوظ قبل خلق السموات والارض
لا بكلام حادث وعلم حادث حاصل بعد سمعه من موسى عليه السلام وعيسى عليه السلام وغيرهما
من الانبياء صلوات الله عليهم وعلى نبينا ومن فرعون وابليس عليهما اللعنة فاذا الاولى
بيعه اخبار الله المنسوبة الى المذكورة واية الكرسي وسورة الاخلاص في كونها كلامه تع و
سمع موسى عليه السلام كلام الله تعالى كما في قوله تعالى وكلم الله موسى تكليما
يعني وسمع موسى عليه السلام من الله تع بلا واسطة من وراء حجاب كلامه الذي هو التورية الا ترى
ان الله تعالى قال الله وكلم الله موسى تكليما وقال الله تع وقد كان فريق منهم يسمعون كلام
الله الآية ولا يكلم الله عبده الا وحيا اي الهاما كما كلم الحواريين فقال واذا اوحيت الى
الحواريين الاية او من وراء حجاب كما كلم موسى عليه السلام وكان موسى عليه السلام اذا كلمه الله تع
يسمع كلامه من باطن الغمام الذي كالعمود وقد يغشاه الغمام وربما كان يسمع كلامه تع من
باطن النار او يرسل جبرائيل عليه السلام او غيره من الملائكة عليهم السلام كما كلم محمدا صلى الله
عليه وسلم وغيره من الانبياء وصلوات الله وسلامه وعلى نبينا قال الله تعالى وما كان لبشر
ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء وانما يقال
بان المنظوم العبراني الذي هو التورية والمنظوم العربي الذي هو القرآن كلام الله تع لان
كلماتهما واياتهما ادلة كلامه تعالى وعلامته ولان مبدأ نظمهما من الله تع الا ترى
انك اذا قرأت شيئا من الاحاديث قلت هذا الذي قرأته وقلته ليس قولي بل هو قول
رسول الله صلى الله عليه وسلم لان مبدأ نظم ذلك القول من رسول الله عليه الصلوة
والتحية وقد كان الله تعالى متكلما ولم يكن كلم موسى عليه السلام وقد كان
الله تع خالقا في الازل ولم يخلق الخلق هذا رد على اهل البدع والضلال

الذين

الذين قالوا ان الله لم يكن متكلما قبل ان كلم موسى عليه السلام ولا خالقا
قبل ان خلق الخلق وقد علمت بالادلة الشرعية والعقلية استحالة
قيام الحوادث بذات الله تع فلما كلم الله موسى عليه السلام بكلامه الذي هو له
صفة في الازل يعني كلمه بكلامه القديم الذي قد كتب الكلمات الدالة عليه في اللوح المحفوظ
قبل خلق السموات والارض فلما كلم الله موسى عليه السلام كلمه على وفق تلك الكلمات المكتوبة
والكلمات التي سمعها موسى عليه السلام من الله تعالى حادثة مخلوقة وهي ادلة كلامه الذي هو صفة
الازلية فكذلك قال المصنف رحمه الله كلمه بكلامه الذي هو له صفة في الازل وصفاته كلها بخلاف
صفات المخلوقين يعلم لا كعلمنا لانا نعلم الاشياء بالالات وبصور حاصلة في اذهاننا فالله
تعالى يعلم الاشياء بانفراد ذاته كما علمت لا بالة ولا بصور حاصلة في ذاته ويقدر لا كقدرتنا
لان قدرتنا حادثة مخلوقة ولانا لا نقدر الا على بعض الاشياء وذلك بالالات والاعوان والاتصال
وقدرة الله تعالى قديمة وهي صفته التي ليست غير ذاته وقد علمت ان الله تعالى قادر على كل شيء
فاذا ان الله تعالى قادر بانفراد ذاته على كل شيء لا بالة ولا بمشاركة غيره ويرى لا كرؤيتنا
ويتكلم لا ككلامنا ويسمع لا كسمعنا نحن بالالات والحروف والله تع يتكلم بلا الة ولا
حرف والحروف مخلوقة وكلام الله تعالى غير مخلوق وانما قال ويرى لا كرؤيتنا ويسمع لا
كسمعنا لانا نرى الاشكال والالوان ونسمع الاصوات والكلمات بالالات فالله تعالى يرى الاشكال
والالوان بابصاره الذي هو صفته التي ليست غير ذاته لا بالة ويسمع الاصوات والكلمات
بسمعه الذي هو صفته التي ليست غير ذاته لا بالة وذاته قديمة فاذا ان الله تعالى يرى الاشكال
والالوان ويسمع الاصوات والكلمات بانفراد ذاته لا بالة ولا بمشاركة غيره وان رؤيته
بالاشكال والالوان وسمعه بالاصوات والكلمات قديم وانت ترى في حالة نومك بقوتك
بطوت دماغك في رؤياك اشكالا والوانا وتسمع اصواتا وكلماتا ولا شكل والالوان
ولا مصوت ولا متكلم حاضر وبعد زمان ترى تلك الاشكال والالوان وتسمع تلك
الاصوات والكلمات في حالة يقظتك على وفق ما رأيتها وسمعتها في حالة نومك بلا
زيادة ولا نقصان ومع هذا تتعجب من الله تعالى كيف يرى الاشكال والالوان قبل

وجودها وكيف يسمع الاصوات والكلمات قبل وقوعها وهو الذي يرى الاشكال
والالوان في حالة نومك بدون حضورها ويسمعك الاصوات والكلمات قبل وقوعها
وهو شيء لا كالاشياء قال الله تع ليس كمثله شيء مثال ذلك قول العرب مثلك لا يبخل فنفوا
البخل عن مثله وهم يريدون نفيه عن نفسه فقصدوا به المبالغة في ذلك فسلكوا به طريق الكناية
لانهم اذا نفوا البخل عن مثله فقد نفوه عنه مع المبالغة فاذا علم انه من باب الكناية لم يقع
فرق بين قوله ليس كالله شيء وبين قوله ليس كمثله شيء الا ما يعطيه الكناية من المبالغة
ومعنى الشيء اثباته بلا جسم لان الجسم جوهر ذو ابعاد ثلثة سواء كان كل واحد منها
متميزا عن الاخر او لم يكن كما كان في الجسم الكري فلا فرق بين طوله وعرضه وعمقه فالله تع
منزه عن ذلك ولا جوهر لان الجوهر هو الذي يكون محلا للاعراض والحوادث وقد علمت
ان الله تعالى منزه عن ذلك ولا عرض لان العرض كل موجود في موضوع فالله تع منزه
عن ذلك ولا حد له لان الحد تعريف الماهية بذكر اجزائها وواجب الوجود لا جزء له فيمتنع
ان يكون له حد ولا ضد له لانه لا موضوع له ولانه لا منازع يمانع اياه ولا ند له ولا مثل له
لانه لا نوع له فالله تع منزه عن هذه الاشياء كلها لانه هو واجب الوجود لذاته وهو الذي
لا يكون وجوده من غيره ولا يكون وجوده الا منه فمن كان كذلك لا يكون الا واحدا
فثبت مما قدمنا ذاته وصفاته ليس بجسم ولا جوهر ولا موضوع ولا عرض لا يشبه
ذاته وصفاته ذوات هذه الاشياء وصفاتها فضلا عن ان يكون واحدا منها
فكيف يشبه الواجب الممكن او الممكن الواجب واعلم ان المصنف رحمه الله لما اثبت ههنا
وجوده تعالى ووحدته باصطلاحات الفلاسفة ينبغي لنا ان نذكر في اثبات ذلك ادلة من
ادلتهم فلنذكر اولا مقدمات فنقول الموجود لا يخلو اما ان لا يكون حقيقته من حيث
هي هي قابلة للعدم او يكون فالاول يسمى بواجب الوجود لذاته وبضروري الوجود
لانه هو الموجود الذي يمتنع عدمه امتناعا ناشئا لا من غيره بل من نفس ذاته وهو الله سبحانه
وتع والثاني بممكن الوجود لذاته فكل موجود اما واجب الوجود لذاته واما ممكن الوجود
لذاته وكل موجود يكون حقيقته من حيث هي هي قابلة للعدم فانه يكون نسبة

حقيقته

حقيقته الى الوجود والعدم على السوية وكل ما كان كذلك لا يترجح وجوده على عدمه
الا المرجح فكل ممكن موجود يفتقر في وجوده الى مؤثر وذلك المؤثر ان كان ممكنا كان
الكلام فيه كما في الاول فاما ان ينتهي الاحتياج الى واجب الوجود او يدور او يتسلسل
الى غير النهاية فالدور والتسلسل باطلان فاذا قد ثبت بهذا البرهان ان في الخارج
موجودا واجبا لذاته يستفيد منه كل ممكن وجوده اما الدور فهو ان يحصل موجودان
ممكنان بان يكون كل واحد منهما علة لوجود الاخر بواسطة او بدونها وذلك فيختلف
واما التسلسل فهو ان يفتقر الممكن الموجود في حصول وجوده الى ممكن موجود اخر و
ذلك الممكن الموجود الى ممكن موجود اخر وهكذا يتسلسل الاحتياج الى غير النهاية
وذلك باطل لانه يلزمه حصول الاشياء الغير المتناهية في الوجود الخارجي وقد
ثبت استحالة ذلك ببرهان التطبيق وغيره من البراهين فمجموع الممكنات اما ان
يكون واجبا لذاته او ممكنا لذاته والاول باطل لان كل مجموع يفتقر في تحققه الى كل
واحد من ذلك المجموع وكل واحد من تلك الاحاد ممكن لذاته والمفتقر الى الممكن لذاته اولى
بان يكون ممكنا لذاته فذلك المجموع ممكن لذاته وكل واحد من احاده ممكن لذاته وكل
ممكن لذاته فله مؤثر مغاير له فذلك المجموع يفتقر في وجوده بحسب مجموعه وبحسب كل واحد من
احاده الى مؤثر مغاير له وكل ما كان مغايرا لمجموع الممكنات ولكل واحد من احاد مجموع الممكنات
لا يكون ممكنا لذاته وكل موجود لا يكون ممكنا لذاته كان واجبا لذاته فقد ثبت بهذا
البرهان ان في الخارج موجودا واجبا لذاته مفيد الوجود لكل ممكن وكما ثبت ان مجموع
الممكنات ممكن لذاته وكل ممكن لذاته فله مؤثر لزم ان يكون لذلك المجموع مؤثر والمؤثر
في ذلك المجموع اما ان يكون هو ذلك المجموع او شيئا من الامور الداخلة فيه او شيئا
من الامور الخارجية عنه لا جائز ان يكون المؤثر في ذلك المجموع هو نفس ذلك المجموع لامتناع كون الشيء
مؤثرا في نفسه ولا جائز ان يكون المؤثر فيه شيئا من الامور الداخلة فيه لان كل ما كان مؤثرا
في وجوب المركب وجب ان يكون مؤثرا في جميع افراد ذلك المركب فذلك الفرد الذي جعلناه

علة لذلك المركب لما كان احد افراد ذلك المركب لزم ان يكون علة لنفسه وذلك باطل لامتناع
كون الشيء علة لنفسه ولما بطل ان يكون علة ذلك المجموع هو نفسه او فردا من افراده الداخلة
فيه وجب ان يكون علته امرا خارجا عنه والخارج عن مجموع الممكنات الذات لا يكون ممكنا
لذاته وكل موجود لا يكون ممكنا لذاته وجب ان يكون واجبا لذاته فقد ثبت بهذا البرهان ما ثبت
بالبرهان السابق ولا يشك احد في وجود الاشياء التي توجد وتفنى ولا في انها ممكنة الوجود
فاذا ثبت وجود الممكن فقد دل بالضرورة على وجود الواجب لاستحالة وجود المعلول بدون
وجود علته فقد علمت بالبراهين المذكوره ان الله تع هو الذي يفيد الوجود لكل ممكن الوجود
روحانيا كان او جسمانيا جوهرا كان او عرضا فاذا هو الذي يدبر اموره ويبلغه غاية كماله
ثم اعلم ان واجب الوجود المتعين اما ان يكون تعينه ذلك لكونه واجب الوجود او لا
يكون كذلك بل يكون لامر غير كونه واجب الوجود فان كان الاول يلزم ان لا يكون واجب وجود
غير ذلك المتعين لانه كلما وجد الواجب وجد ذلك المتعين فلا يكون الا واحدا وهو المقصود
وان كان الثاني يلزم ان يكون واجب الوجود المتعين معلولا لغيره وذلك حينئذ فقد
علمت من هذا ان واجب الوجود واحد وان تعينه ليس زايدا على ذاته بل هو عين ذاته
وان كل موجود سواه ممكن الوجود لذاته وليست ذات واجب الوجود مركبة لان كل ماهية
مركبة من امور فانها مفتقرة الى كل واحد من اجزايها وكل واحد من اجزايها غيرها فكل
ماهية مركبة فهي مفتقرة الى غيرها وكل مفتقر الى غيره فهو ممكن فكل ماهية مركبة فهي
ممكنة ولا شيء من الواجب لذاته بممكن فالواجب لذاته لا يكون مركبا اصلا وقد علمت
ان تعينه عين ذاته فليس بجسم ولا جسماني بل هو قدسي الذات وليس له مثل ولا
ضد ولا له جنس ولا فصل فلا له حد وهو الكامل في ذاته وصفاته الذي لا يعتريه نقص
في ذاته وصفاته وهو الغني عن كل شيء الموصوف بصفات الكمال كلها وهو واجب الوجود
من جميع جهاته يعني انه ليست ذاته محلا للاعراض وليس له صفة منتظرة ولا حالة منتظرة
لان ذاته كافية في حصول ما له من الصفات والحالات لانها لو لم تكن كافية في حصول ذلك ع

لكانت

لكانت محتاجة الى الغير وكل محتاج الى الغير ممكن الوجود فكانت ذات واجب الوجود ممكنة
الوجود هذا خلف فاذا ليست ذاته محلا للاعراض وصفاته وحالاته كلها قديمة دايمة لا
يحدث له صفة ولا حالة فلا يتغير ذاته ولا صفاته ولا يكون ذاته محلا للحوادث واعلم
ان كبار الفلاسفة اليونانيين قد اخذوا الحكمة النظرية والعملية من الكتب المنزلة ومن
بعض انبياء بني اسرايل فالفلاسفة اليونانيون كلهم يقرون بوحدانية الله تعالى
وحقيقة الكتب المنزلة وحقيقة الانبياء عليهم السلام ومع ذلك لم يؤمن احد
منهم ولم يدخل في دين موسى عليه السلام بل كانوا من المشركين الذين اتخذوا الاصنام
الهة فكانوا يقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند
الله وقد كان بعض المتفلسفة من اهل قبلتنا يزعم انه من المؤمنين والمسلمين وهو
من الملحدين والمفسدين وهو الذي يقول بان العالم قديم وينكر صفات الله تعالى ويقول
بان الله تعالى لا يعلم الجزئيات الا على وجه كلي ولا يرى ولا يسمع ولا يتكلم فمن قال بان
العالم قديم فهو كافر بالله تع وبكتبه وانبيايه لان الله تعالى قد بين في كتبه ان كل موجود
سواه حادث احدثه بعد ما لم يكن وكان على ذلك انبياؤه كلهم عليهم السلام
وكذلك كان اصحابهم وامهم كلهم اجمعون قال الله تع الله الذي خلق السموات والارض
وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش قال المفسرون اراد في مقدار
ستة ايام لان اليوم من لدن طلوع الشمس الى غروبها فكيف يكون يوم ولا شمس ولا سماء
وقال مجاهد ان ذلك رتب على الايام الاحد والاثنين والثلثاء والاربعاء والخميس
والجمعة فتم الخلق في يوم الجمعة وفيه خلق ادم عليه السلام روي عن ابي هريرة رضه انه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق ادم
عليه السلام وفيه ادخل الجنة وفيه اخرج منها ولا يقوم الساعة الا في يوم الجمعة وفي الحديث
وخلق ادم عليه السلام وهو بعد العصر من يوم الجمعة في اخر الخلق وقال الله تعالى قل ائنكم
لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين اي الاحد والاثنين وتجعلون له اندادا
اي وتتخذون معه الهة ذلك اي الذي فعل ما ذكر رب العالمين وجعل فيها رواسي

اي جبالا ثوابت من فوقها اي من فوق الارض وبارك فيها يعني بما خلق من الحيوانات
في البر والبحر والنباتات والثمار والحبوب والبزور وجعل امره في كل واحد من المذكورات
ما اراد من توليد مثله وغيره ذلك من القوى والافعال فانما جعل ذلك بقوله كن كذا وكذا
وافعل كذا وكذا لان الشيء قال انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون وقدر
فيها اقواتها قال الحسن رضه ومقاتل رحم وقسم في الارض ارزاق العباد والبهائم
في اربعة ايام في تتمة اربعة ايام يعني الثلثاء والاربعاء وهما مع الاحد والاثنين
اربعة سواء نصب على المصدر على معنى استوت سواء واستواء كما تقول في اربعة ايام
تماما يعني في اربعة ايام بلياليها لان الاحد والاثنين والثلثاء والاربعاء
لا تكون بلا ليال ومن خفض فعلى النعت لايام ومن رفع فعلى معنى هو سواء
للسائلين قال السدي وقتادة رضي الله عنهما سواء بلا زيادة ولا نقصان
جوابا لمن سأل في كم خلقت الارض والاقوات فيقال في اربعة ايام تماما
ثم استوى الى السماء اي عمد وقصد الى خلقها وهي دخان قال السدي رحم
وكان ذلك الدخان من نفس الماء حين تنفس فخلقها سماء واحدة ثم فتقها
فجعلها سبعا في يومين الخميس والجمعة ويروى انه كان عرشه قبل خلق السموات
والارض على الماء فاخرج من الماء دخانا فارتفع فوق الماء وعلى عليه فايبس
وسط الماء فجعلها ارضا واحدة ثم فتقها فجعلها ارضين ثم خلق السماء من
الدخان المرتفع فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها اي افعلا ما امرتكما طوعا
اي طبعا والا الجأتكما الى ذلك حتى تفعلاه كرها اي على خلاف طبعكما فانما
قال ذلك اظهارا للقدرة على تخليقه وذلك ان الله تعالى جعل في كل واحدة من
السموات والارض ما اراد من القوى والافعال بقوله ائتيا ومن تلك الافعال
حركات الافلاك ولوازمها وانبات الارض النباتات فاجابتا واطاعتا وفعلتا

ما امرها

ما امرها طوعا وذلك قوله قالتا اتينا طائعين فقضاهن سبع سموات في يومين
اي صنعهن واحكمهن وفرغ من خلقهن في يومين واوحى في كل سماء
امرها فلما جعل الله تعالى في كل واحدة من السموات والارض ما اراد من الافعال
جعل بالوحي في كل واحد من الملائكة الموكلين بالسموات ما اراد من الافعال
فلذلك قال واوحى في كل سماء امرها وقال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما خلق
في كل سماء من الملائكة والبرد والثلج وما لا يعلمه الا الله نحن اكن واسفه
ممن حرف كلامه هذه الايات عن مواضعها التي ارادها الله تعالى ورسوله صلى الله
عليه وسلم وان اردت ادلة عقلية في اثبات حدوث العالم فاعلم انه قد اتفقت
الفلاسفة كلهم على ان ممكن الوجود هو الذي يستفيد الوجود من واجب الوجود
وان واجب الوجود هو الذي يفيد الوجود لممكن الوجود ولا يتصور استفادة
الوجود للممكن ولا افادته للواجب الا بكون وجوده في القوة ثم يصير الى الفعل
بافادته وكل شيء كان في القوة ثم يصير الى الفعل فهو حادث فكل ممكن الوجود فهو حادث
والعقل ببداهته حاكم بان كون وجود الممكن وخصوصا الوجود الجسماني ليس بآني
الحصول بل هو زماني الحصول وكل ما كان حصول وجوده زمانيا كان لحصول وجوده
ابتداء وانتهاء زمانيين فكان حصول وجوده محدودا بالزمان فكل محدود بالزمان مسبوق
بالزمان وكل مسبوق بالزمان فهو حادث فكل ممكن الوجود فهو حادث وقد اتفقت
الفلاسفة على ان كون الجسم وحصوله وفساده انما يكون بالحركة وتلك الحركة زمانية
محدودة بالزمان وكل محدود بالزمان مسبوق بالزمان فحصول الجسم مسبوق بالزمان
وكل مسبوق بالزمان فهو حادث فكل جسم حادث فان قلت كون الجسم وحصوله بالحركة
انما يكون في كون الاجسام المركبة وحصولها لا في كون الاجسام البسيطة وحصولها
قلت كون الجسم البسيط وحصوله لا يخلو اما ان يكون بالحركة او بالسكون فان كان بالحركة

فقد ثبت المصنف وكذلك ان كان بالسكون لان الفلاسفة قد اتفقت على ان السكون
زماني محدود بالزمان كما ان الحركة زمانية محدودة بالزمان لان السكون والحركة ابتداء
وانتهاء زمانيا وواجب الوجود في افادة الوجود لممكن الوجود القديم اما ان يكون تاثيره
فيه في حال وجوده وفي ذلك ايجاد الموجود وهو فقط او في حال عدمه او حدوثه وعلى
التقديرين يكون حادثا وقد فرضناه قديما هذا خلف فاذا ان كل ممكن الوجود فهو حادث
فقد علمت بالبراهين المذكورة ان كل ممكن الوجود فهو حادث فقد علمت بالبراهين المذكورة
ان كل ممكن الوجود فهو حادث وعلمت ايضا فيما تقدم ان كل موجود سوى الله تعالى فهو ممكن الوجود
فاذا ان كل موجود سوى الله تعالى روحانيا كان او جسمانيا فلكيا كان او فلكيا عنصريا كان او عنصريا
فهو حادث فاعلم ان البراهين المذكورة مسلمة عند الكل من الفلاسفة والمتفلسفة ومسلم
عند الكل ايضا بانه لا يمكن ان يكون لوجود الشيء برهان ولا متناع وجوده برهان ولا لحدوث
العالم برهان ولقدم برهان وكل قول يخالف البرهان فهو باطل عندهم ومع ذلك قد ناقض
بعضهم في ذلك كلهم انفسهم فاستدلوا بكلمات باطلة شبيهة باقوال المبرسمين على قدم العالم
فاقوى ادلتهم الباطلة هو القول بان واجب الوجود موجب بالذات لا فاعل مختار وذات واجب
الوجود علة تامة لوجود العقل والعقل علة موجبة للفلك والمعلول لا يتخلف عن علته
التامة فالموجب بالذات قديم ومعلوله قديم فاعلم ان قولهم بان واجب الوجود موجب بالذات
لا فاعل مختار باطل لانه قد ثبت بالبراهين المذكورة حدوث العالم فقد دل ذلك بالضرورة
على كون واجب الوجود فاعلا مختارا لا موجبا بالذات لانه لو كان موجبا بالذات لكان
العالم قديما لا حادثا وقد اتفقت الفلاسفة على ان واجب الوجود هو الكامل في ذاته وصفاته
الموصوف بصفات الكمال كلها وان ما سواه ممكن ناقص محتاج اليه في وجوده وكماله وان كون
الشيء فاعلا مختارا من صفات الكمال ومع ذلك قد ناقضت الفلاسفة الذين قالوا بقدم العالم
انفسهم في ذلك فاسندوا ذلك الكمال الى الممكن الناقص المصنوع وانكروا ذكره الكمال في
حق واجب الوجود الكامل الصانع الذي صنعه ذكره الكمال في ممكن الوجود فجعلوه ذا ارادة و
اختيار وجعلوا ممكن الوجود الناقص المصنوع الكامل من واجب الوجود الكامل الصانع فهل

ادنى نصيب من التعقل هل يقول مثل هذا ومن يعقل مسئلة من مسائل الحكمة هل
يقول بان واجب الوجود كان مضطرا في فعله كالنار في احراقها وكقوى النباتات في افعالها
وكان واجب الوجود في فعله دون الحيوانات في افعالها وهو الذي جعل نفوس الحيوانات
في قلوبها وجعل نفوسها ذوات ارادات واختيارات وان قولهم بان العقل علة موجبة
للفلك باطل ايضا فمن يعقل العلة التامة ويعلم القوانين الفلسفية هل يقول بان
ذات واجب الوجود القدسية او ذات العقل القدسية المجردة عن المادة تكون علة موجبة
بذاتها لمادة الفلك وصورته وهل يقول بان ذات الواجب او ذات العقل المجردة عن المادة
تكون علة موجبة بذاتها للجسم والاجسام المختلفة المقادير واشكالها واوضاعها وقوتها
وكيفياتها وخواصها وانفعالها فالذي جمع العناصر الاربعة المتضادة الكيفيات المختلفة
الاحياز في موضع واحد قسرا ومزجها قسرا وخلق من مزجها لكل نوع من الحيوانات
والنباتات وخصص بكل واحد من انواع المذكورات مزاجا مرجحا له ومزج العناصر الاربعة
وجعل من مزجها غذاء موافقا لمزاج كل نوع من النباتات ويتغذى به والذي خلق الحنطة
من مزج العناصر ثم جعلها دما وجعل الدم منيا والمني علقة والعلقة مضغة و
هي كقطعة لحم متشابه الاجزاء والكيفية ومع ذلك قد جعلها اجساما مختلفة القوى
والكيفيات فجعل بعض اجزائها قلبا وبعض اجزائها دماغا وبعضها كبدا وبعضها معدة
وبعضها طحالا وبعضها عظاما وبعضها اعصابا وبعضها عروقا وبعضها غير هذه المذكورة
من اعضاء الانسان وخصص بكل واحد منها مزاجا ورجحه له والذي علم الانسان ما اراد من القوى
والخواص والكيفيات الموجودة في الاجسام بالتجربة والعقل والالهام والوحي وعلمه كنه المنزلة وجعله
بمعرفة هذه المذكورات حكيما فعالا ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا لا يتصور ان يكون الا فاعلا مختارا
قادرا حكيما مدبرا بالقدرة والاختيار وقد اتفقت الفلاسفة على ان الاشياء الغير المتناهية لا تدخل في الوجود
الخارجي لان كل ما يدخل في الوجود الخارجي لا بد ان يكون متناهيا وقد ثبت هذا ببرهان التطبيق

وغيره من البراهين ولا يشك احد في ان الاشياء الغير المتناهية الموجودة في الخارج
جملة افراد غير متناهية الموجودة في الخارج جملة افرادها غير متناهية فلو اخذنا من
تلك الجملة متناهية فاما ان يكون عدد افراد الجملة الباقية اقل من عدد افراد الجملة الاولى
الباقية اقل من عدد افراد الجملة الاولى او لا يكون فان كان اقل فالاقل متناه والزائد
على الاقل بقدر متناه يكون متناهيا فالكل متناه وان لم يكن اقل يلزم ان يكون
عدد افراده بعض الجملة كعدد افراد كلها وان يكون مقدار العدد مع غيره من الاعداد
كهو لا مع غيره وذلك محال حينئذ فقد ثبت بهذا البرهان استحالة حصول الاشياء الغير
المتناهية في الوجود الخارجي وهذا البرهان وما ثبت به مسلم عند الكل من الفلاسفة
ومع ذلك قد ناقضت الفلاسفة الذين قالوا بقدم العالم انفسهم فقالوا بان النفوس
الناطقة الموجودة وان الحيوانات والنباتات الداخلة في الوجود الخارجي وان عددها
من الحوادث الفلكية الداخلة في الوجود الخارجي غير متناه ولا نشك ان عدد الادوار
الماضية للكواكب السبعة السيارة في زمان محمد صلى الله عليه وسلم اكثر من عدد الادوار
الماضية للكواكب المذكورة في زمان ابرهيم عليه السلام فلو لم يكن عدد الادوار الماضية للكواكب
المذكورة في زمان ابرهيم عليه السلام اقل من عدد الادوار الماضية في زمان محمد صلى الله عليه وسلم
يلزم ان يكون العدد الناقص كالزائد وان يكون الشيء مع غيره كهو لا مع غيره وذلك حينئذ
فالاقل متناه والزائد على الاقل بقدر متناه يكون متناهيا فالكل متناه فقد ثبت بهذا
البرهان ان عدد الادوار الماضية للكواكب المذكورة متناه وان لحركاتها وحركات غيرها
من الافلاك بداية واذا فرضنا الحوادث الماضية من اليوم الى الازل جملة ومن زمان الطوفان الى الازل
جملة اخرى فلا نشك ان الجملة الاولى ازيد من الثانية بما بين زمان الطوفان الى هذا اليوم
فاذا طبقنا في الوهم الطرف المتناهي من الجملة الزائدة على الطرف المتناهي من الجملة الناقصة
حتى يقابل كل فرد من افراد احدى الجملتين بما يساويه في المرتبة من الجملة الاخرى فان لم يقصر

الجملة الناقصة

الجملة الناقصة عن الزائدة في الطرف الاخر كان الشيء مع غيره كهو لا مع غيره
وهذا حينئذ وان انقطعت الجملة الناقصة من ذلك الطرف كانت متناهية من
جانب الازل والزائد زائد عليها بمقدار متناه والزائد على المتناهي بمقدار متناه
والزائد على المتناهي بمقدار متناه يكون متناهيا فالكل متناه في جانب الازل
فقد ثبت بهذا البرهان ان لحركات الافلاك وغيرها من حوادثها بداية وقد كان افلاطون
من رؤساء الفلاسفة اليونانيين بل هو اكبرهم في الحكمة الطبيعية وما بعد الطبيعة
وقد ذهب هو وتوابعه وغيرهم من كبار الفلاسفة الى ان العالم حادث فقد قال افلاطون
ان العالم حادث احدثه الله تعالى بعد ان لم يكن بارادته واختياره وخلقه على احسن
الوجوه واكملها لانه خير محض فلذلك كان جميع كل شيء بخلقه وبتدبير امره بذاته
وقال ان اول ما خلقه الله تعالى من الاجسام هو العناصر الاربعة ثم خلق منها السموات
وما بين السماء والارض وما كان داخل الماء والارض فان قلت فكيف ذهب
توابعه الى ان العالم حادث وارسطوطاليس ذهب الى خلاف ذلك وهو احد توابعه
فاعلم ان ارسطوطاليس ليس من توابعه بل هو من تلامذته وهو الذي قد تعلم منه الحكمة
عشرين سنة ثم خالفه فافسد نصف حكمته بل اكثر مسائلها فقد بينت ما
افسده من تلك المسائل في الالهيات فمن اراد معرفة ذلك فليطلبها منها والمشروع
المذكورة وممن كان لم يشركها في كونه وبدعته من المتفلسفة الملاحدة استدلوا بقدم الزمان
على قدم حركة الفلك وذلك بانهم جعلوا الزمان مقدار حركة الفلك واسندوا ذلك الى ارسطو
طاليس وهذا افتراء عليه واستدلالهم بقدم الزمان على قدم حركة الفلك باطل لان الزمان
ليس مقدار حركة الفلك ولم يذهب احد من الفلاسفة اليونانيين الى ان الزمان مقدار حركة
الفلك بل قد اتفق كلهم على ان الزمان ليس امرا موجودا في الخارج بل هو موجود في
علم الله تعالى وفي العقل والخيال فيدل على صحة ما قالوا قوله تعالى ان الله الذي خلق السموات
والارض وما بينهما في ستة ايام وقوله تعالى ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا

في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها اربعة حرم وقوله رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والارض السنة اثنى عشر شهرا منها اربعة حرم
ثلثة متواليات ذي القعدة وذو الحجة ومحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان فكيف
يتصور ان يكون الزمان مقدار الحركة فاذا فرض عشر حركات متفقة في الاخذ والترك مختلفة
في السرعة والبطوء فلا يشك احد في ان ما يوافق كل واحدة من الحركات المذكورة ويكون
مشتركا بينها ويمتد ويزداد بازديادها وينقص بانتقاصها ليس غير الزمان ولا يمكن
ان يكون واحدة من هذه الحركات موافقة لكل واحدة منها مشتركة بينها ولا يمكن ايضا
ان توجد حركة توافق كل واحدة منها لانها اذا كانت موافقة لواحدة منها كانت مخالفة لغيرها
فلم تكن مشتركة بينها فاذا من المحال ان يكون الزمان مقدار الحركة فقد بينت حقيقة الزمان
وادلته وذكرت ما ذهب اليه ارسطاطاليس في تبيين ماهيته في الحكمة الالهية فمن اراد
معرفة ذلك فليطلبها منها ومن ينكر صفات الله تع فهو جاحد بالله تع وصفاته كافر به
وباياته لانها قد بينت بادلة قاطعة من كتاب الله تع وقد بينها رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقد جعلت شريعته عليه الصلوة والسلم تصديقها اهل الايمان فقالة واما الايمان
والكلام فان تفسيره التصديق والاقرار بالله تع كما هو بصفاته واسمائه وقبول
احكامه وشرايعه فالمتفلسفة الملاحدة المذكورة يقولون بان واجب الوجود هو الكامل في
ذاته وصفاته الموصوف بصفات الكمال كلها وما سواه ناقص محتاج في وجوده وبقائه وكماله
اليه ويقولون بان الحياة والقدرة والارادة والسمع والبصر والعلم والكلام من صفات
الكمال ومع ذلك ينكرونها في حق الله تع ويثبتونها على المخلوقين وذلك لانهم يزعمون
ان السمع والابصار والكلام والعلم بالجزئيات لا يكون الا بالات جسمانية وان الله تع
لو كان يسمع ويرى ويتكلم ويعلم الجزئيات كما هي لزم ان يكون محلا للحوادث فيشاركون
بصفات الممكنات على صفات واجب الوجود فلا يعلمون ان صفاته تع بخلاف صفات الممكنات
فلذلك ليست صفاته غير ذاته فقد بينتها وبينت استحالة قيام الحوادث بذات الله تع

فلا حاجة

فلا حاجة الى اعادة البيان فلا يغرنكم اسناد المبتدعة المذكورة بعض الصفات
الى الله تع فانما يسندونها على خلاف المعاني التي ارادها الله تع ورسوله صلى الله
عليه وسلم نحو نحمد كفرا وضلالة ممن يدعو الناس الى الكفر والبدعة ويجادل
المسلمين بالباطل ليبطل الدين والحق ويحق الكفر والباطل فمن يضلل الله
فلا هادي له فانما علينا البلاغ المبين والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

وله يد ووجه ونفس فما ذكره الله تعالى في القرآن من ذكر الوجه

واليد والنفس فهو له صفات بلا كيف ولا يقال يده قدرته او نعمته لان

فيه ابطال الصفة وهو قول اهل القدر والاعتزال ولكن يده صفته بلا كيف

وغضبه ورضاه صفتان من صفات بلا كيف قال الله سبحانه وتع كل من
عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام وقال الله تع قال يا ابليس
ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي وقال الله سبحانه وتع انك تعلم ما في
نفسي ولا اعلم ما في نفسك واعينه وقبضته واصابعه وقدمه صفاته
بلا كيف قال الله تع واصبر لحكم ربك فانك باعيننا وقال رسول الله عليه و
سلم ان الله خلق ادم من قبضة قبضها من جميع الارض الحديث وقال رسول
صلى الله عليه وسلم ان قلوب بني ادم كلها بين اصبعين من اصابع الرحمن
كقلب واحد يصرفه كيف يشاء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزال جهنم
تقول هل من مزيد حتى يضع فيها رب العزة قدمه فتقول قط قط وعزتك

ويزوي بعضها الى بعض وقوله لان فيه ابطال الصفة يعني ان من قال
بان يده تع قدرته او نعمته فقد ابطل كون يده تع صفة على حدة وقد علمت
ان كل صفة من صفات الله تع انما تمتاز عن غيرها بحسب مغايرة مفهومها وانت
تعلم ان مفهوم يده تع غير مفهوم قدرته ونعمته فلذلك لم يذهب احد من
اهل السنة والجماعة على ذلك التاويل كذا ذكره المصنف بقوله وهو قول اهل القدر
والاعتزال وقوله وغضبه ورضاه صفتان من صفاته بلا كيف يعني وصف غضبه
تع ووصف رضاه ليس كوصف غضب المخلوق ووصف رضاه فلذلك كان غضبه
تع ورضاه من المتشابهات وصفا كسائر صفاته قال فخر الاسلام علي البزدوي رحمه الله عليه
في اصول الفقه والرضاء عبارة عن امتلاء الاختيار حتى يفضي الى الظاهر ولهذا كان
الرضاء والغضب من المتشابه في صفات الله تع وقال رحمه الله عليه وكذلك اثبات اليد
والوجه حق عندنا معلوم باصله متشابه بوصفه ولن يجوز ابطال الاصل بالعجز
عن درك الوصف وانما ضلت المعتزلة من هذا الوجه فانهم ردوا الاصول لجهلهم
بالصفات فصاروا معطلة وقال شمس الائمة محمد السرخسي رحمه الله في اصول الفقه
وكذلك الوجه واليد على ما نص الله تعالى في القران معلوم وكيفيته ذلك من المتشابه
فلا يبطل به الاصل المعلوم والمعتزلة خذلهم الله لاشتباه الكيفية عليهم انكروا
الاصل فكانوا معطلة بانكارهم صفات الله تع واهل السنة والجماعة اثبتوا ما هو
الاصل المعلوم بالنص وتوقفوا فيما هو المتشابه وهو الكيفية فلم يجوزوا الاشتغال
بطلب ذلك كما وصف الله به الراسخين في العلم فقال يقولون امنا به
كل من عند ربنا وما يذكر الا اولوا الالباب خلق الله تع الاشياء لا من شيء

يعني خلق الله

يعني خلق الله تع الموجودات كلها وفعلها بعد ان لم تكن في خلق خواصها وافعالها
كلها من الحركة والسكون وغير ذلك وما لها من شيء في الدنيا والاخرة ولا يكون الا وهو
خالقه وفاعله تعالى الله عن ان يكون له شريك في الخلق والفعل ولو في ايجاد ذرة او ايجاد
فعلها قال الله سبحانه عز وجل الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل وقال الله تعالى
قد خلقتك من قبل ولم تك شيئا واعلم ان الله تع هو الذي خلق السموات والارض
وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش وهو الذي يدبر الامر من السماء الى الارض
وهو العزيز الرحيم الذي احسن كل شيء خلقه وخلق العوالم كلها على احسن الوجوه
واكملها واتمها فان قلت ان الله رحيم بل هو ارحم الراحمين فلم يبتلي انبياؤه و
اولياؤه باشد البلايا في الدنيا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اشد الناس
بلاء في الدنيا الانبياء ثم الاولياء ثم الصالحون ثم الامثل فالامثل وان الله تع
قادر على ان يجعل الناس كلهم امة وسطا ولم لم يجعل بل هو قادر على ان لا
يخلق الشر اصلا وهو لا يخلقه والعالم مشحون بالشرور والمضار فاعلم ان الصبي
الصغير اذا احتاج واضطر الى الحجامة لدفع مرضه وتحصيل صحته قد تتوق له امه
فتمنع عنها والاب العاقل يحمله عليها زجرا وقهرا فالجاهل يظن ان الرحيم هو الام دون
والعاقل يعلم ان ايلام الاب اياه بالحجامة من كمال رحمته له وتمام شفقته عليه
وان الام عدو له في صورة صديق فان الالم القليل اذا كان سببا لللذات الكثيرة
لم يكن شرا بل هو خير فالله سبحانه وتعالى لا يبتلي المؤمنين الذين يريد بهم الخير ابتلاء
الا ليغفر به ذنوبهم او ليبلغهم به درجات يوم القيمة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يزال البلاء بالمؤمن او المؤمنة في نفسه وماله وولده حتى يلقى الله وما عليه
من خطيئة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا سبقت له من الله منزلة

لم يبلغها بعمله ابتلاه الله في جسده او في ماله او في ولده ثم صبّره على ذلك حتى
يبلغه المنزلة التي سبقت له من الله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يودّ اهل العافية
يوم القيمة حين يعطى اهل البلاء الثواب لو ان جلودهم كانت قرضت في الدنيا
بالمقاريض فليس في الحجر شرّ الا وفي ضمنه خير كثير فلو لم يخلق ذلك الشرّ لم يوجد ذلك
الخير فكان الشرّ في عدم وجوده اعظم مما كان في وجوده الا ترى ان اليد التي فيها
الآكلة اذا احتاجت الى القطع فقطعها شرّ وفي ضمنه خير كثير فلو ترك قطعها لهلك
المرء فكان الشرّ في ترك قطعها اعظم مما كان في قطعها فان المراد الاول السابق
الى نظر القاطع هو السلامة التي هي خير محض ثم لما كان السبيل اليها قطع اليد قصده
لاجلها وكان السلامة مطلوبة لذاتها اولا والقطع مطلوبا بالغير ثانيا لا لذاته فالله
تع اراد الخير لنفسه واراد الشرّ لا لذاته ولكن لما في ضمنه من الخير فالخير مقضي
بالذات والشرّ مقضي بالعرض فما الشرّ الكائن في العالم عند الخير الذي يتضمنه الا كنفثة
في بحر ولا يمكن ان يوجد ذلك الخير الا بوجود ذلك الشرّ فلذلك خلقه الله تع وانت
لا تدرك شيئا من خير العالم ولا من شرّه بل تتوهم خيره بانه شرّه وشرّه بانه خيره
لان من اسودّ قلبه بكثرة المعاصي وكان منكوس القلب حيث كان طاعة الشيطان
احبّ اليه من طاعة الله وطاعة رسوله كيف يدرك سرّ خلق الله الاشياء
وحكمته قال الله تع ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات
لاولي الالباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في
خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار
وكان الله عالما بما في الازل بالاشياء قبل كونها وهو الذي قدّر الاشياء
الواو في قوله وهو حالية فكانه قال وهو الذي قدّر الاشياء وقضاها فكيف لا

يكون عالما بها في الاول الازل وقوله قدّر الاشياء يعني كتب الاشياء التي كانت
وتكون في الدنيا والآخرة في اللوح المحفوظ بحيث ليس شيء مما كان ويكون في عالم
الشهادة او في عالم الارواح والملائكة خارجا من كتبه تع بل ليس مقدار ذرّة او اقل
من ذلك من مقادير الاجسام او عددها خارجا عنه قال الله تع لا يعزب عن ربك من
مثقال ذرّة في الارض ولا في السماء ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اول ما خلق الله تع القلم فقال له اكتب فقال القلم ماذا اكتب
يا رب فقال الله تعالى اكتب ما هو كائن الى يوم القيامة وروي عن ابي خزامة عن
ابيه انه قال قلت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ارأيت رقى نسترقيها و
دواء نتداوى به وتقاة نتقيها هل ترد من قدر الله شيئا قال هي من قدر الله
ايضا وقال المص رحمه الله في كتاب الوصية وتقدير الخير والشرّ كله من الله تع لانه
لو زعم احد ان تقدير الخير والشرّ من غيره لصار كافرا بالله وبطل توحيده
ان كان له التوحيد وقضاها يعني واوجدها بقضائه اي بحكمه وهو قوله كن
قال الله تع انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون فليس المراد بقوله كن
لفظ كن بل معناه الذي هو صفته الازلية وذلك القول هو الذي خلق الله به السموات
والارض وما بينهما وغير ذلك مما كان وكذا جرت سنّته تع في خلق الاشياء
بذلك القول وعلى هذا كانت دلالة الكتب المنزلة في كون سنّته في خلق الاشياء
بذلك القول وقد ردّ فخر الاسلام علي البزدوي رحمه الله قول من قال بان ذلك
القول مجاز عن سرعة الايجاد فقال في اصول الفقه اما الكتاب ففي قوله تع انما قولنا
لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون وهذا عندنا على انه اريد به ذكر الامر

بهذه الكلمة والتكلم بها على الحقيقة لا مجازا عن سرعة الايجاد بل كلاما
بحقيقة من غير تشبيه ولا تعطيل وفي اجري سنته في الايجاد بعد ذلك الامر
وقد رد شمس الائمة محمد السرخسي رحمه الله قول من قال بان ذلك القول
مجاز عن التكوين فقال في اصول الفقه اما الكتاب فقوله تع ومن اياته ان تقوم
السماء والارض بامره فاضاف الوجود والقيام الى الامر ظاهره تدل على
ان الايجاد يتصل بالامر وكذلك قوله تع انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له
كن فيكون فالمراد حقيقة هذه الكلمة عندنا لا ان يكون مجازا عن التكوين
كما زعم بعضهم فانا نستدل به على ان كلام الله تع غير محدث ولا مخلوق
لانه سابق على المحدثات اجمع وحرف الفاء للتعقيب ولا يكون في الدنيا
ولا في الاخرة شيء الا بمشيته وعلمه وقضائه وقدره وكتبه في اللوح
المحفوظ يعني بمشيته ارادته وبقضائه حكمه وبقدره تقديره وقوله وكتبه في اللوح
المحفوظ عطف تفسيري لقدره لكن كتبه بالوصوف لا بالحكم قوله لكن كتبه بالوصف
يعني كتب الله تع بالقلم في اللوح المحفوظ ذات كل شيء وصفاته ووصفه بما اراد
ان يوجده بلا زيادة ولا نقصان قوله لا بالحكم ان ما كتبه فيه لم يكتبه بالحكم
يعني بقوله كن كما يوجد كل شيء بقوله كن قال المص في كتاب الوصية نقر بان
الله تعالى امر القلم بان اكتب فقال القلم ماذا اكتب يا رب فقال الله تع اكتب ما هو
كائن الى يوم القيمة لقوله تع وكل شيء فعلوه في الزبر وكل صغير وكبير مستطر
والقضاء والقدر والمشية صفاته تع في الازل بلا كيف وكون هذه صفاته تع ثابت بالكتاب

والسنة

والسنة الا انها متشابهة وصفا كسائر صفاته تع يعني ان اوصافها مجهولة
لا طريق للعقل ان يدركها بالاجتهاد فيجب لكل مؤمن ان يؤمن بها وان يعتقد
ان موجب العقل في وصفها باطل لانه يخالف النص فلذلك قال المص رحمه صفاته بلا
كيف يعني انه يقول انها صفاته بلا كيف يعني بلا بيان في وصفها وكذلك يقول كل راسخ
في العلم في حق وصفها قال شمس الائمة محمد السرخسي رحمه في اصول الفقه المتشابه
ما اشتبه لفظه ما يجوز ان يوقف على المراد فيه وهو بخلاف ذلك لانقطاع احتمال
معرفة المراد فيه وانه ليس له موجب سوى اعتقاد الحقيقة فيه والتسليم كما قال الله
تع وما يعلم تاويله الا الله فالوقف عندنا في هذا الموضع واجب ثم قوله والراسخون
في العلم ابتداء بحرف الواو لحسن نظم الكلام وبيان ان الراسخ في العلم من
يؤمن بالمتشابه ولا يشتغل بطلب المراد فيه بل يقف فيه مسلما كما هو وصفهم فقوله يقولون
امنا به كل من عند ربنا وهذا لان المؤمن فريقان مبتلى بالامعان في الطلب لضرب
من الجهل فيه ومبتلى بالوقوف عن الطلب لكونه مكرما بنوع من العلم ومعنى الابتلاء
في الوجه الاول فان في الابتلاء بمجرد الاعتقاد مع التوقف في الطلب بيان ان
مجرد العقل لا يوجب شيئا ولا يرفع شيئا فانه يلزمه اعتقاد الحقية فيما لا مجال
للعقل فيه ليعرف ان الحكم لله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد يعلم الله تع المعدوم
في حال عدمه معدوما ويعلم انه كيف يكون اذا اوجده ويعلم الله تع
الموجود في حال وجوده موجودا ويعلم انه كيف يكون فناؤه ويعلم الله تع
القائم في حال قيامه قائما واذا قعد فقد علم قاعدا في حال قعوده من غير ان
يتغير علمه او يحدث له علم ولكن التغير والاختلاف يحدث عند المخلوقين

يعني ان علمه تع بالاشياء قديم فاذا علم شيئا فانما يعلمه بعلمه القديم واذا
اوجد شيئا او افناه فانما يوجده او يفنيه على وفق علمه القديم وقد علمت ان
الله تع انما يعلم الاشياء بذاته لا بصور متباينة متعددة في ذاته وعلمت
ايضا ان علمه بالاشياء قديم فاذا لا يتغير علمه ولا يختلف ولا يحدث له علم
بتغير الموجود والمعلوم واختلافه وحدوثه فان تغير العلم واختلافه وحدوثه
انما يكون اذا كان حصوله بصور متباينة متقررة في الاذهان لان تلك الصور
لا تحصل فيها الا بالقبول والانفعال والتغير والانتقال خلق الله الخلق سليما
من الكفر والايمان يعني خلق الله الانسان يعني انه تعالى خلق الانسان سليما
من الكفر والايمان اللذين يكتسبهما في الدنيا ثم خاطبهم وامرهم بالايمان
والطاعة ونهاهم عن الكفر والعصيان فكفر من كفر بفعله وانكاره وجحوده بخذلان
الله تع اياه واعلم ان الكافر في كفره لا يخلو اما ان يكفر بقلبه ولسانه ولا يعرف
ما يذكر له من التوحيد فيسمى كفره كفر الانكار واما ان يعرف بقلبه ولا يقر
بلسانه فيسمى كفره كفر الجحود ككفر ابليس وكفر امية بن ابي الصلت واما
ان يعرف بقلبه ويقر بلسانه ولكن لا يقبل الاسلام ولا يتدين به فيسمى كفره
كفر المعاندة ككفر ابي طالب حيث يقول ولقد علمت بان دين محمد من خير اديان
البرية دينا لولا الملامة او حذار مسبة لوجدتني سمحا بذاك مبينا واما ان
يقر بلسانه ويقبل الاسلام ويتدين به ظاهرا لا باطنا وان لا يعرف بقلبه او ان يعرف
فيسمى كفره كفر النفاق فاعلم ان الله تع يخلق الكفر في قلب العبد بخذلانه اياه بعد اختياره
الذي اكتسبه بواسطة بدنه وخذلانه ان لا يوفقه على ما يرضاه عنه وهو عدل منه وامن من امن بفعله
واقراره وتصديقه بتوفيق الله تع ونصرته له وانه تع يخلق الايمان في قلب العبد بتوفيقه اياه ونصرته له

بور

بعد استعداده الذي اخرج ذرية ادم عم من صلبه فجعلهم عقلاء فخاطبهم وامرهم
بالايمان ونهاهم عن الكفر فاقروا له بالربوبية فكان ذلك منهم ايمانا فهم يولدون
على تلك الفطرة يعني ان ذرية آدم عم التي اخرجها الله تع من صلبه في عالم الارواح
فخاطبهم وامرهم بالايمان ونهاهم عن الكفر بقوله الست بربكم فاقروا له بالربوبية بقولهم
بلى فكان ذلك منهم ايمانا فهم يولدون على ذلك الايمان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه حتى يعرب عنه لسانه
اما شاكرا واما كفورا وقال رسول الله عليه الصلوة والسلام ما من مولود الا يولد على
الفطرة فابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون
فيها من جدعاء حتى تكونوا انتم تجدعونها ثم قال فطرة الله التي فطر الناس عليها فقد ظهر
من هذه المسئلة ومن دليلها ان القول بان اطفال المشركين في النار مردود فكيف لا يكون
مردودا وقد جعل الشرع البالغ الجاهل بالله تع ممن لم تبلغه الدعوة معذورا يعني ان
من بلغ ولم تبلغه الدعوة ولم يعرف الله تع ولم يعتقد الكفر كان معذورا فكان من اهل
الجنة قال فخر الاسلام علي البزدوي رحمه في اصول الفقه وكذلك نقول في الذي لم تبلغه
الدعوة انه غير مكلف بمجرد العقل وانه اذا لم يصف الايمان ولا كفرا ولم يعتقد على شيء
كان معذورا واذا وصف الكفر وعقده او عقده ولم يصفه لم يكن معذورا وكان من
اهل النار مخلدا ومن كفر بعد ذلك بدل وغير اي بدل وغير ايمانه الفطري
بالكفر الذي اكتسبه بواسطة بدنه ومن امن وصدق ثبت عليه ودام اي ثبت على
ايمانه الفطري ودام عليه ولم يجبر احدا من خلقه على الكفر ولا على الايمان يعني
ان الله تع لا يخلق الكفر ولا الايمان في قلب العبد بطريق الجبر بل يخلقهما باختياره
وحده لان المجبور المكره على عمل هو الذي اذا عمل ذلك العمل يكره عمله وكان المختار

عنه ان لا يعمله كالمؤمن اذا اجبر واكره على اجراء كلمة الكفر فاجراها وقلبه مطمئن
بالايمان فليس الكافر في كفره ولا المؤمن في ايمانه كذلك الا ترى ان الايمان كان
محبوبا للمؤمن والكفر محبوبا بالكافر ولا خلقهم مؤمنا ولا كافرا ولكن خلقهم
اشخاصا والايمان والكفر فعل العباد يعني ان الكفر والايمان والطاعة والعصيان
من افعال العباد يعلم الله تع من يكفر في حال كفره كافرا فاذا امن بعد ذلك علمه
مؤمنا في حال ايمانه واحبه من غير ان يتغير علمه وصفته قد مضى تفسير هذه الكلمات
وجميع افعال العباد من الحركة والسكون كسبهم على الحقيقة والله تع خالقها
وهي كلها بمشيته وعلمه وقضائه وقدره ويعني بقوله وجميع افعال العباد افعالهم
التي فعلوها بقصدهم واختيارهم فلذلك كانت كسبهم الا ترى ان الله تع قال
لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم وقال الله تع لها ما
كسبت وعليها ما اكتسبت فالله تع خالق جميع افعال العباد من الخير والشر والطاعة
والعصيان بل لا يوجد شيء من حركات خواطرهم وسكناتها ولا من حركات ابدانهم و
سكناتها الا بمشيته وتخليقه قال الله تع والله خلقكم وما تعملون وقال الله تع والله
خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل واعلم ان ارادة العبد التي تقارن فعله وان
قدرته عليه مخلوقتان مع الفعل لا قبل الفعل ولا بعده قال الله تع وما تشاؤن الا
ان يشاء الله ان الله كان عليما حكيما وقال المصنف رحمه في كتاب الوصية نقر بان العبد
مع اعماله واقراره ومعرفته مخلوق فلما كان الفاعل مخلوقا فافعاله اولى ان تكون
مخلوقة فالمصنف رحمه انما قال فافعاله اولى ان تكون مخلوقة لان علة افتقار الاشياء
في وجودها الى الخالق هي امكانها وكل ما يدخل في الوجود جوهرا كان او عرضا
فهو ممكن فاذا كان العبد القائم بذاته لامكانه يستفيد الوجود من الخالق فافعاله القائمة به

اولى

اولى ان تستفيد الوجود من الخالق وقال المصنف رح في كتاب الوصية نقر بان الاستطاعة
مع الفعل لا قبل الفعل ولا بعد الفعل لانه لو كان قبل الفعل لكان العبد مستغنيا
عن الله تع وقت الفعل وهذا خلاف حكم النص لقوله تع والله الغني وانتم الفقراء
ولو كان بعد الفعل لكان من المحال لانه حصول الفعل بلا استطاعة ولا طاقة
فقد ثبت بالاقوال المذكورة ان قول المعتزلة بان الاستطاعة مخلوقة قبل الفعل
وان افعال العباد ليست مخلوقة الله باطل والطاعات كلها ما كانت واجبة بامر
الله تع يعني ان الله تع يخلق العبادات التي اوجبها على العباد بان يامرهم اقامتها
وبمحبته وبرضائه اي وبان يحبها ويرضاها وعلمه ومشيته وقضائه وتقديره
اي ويخلقها بعلمه وارادته وحكمه وكتبه في اللوح المحفوظ قال المصنف في كتاب
الوصية نقر بان الاعمال ثلاثة فريضة وفضيلة ومعصية والفريضة بامر الله و
مشيته ومحبته ورضائه وقضائه وقدره وتخليقه وحكمه وعلمه وتوفيقه و
كتابته في اللوح المحفوظ والفضيلة ليست بامر الله ولكن بمشيته ومحبته ورضائه
وقدره وحكمه وعلمه وتوفيقه وتخليقه وكتابته في اللوح المحفوظ والمعصية ليست
بامر الله ولكن بمشيته لا بمحبته وبقضائه لا برضائه وبتقديره وتخليقه لا بتوفيقه
وبخذلانه وعلمه وكتابته في اللوح المحفوظ واعلم ان الله تع لا يكلف احدا الا هو
قادر عليه قال الله تع لا يكلف الله نفسا الا وسعها وقدرة العبد التي بها يصير اهلا
للتكليف هي سلامة الآلة التي بها يؤدي اوامر الله تع وهي عقله وبدنه فلذلك لا يكلف
الله الصبي ولا المجنون بالايمان ولا الاخرس بالاقرار باللسان ولا المريض العاجز
بالقيام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمران بن حصين رضه صل قائما فان لم
تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى الجنب تومي ايماء فذلك لان الطاعة بحسب الطاقة

فالله تعالى لا يكلف احدا من خلقه الا بحسب اعتدال عقله وصحة بدنه فاذا حين
كان ابو جهل غير مسلوب العقل فامر بالايمان لم يجز له ان يقول لا اقدر على ان
اصدق واقر بالله وكذلك المؤمن الصحيح التارك الصلوة اذا امر بها لا يجوز
له ان يقول لا اقدر على ان اصلي فالدليل على ان الله تع لا يكلف العباد الا بحسب
طاقتهم التي هي سبب التكليف وهي بحسب الاعتدال عقولهم وصحة ابدانهم الكتاب
والسنة واجماع الامة والمعاصي كلها بعلمه وقضائه وتقديره ومشيئته يعني ان الله تع
يخلق المعاصي كلها بعلمه وحكمه وكتبه وارادته لا بمحبته ولا برضائه ولا بامره
اي ولا يخلقها بان يحبها ويرضاها ويأمرها واعلم ان المعاصي نوعان كبائر وصغائر
اما الكبائر فهي تسع قال صفوان بن عسال قال يهودي لصاحبه اذهب بنا الى
هذا النبي فقال له صاحبه لا تقل نبي انه لو سمعك كان له اربع اعين فاتيا رسول
الله صلى الله عليه وسلم فسالاه عن تسع ايات بينات فقال لهما رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم
الله الا بالحق ولا تمشوا ببريء الى ذي سلطان ليقتله ولا تسحروا ولا تاكلوا الربوا
ولا تقذفوا محصنة ولا تولوا الفرار يوم الزحف وعليكم خاصة اليهود ان لا تعتدوا
في السبت قال فقبلا يديه ورجليه وقالا نشهد انك نبي قال فما يمنعكم ان
تتبعوني قالا ان داود دعا ربه ان لا يزال من ذريته نبي وانا نخاف ان اتبعناك
ان يقتلنا اليهود وقال سعيد بن جبير رحمه الله قال رجل لابن عباس رضه عنهما يا ابا
عباس كم الكبائر سبع هي قال هي الى سبعمائة اقرب منها الى سبع غير انه لا كبيرة
مع استغفار ولا صغيرة مع اصرار وقال ابن عباس في رواية الوالبي الكبائر كل
ذنب ختمه الله بنار او غضب او لعنة او عذاب وقال في رواية ابن سيرين كل ما نهى الله

فهو

فهو كبيرة وقال الحسن رحمه الله وسعيد بن جبير رضه والضحاك رضه كل ما جاء في القران
مقرونا بذكر الوعيد فهو كبيرة فاعلم ان الكبائر على الحقيقة هي المذكورة المخصوصة
في الحديث الا ان غيرها لكونها في حكمها سميت كبائر فلذلك ذكر رسول الله صلى الله
عليه وسلم في بعض الاحاديث من المعاصي غير ما كانت في الحديث المذكور وعدها
منها ولذلك قال لا صغيرة مع الاصرار وكذلك قال فخر الاسلام علي البزدوي
رحمه في اصول الفقه في تعريف العدالة فقيل من ارتكب كبيرة سقطت عدالته
وصار متهما بالكذب واذا اصر على ما دون الكبيرة كان مثلها في وقوع التهمة
وجرح العدالة فلا يحصل التوفيق الا بهذا الوارد في الكبائر وبينها وبين الاثار
الا بما قلناه واعلم ان ترك الفرض او الواجب مرة واحدة بلا عذر كبيرة
وكذلك ارتكاب الحرام مرة واحدة كبيرة وترك السنة مرة واحدة بلا عذر
تهاونا لا سنة صغيرة وكذلك ارتكاب المكروه مرة واحدة صغيرة و
الاصرار على ترك السنة او على ارتكاب المكروه كبيرة والانبياء عليهم السلام
كلهم منزهون عن الصغائر والكبائر والكفر والقبائح يعني قبل النبوة وبعدها
وقد كانت منهم زلات وخطايا قال القاضي ابو زيد رحمه في اصول الفقه افعال
النبي صلى الله عليه وسلم عن قصد على اربعة اقسام واجب ومستحب ومباح
وزلة فاما ما كان يقع من غير قصد كما يكون من النائم والمخطئ ونحوهما
فلا عبرة بها لانها غير داخلة تحت الخطاب على ما نذكر ثم الزلة لا تخلو عن اقترانه
ببيان انها زلة من الفاعل نفسه كقول موسى عليه السلام حين قتل القبطي
[illegible] هذا من عمل الشيطان او من الله تع كما قال في آدم عم وعصى آدم ربه

فغوى ونفي بالقصد في الزلة قصد الفعل لا قصد العصيان واذا لم تخلو
الزلة عن البيان لم يشكل على احد انها مما لا يتبع النبي عليه الصلوة والسلام
فيها فيبقى العبرة للانواع الثلثة وقال شمس الائمة محمد السرخسي رحمه في
اصول الفقه باب الكلام في افعال النبي صلى الله عليه وسلم اعلم بان افعاله التي تكون
عن قصد تنقسم على اربعة اقسام مباح ومستحب وواجب وفرض وهنا نوع
خامس وهو الزلة ولكنه غير داخل في هذا الباب لانه لا يصلح للاقتداء به
ذلك وعقد الباب لبيان حكم الاقتداء به في افعاله ولهذا لم نذكر في الجملة ما
يحصل في حالة النوم والاغماء لان القصد لا تحقق فيه فلا يكون داخلا
فيما هو حد الخطاب واما الزلة فانه لا يوجد فيها القصد الى عينها ايضا ولكن
يوجد القصد الى اصل الفعل وبيان هذا ان الزلة اخذت من قول القائل ذل الرجل
في الطين اذا لم يوجد القصد الى الوقوع ولا الى الثبات بعد الوقوع ولكن وجد
القصد الى المشي في الطريق فعرفنا بهذا ان الزلة ما يتصل بالفاعل عند فعله
ما لم يكن قصده بعينه ولكنه زل فاشتغل به عما قصده بعينه والمعصية عند الاطلاق
انما تتناول ما يقصده المباشر بعينه وان كان قد اطلق الشرع ذلك على الزلة
مجازا ثم لا بد ان يقترن بالزلة بيانه من جهة الفاعل او من الله تع كما قال الله
سبحانه تع مخبرا عن موسى عم عند قتل القبطي هذا من عمل الشيطان الآية وكما
قال الله تع وعصى آدم ربه فغوى الآية واذا كان البيان يقترن به لا محالة
علم انه غير صالح للاقتداء به الى ههنا عبارته رحمه الله وما قاله في تعريف الزلة
بينا والاحد نوع الزلة وهو مثل زلة موسى عليه السلام فانه لم يقصد قتل القبطي
بل لم يقصد غير ضربه بيده ولا يتناول او غيرها من الذنوب قال الله سبحانه تع
ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين وقال الله سبحانه
تع يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى الآية وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الحسد يأكل الحسنات كما يأكل النار الحطب وقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الغيبة اسرع من حسنات العبد من النار في اليبس وقال رسول الله
عليه الصلوة والسلام سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل حتى يخرج
من الدنيا مؤمنا فان الله تع لا يضيعها بل يقبلها منه ويثيبه عليها قال
فخر الاسلام علي البزدوي رحمه في اصول الفقه واما العلة فانها في اللغة عبارة
عن المغير وفي الشريعة عبارة عما يضاف اليه وجوب الحكم ابتداء مثل البيع
للملك والنكاح للحل والقتل للقصاص وما اشبه ذلك لكن علل الشرع غير
موجبة بذواتها وانما الموجب للاحكام هو الله تع ولكن ايجابه لما كان غيبا
نسب الوجوب الى العلل فصارت موجبة في حق العباد فجعلها صاحب الشرع
اياها كذلك وفي حق صاحب الشرع هي اعلام خالصة وهذا كافعال العباد
من الطاعات ليست بموجبة للثواب بذواتها بل الله تع بفضله جعلها
كذلك فصارت المنسبة اليها بفضله وكذلك العقاب يضاف الى الكفر من هذا
الوجه فاما ان يجعل لغوا كما قالت الجبرية او موجبة بانفسها كما قالت القدرية
فلا وما كان من السيئات دون الشرك والكفر ولم يتب عنها صاحبها
حتى مات مؤمنا فانه في مشية الله تع ان شاء عذبه وان شاء عفى عنه ولم
يعذبه بالنار ابدا واعلم ان من يعمل من السيئات وهو مؤمن ولم يتب عنها

حتى مات مؤمنا فانه ان لم يستحق الشفاعة يعذبه الله تع بعدله واذا
استحق الشفاعة يشفعه من يستحق ان يشفع من الشافعين
فيقبل الله تع شفاعته فيعفو عنه بفضله وقوله ولم يعذبه بالنار ابدا يعني
ان من يعذبه الله تع من المؤمنين لا يعذبه ابدا مخلدا في النار لان الايمان يمنع
الخلود فلا يبقى في النار من كان في قلبه ادنى ادنى مثقال حبة خردل من ايمان فالمؤمن
ان كانت حسناته غالبة على سيئاته ثقلت بها موازينه فدخل الجنة وان كانت سيئاته
غالبة على حسناته بحيث يستحق الشفاعة يشفعه من يستحق ان يشفع من ان فيعز
فثقلت بشفاعته موازينه فدخل الجنة وان كانت سيئاته غالبة على حسناته بحيث
لا يستحق الشفاعة خفت بها موازينه فدخل النار قال الله تع فاما من ثقلت موازينه
فهو في عيشة راضية فاما من خفت موازينه فامه هاوية واعلم ان اطفال
المؤمنين يدخلهم الله تع بايمانهم الفطري الجنة وهم من اهل الجنة ولا فرق بين
اطفال المؤمنين والمشركين في كونهم مؤمنين بالايمان الفطري فاذا انهم من
اهل الجنة ايضا فان الايمان فطريا كان او مكتسبا في عالم الشهادة يكفي العبد
في دخول الجنة اذا لم يكن فيه مانع من السيئات واما المراهق اذا بلغ ولم يبلغه
الدعوة وغفل عن وجود الله تع ولم يصف ايمانا ولا كفرا كان معذورا فكان من
اهل الجنة واما الذي بلغه ولم يبلغه الدعوة واعانه الله تع بالتجربة وامهله لدرك
العواقب وغفل عن وجوده تع او لم يؤمن به لم يكن معذورا فكان من اهل النار
مخلدا فيها واما البالغ الذي بلغته الدعوة فلم يؤمن فهو مخلد في النار والرياء
اذا وقع في عمل من الاعمال فانه يبطل اجره وكذلك العجب قال الله تع يا ايها الذين

امنوا

امنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس وقال الله
سبحانه وتع فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه
احدا وقال رسول الله صلى الله تع عليه وسلم اذا جمع الله الناس يوم القيمة ليوم
لا ريب فيه نادى مناد من كان اشرك في عمل عمله لله احدا فليطلب ثوابه
من عند غير الله فان الله اغنى الشركاء عن الشرك وقال رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم لا يقبل الله عملا فيه مقدار ذرة من الرياء فكما ان الرياء
والعجب يبطل اجور الاعمال كذلك غيرهما من الاخلاق السيئة يبطل اجورها
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس يفطرن الصائم الغيبة والكذب والنميمة الايمان
واليمين الكاذبة والنظر بشهوة وقال رسول الله صلى الله تع عليه وسلم
سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل فيجب لكل مؤمن ان يعلمها
وان يجتنب افعال مقتضاها وان يعلم كيفية تطهير نفسه منها حتى
يبدلها باضدادها فقد بينتها وبينت كيفية تطهير النفس منها على ما نطق
به الكتاب والسنة في كتاب الاخلاق ومقامات العارفين فمن اراد معرفتها او
معرفة كيفية تطهير النفس منها فليطلبها منها والايات للانبياء يعني اذا خوارق العادة
التي تصدر عن الانبياء تسمى ايات وذلك لان الله تع يريد بصدورها عنهم ان
ان تكون علامة نبوتهم وصدقهم والكرامات للاولياء يعني والتي تصدر
عن الاولياء كرامات وذلك لان الله تع يريد بصدورها عنهم اكرامهم واما التي
تكون لاعدائه مثل ابليس وفرعون والدجال فما روي في الاخبار انه كان ويكون
لهم لا نسميها ايات ولا كرامات ولكن نسميها قضاء حاجاتهم وذلك لان الله

مطلب الرياء والعجب

تع يقضي حاجات اعدائه استدراجا لهم وعقوبة لهم ويغترون به ويزدادون
طغيانا وكفرا وذلك كله جائز ممكن بعيني واما خوارق العادة التي تصدر عن اعداء
الله تع مثل ابليس وفرعون والدجال وغيرهم من الكفار فتسمى قضاء حاجاتهم
واستدراجا ومكرا فالكفر اذا لم يكن مانعا عن صدور خوارق العادة عن الكفار و
الفسق اولى ان لا يكون مانعا عن صدور ذلك عن الفساق واعلم ان استدراج
الله تع عباده ان يستدنيهم قليلا قليلا الى ما يضاعف عقابهم ويهلكهم
من حيث لا يعلمون وذلك ان الله تع يقضي حاجة عباده ويوالي نعمه عليهم ليظنوا
ان ذلك فضل من الله وتقريب وانما هو خذلان وتبعيد فيغترون به و
يزدادون عصيانا وكفرا قال عقبة بن عامر رضه ان رسول الله صلى الله تع عليه وسلم
قال اذا رايت الله يعطي العبد ما يحبه وهو مقيم على معصيته فانما ذلك منه استدراج
ثم تلا هذه الاية قال الله سبحانه وتع فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم
ابواب كل شيء قرء الى اخر الايتين والمصنف انما ذكر فرعون بين ابليس و
الدجال دل على انه من زمرتهما قال الله تع ولقد ارسلنا موسى باياتنا وسلطان
مبين الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب فلما جاءهم بالحق
من عندنا قالوا اقتلوا ابناء الذين امنوا معه واستحيوا نساءهم وما
كيد الكافرين الا في ضلال وقال الله سبحانه وتع وكذلك زين لفرعون سوء
عمله وصد عن السبيل وما كيد فرعون الا في تباب وقال الله سبحانه وتع اذهب
الى فرعون انه طغى فقل هل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك فتخشى فاراه
الاية الكبرى فكذب وعصى ثم ادبر يسعى فحشر فنادى فقال انا ربكم الاعلى

فاخذه الله

فاخذه الله نكال الاخرة والاولى قال ابن عباس رضي الله عنه تفسير قوله حتى
اذا ادركه الغرق قال امنت انه لا اله الا الذي امنت به بنو اسرائيل لم يقبل الله
تع ايمانه عند نزول العذاب فلم ينفعه ذلك وقيل له الان وقد عصيت قبل اي
الان تتوب وقد اضعت التوبة في وقتها وقال ابن عباس رضه ايضا ان النبي
صلى الله تع عليه وسلم قال قال جبرائيل عليه السلام يا محمد عليه الصلوة والسلام
لو رايتني وانا اخذ من حال البحر احشو في فيه بغي فرعون مخافة ان
تدركه الرحمة وقال السدي بلغنا ان جبرائيل عليه السلام قال لرسول الله صلى الله
تع عليه وسلم ما ابغضت عبدا من عباد الله ما ابغضت عبدين احدهما
من الجن والاخر من الانس اما الذي من الجن فابليس حين ابى ان يسجد لادم ع م
واما الذي من الانس ففرعون حين قال انا ربكم الاعلى ولو رايتني يا
محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وانا اخذ من حال البحر فادسه في فيه مخافة ان
يقول كلمة ينجو بها كان الله تع خالقا قبل ان يخلق ورازقا قبل ان
يرزق قد مضى تفسير هذه الكلمات مرارا الله تع يرى في الاخرة ويراه المؤمنون
وهم في الجنة باعين رؤسهم بلا تشبيه ولا كيفية ولا يكون بينه
وبين خلقه مسافة قال رسول الله صلى الله تع عليه وسلم انكم سترون
ربكم عيانا وقال جرير ابن عبد الله رضه كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله
عليه وسلم فنظر الى القمر ليلة البدر فقال انكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا
تضامون في رؤيته الحديث وقال رسول عليه الصلوة والسلام اذا دخل اهل الجنة
الجنة يقول الله سبحانه وتع تريدون شيئا ازيدكم فيقولون الم تبيض وجوهنا

فيرفع

هو رؤية رب

اللهم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار قال فيرفع الحجاب فينظرون الى وجه الله
فما اعطوا شيئا احب اليهم من النظر الى ربهم ثم تلا للذين احسنوا الحسنى
وزيادة واعلم ان رؤية الله سبحانه وتع في الجنة برؤس المؤمنين
واعينهم من المتشابهات وصفا قال فخر الاسلام علي البزدوي رحمه الله عليه
في اصول الفقه ومثاله اثبات رؤية الله تع بالابصار عيانا حقا في دار الآخرة
بنص القرآن بقوله تع وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ولانه موجود بصفة
الكمال وان يكون مرئيا لنفسه ولغيره من صفة الكمال والمؤمن لاكرامه
بذلك اهل لكن اثبات الجهة ممتنع فصار متشابها بوصفه فوجب تسليم
المتشابه على اعتقاد الحقية فيه وقال شمس الائمة محمد السرخسي رحه في اصول الفقه
ان رؤية الله تع بالابصار في الآخرة حق معلوم ثابت بالنص وهو قوله
تع وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ثم هو موجود بصفات الكمال
وفي كونه مرئيا لنفسه ولغيره معنى الكمال الا ان الجهة ممتنع فانما لله لا جهة
له فكان متشابها فيما يرجع الى كيفية الرؤية والجهة مع كون اصل الرؤية
ثابتا بالنص معلوما كرامة للمؤمنين فانهم اهل لهذه الكرامة والتشابه
فيما يرجع الى الوصف لا يقدح في العلم بالاصل ولا يبطله وفي كتاب الخلاصة
ولا يجوز الصلوة خلف من ينكر شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم وينكر الكرام
الكاتبين وعذاب القبر وكذا من ينكر الرؤية لانه كافر وان قال لا يرى لجلاله
وعظمته فهو مبتدع والايمان هو الاقرار والتصديق يعني ان الايمان

لا يقدح

هو الاقرار

هو الاقرار والتصديق بان الله تع واحد لا شريك له موصوف بصفاته اعني
الحيوة والقدرة والعلم والكلام والسمع والبصر والارادة والتخليق والترزيق
وبان محمدا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اي نبيه الذي بعثه بالكتب والنبوة
فمعرفة هذه الصفات اجمالا كافية في الايمان فقد صح تفسير الاجمال ووجه كفاية
معرفة هذه الصفات في الايمان في اوائل الكتب وقال المصنف رحه في كتاب الوصية
رحه الايمان هو اقرار باللسان وتصديق بالجنان والاقرار وحده لا يكون
ايمانا لانه لو كان ايمانا لكان المنافقون كلهم مؤمنين وكذلك المعرفة وحدها
لا تكون ايمانا لانها لو كانت ايمانا لكان اهل الكتاب كلهم مؤمنين قال الله تع
في حق المنافقين والله يشهد ان المنافقين لكاذبون وقال الله تع في حق اهل الكتاب
الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وقال شمس الدين الائمة محمد
السرخسي رحمه الله تع عليه في اصول الفقه واما النوع الاول من القسم
الاول فهو الايمان بالله وصفاته فانه مامور به قال الله تع آمنوا بالله وهو حسن
لعينه وركنه التصديق بالقلب والاقرار باللسان فالتصديق لا يحتمل السقوط بحال
ومتى بدله بغيره فهو كفر منه على اي وجه بدله والاقرار حسن لعينه وهو يحتمل السقوط
في بعض الاحوال حتى انه اذا بدله بغيره لعذر الاكراه لم يكن ذلك كفرا منه اذا كان
مطمئن القلب بالايمان وهذا لان اللسان ليس بمعدن التصديق ولكن يعبر اللسان
عما في قلبه فيكون دليل التصديق وجودا وعدما فاذا بدله بغيره في وقت يكون متمكنا
من اظهاره كان كافرا واذا زال تمكنه من الاظهار بالاكراه لم يصر كافرا لان سبب
الخوف على نفسه دليل ظاهر على بقاء التصديق بالقلب وان الحامل له على هذا التبديل
حاجته الى دفع الهلاك عن نفسه لا تبديل الاعتقاد فاما بتبديله في وقت التمكن فيكون دليل

تبديل الاعتقاد فلما كان ركن الايمان وجوداً وعدماً وان كان دون التصديق بالقلب لاحتماله
السقوط في بعض الاحوال وايمان اهل السماء والارض لا يزيد ولا ينقص ينبغي ان ايمان
الملائكة وايمان المؤمنين في الدنيا والاخرة لا يزيد ولا ينقص من جهة المؤمن به لا من
جهة التصديق واليقين لانه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلم اذا سئل في القبر
يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فذلك قوله يثبت الله الذين امنوا بالقول
الثابت في الحيوة الدنيا وفي الاخرة وفي رواية قال يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت
قال في عذاب القبر اذا قيل له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربي الله وديني
الاسلام ونبيي محمد وفي كتاب الخلاصة وقال محمد رحمه الله اكره ان تقول ايماني كايمان
جبرائيل عليه السلام ولكن تقول امنت بما امن به جبرائيل ولان افضلهما يجب ان يعلم
العبد ويصدق ويثبته في الايمان هو الله تع فمن صدق واقر به فقد صدق واقر بجميع
ما صدق واقر به المرسلون في الايمان فاذا كيف يتصور الزيادة والنقصان في
الايمان من جهة المؤمن به وفي الفتاوي الخانية الوثني او الذي لا يقر بوحدانية الله
تع اذا قال لا اله الا الله يصير مسلما ولانه لا يتصور زيادة ايمان العبد من جهة المؤمن به
الا بان يكون كافرا ببعض ما يجب الايمان به فيؤمن به ولا يتصور نقصانه الا بكفره
ببعض ما امن به فاذا كان الايمان يزيد وينقص بهذا الوجه لزم ان يكون الشخص الواحد
في حالة واحدة مؤمنا وكافرا وهذا محال وباطل هكذا قال المصنف رحمه الله في كتاب
الوصية واستدل بقوله تعالى ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين
الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك
سبيلا واما ان الايمان يزيد وينقص من جهة اليقين والتصديق فثابت بالكتاب
والسنة واجماع الامة والدليل المعقول اما الكتاب فقال الله تع هو الذي انزل السكينة
في قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم وقال الله تع انما المؤمنون الذين اذا

ذكر الله

ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا واما السنة فقيل لرسول الله
صلى الله تع عليه وسلم الايمان يزيد وينقص فقال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة
وينقص حتى يدخل صاحبه النار واما اجماع الامة فقد اجمعت على انه لا يساوي يقين
احد من الانبياء عليهم السلام يقين محمد صلى الله عليه وسلم واما الدليل المعقول فلا
شبهة ان اليقين والتصديق من الكيفيات النفسانية ولا شك في ان الكيفية
النفسانية تقبل الزيادة والنقصان قوة وضعفا واعلم ان المعصية تنقص الايمان
لانها تورث في القلب وتزيد قسوة وسواده فتنقص يقينه وتصديقه قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان المؤمن اذا اذنب كانت نكتة سوداء في قلبه فان تاب واستغفر
صقل قلبه وان زاد زادت حتى تعلو قلبه فذلكم الران الذي ذكر الله تع كلا
بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وان الطاعة والعبادة تزيد الايمان لانها
نور في القلب وتزيد صفاءه وصقالته فتزيد يقينه وتصديقه قال الله تع والذين
جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم
ورثه الله علم ما لم يعلم فالعلم الذي هو ثمرة المجاهدة والعمل هو اليقين والعلوم
التي هي ثمرات اليقين والمؤمنون مستوون في الايمان والتوحيد متفاضلون في الاعمال
يعني والمؤمنون كلهم مستوون في الايمان والتوحيد بحسب المؤمن به لما قلناه
متفاضلون في الاعمال لان عمل كل واحد من العباد انما يكون بقدر عقله ويقينه فلا
تظنن ان المراد من الاعمال الصلوة والصيام فقط قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا حسد الا في اثنين رجل اتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها الناس ورجل اتاه
الله مالا فهو ينفق منه سرا وجهرا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمة من الخير
يسمعها المؤمن فيعمل بها ويعلمها خير له من عبادة سنة وقال رسول الله صلى الله عليه السلام
وسلم تفكر ساعة خير من عبادة سنة وقالت عائشة رضي الله عنها يا رسول الله عليه الصلوة

باي شيء يتفاضل الناس في الدنيا قال بالعقل قالت قلت وفي الاخرة قال بالعقل
قلت اليس انما يجزون باعمالهم فقال يا عايشة وهل عملوا الا بقدر ما اعطاهم الله
تع من العقل فبقدر ما اعطوا من العقل كانت اعمالهم وبقدر ما عملوا يجزون
وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جد الملايكة واجتهدوا في طاعة الله تع بالعقل
وجد المؤمنون من بني آدم على قدر عقولهم فاعملهم بطاعة الله اوفرهم عقلا يعني
بالعقل اليقين بالله تع والاسلام هو التسليم والانقياد لاوامر الله تع يعني بالتسليم
والانقياد لاوامر الله تع عقد القلب على عمل الفرايض المكتوبة التي هي الصلوة والزكوة
والصوم والحج وفي الفتاوي الخانية ولو قال بالفارسية اگر فلان پيغمبر بودي بوي
نگرويدمي اذا اراد به لو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يؤمن به يكون كافرا كما لو قال
ان امرني الله تع بان كذا لا افعل او قال لا اومن به او قال لو امرني الله تع بعشر صلوة
لا افعل او قال لو كانت القبلة في هذه الناحية لم اصل كان كافرا في جميع هذه
الكلمات هذا ذهب اليه ابو حنيفة واصحابهم رحمهم الله تع وقالت المعتزلة ان الاسلام
هو عقد القلب على عمل الفرايض المكتوبة وعملها بالبدن وقالوا من عقد قلبه على عملها
وترك المحاربة فليس بمؤمن وهذا باطل لان عزيمة القلب هي اصل الفعل الا
ترى ان عزيمة القلب قد تصير قربة بدون الفعل والفعل لا يصير قربة الا بعزيمة فاذا
وجد في قلب العبد اصول الفرايض المكتوبة هي عقد القلب على عملها فهو مؤمن وان
ترك فعلها ولكنه لا يكون مؤمنا كاملا لترك فعلها بل فاسقا خارجا عن طاعة الله
وطاعة رسوله من طريق اللغة فرق بين الايمان والاسلام لان الايمان في اللغة
هو التصديق قال الله تع وما انت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين والاسلام هو التسليم
سواء كان بالقلب او باللسان او الجوارح او بجميع ذلك فلان المنافقين لم يكونوا

مؤمنين

مؤمنين بحسب الشرع ولا بحسب اللغة ولكنهم مسلمون بحسب اللغة وان لم يكونوا
مسلمين بحسب الشرع قال الله تع قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ولكن لا يكون
ايمان بلا اسلام يعني ولكن لا يكون في حكم الشرع ايمان بلا اسلام لان الايمان
هو الاقرار والتصديق بالله تع كما هو بصفاته واسمائه فمن اقر وصدق بالله
تع فقد خشيه واتقاه ولاوامره وذلك لان اصل الايمان هو اليقين الذي يقتضي
التصديق بالله تع واليقين الذي يقتضي التصديق به يقتضي الاقرار به والخشية
التي يقتضي التسليم والانقياد لاوامره فلذلك لا يوجد ايمان بلا اسلام واما اليقين
الذي لا يقتضي التصديق بالله تع فليس من الايمان الا ترى ان الله تع قال يعرفونه
كما يعرفون ابناءهم وقال وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم وان الشيطان
يعلم يقينا بان الله تع واحد لا شريك له وغلب عنه اليقين الذي يقتضي التصديق
بالله تع ابى واستكبر وكان من الكافرين ولا اسلام بلا ايمان لان الاسلام هو
التسليم والانقياد لاوامر الله ولا يوجد ذلك الا بعد التصديق والاقرار فلان الايمان
لا يوجد بدون الاسلام وكذلك الاسلام بدون الايمان وكان الايمان مقدما على الاسلام
ذاتا لا زمانا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بني الاسلام على خمس شهادة ان لا اله الا الله
وان محمدا رسول الله واقام الصلوة وايتاء الزكوة والحج وصوم رمضان وهما
كالظهر مع البطن اي الاسلام والايمان كظاهر الحبة مع باطنها قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم الاسلام علانية والايمان سر وفي لفظ آخر والايمان في القلب والدين
اسم واقع على الايمان والاسلام والشرايع كلها يعني ان لفظ الدين قد يطلق و
يراد به الايمان وقد يطلق ويراد به الاسلام وقد يطلق ويراد به شريعة محمد صلى الله تعالى
عليه وسلم او شريعة موسى عم او غيره من الانبيا صلوات الله وعلى نبينا عليهم اجمعين

تعرف الله تع حق معرفته كما وصف نفسه في كتابه بجميع صفاته وغرض الشيخ
من هذا منع العبد ان يقول ما عرف الله تع حق معرفته لانه اذا عرف الله تع كما بين
ذاته وصفاته بكتابه ولسان رسوله صلى الله تع عليه وسلم فلا ينبغي له ان يقول
ذلك لانه يوهم ان لا تكون معرفته بالله تع حق وقد عرفه كما وصف نفسه في كتابه
فكيف لا تكون معرفته به حق وهذا اذا قاله تواضعا وتذللا دون تمسكنا اما اذا
قال ذلك اعتقادا فليس بمؤمن وفي الفتاوي الخانية رجل يعمل اعمال البر فيقع
في قلبه انه ليس بمؤمن قالوا ان وقع في قلبه انه ليس بمؤمن لان بعض اعمال
لا يوافق اعمال المؤمنين فهذا هو مؤمن صالح قال رسوله صلى الله عليه وسلم
المؤمن من امن جاره بوايقه وقال رسوله صلى الله تع عليه وسلم المسلم من
سلم المسلمون من يده ولسانه فهو يريد بهذا انه ليس من جملة هؤلاء المؤمنين
وان كان يقع في قلبه انه ليس بمؤمن لانه لا يعرف الله تع فان استقر قلبه على
ذلك فهو كافر فان خطر بباله ذلك ووجد من نفسه انكاره فهو مؤمن لان
هذا مما لا يمكن الاحتراز عنه وهذا من صدق ايمانه فيكون عفوا وليس يقدر
احد ان يعبد الله تع حق عبادته كما هو اهله ولكنه يعبده بامره كما امر و
ذلك لان الله تع متفضل على عباده فيعطي من الثواب اضعاف ما يستوجبه العبد
تفضلا منه فكلما زاد عبادة عبد زاد فضله عليه فلذلك لا يقدر احد ان يعبده
حق عبادته كما هو اهله يعني لا يقدر احد ان يعبده بقدر اعطاه ثوابه كما هو اهله
ولكنه يعبده بامره كما امره بكتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ويستوي
المؤمنون كلهم في المعرفة واليقين والتوكل والمحبة والرضاء والخوف

والرجاء

والرجاء والايمان في ذلك ويتفاوتون فيما دون الايمان في ذلك كله يعني
ويستوي المؤمنون كلهم فتى كان او فتاة شيخا كان او شيخة عبدا كان
او حرا في كونهم مكلفين بالمعرفة اي بتحصيل علم طريق الاخرة الذي سماه
المصنف بالفقه وعرفه بانه معرفة النفس ما لها وما عليها وهي معرفة النوافل
والواجبات والسنن ومعرفة الحلال والحرام والمكروه قال رسوله صلى الله عليه
وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة وقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اطلبوا العلم ولو بالصين ولا شك في ان طاعة الله وطاعة رسوله
فرض على كل مسلم ومسلمة ولا يتيسر لاحد ان يكون عليه طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله
عليه وسلم الا بكونه عالما بذلك العلم فاذا تحصيل ذلك العلم فرض على كل مسلم
ومسلمة وانما شرع العلم المذكور ليعمل به العبد فيزداد علما بالله وصفاته
الذي هو زيادة اليقين قال الله تع والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا
وقال رسول الله صلى الله تع عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله تع علم ما لم يعلم
وقال رسول الله عليه الصلوة والسلام من اراد ان يؤتيه الله علما بلا تعلم و
هدى بغير هداية فليزهد في الدنيا فالعلم الذي هو ثمرة المجاهدة والعمل والزهد
هو العلم بالله الذي هو اليقين به فاذا كان تحصيل العلم المشروع لتحصيل
العلم بالله الذي هو اليقين به فرضا على كل مسلم ومسلمة فتحصيل العلم بالله الذي
هو اليقين به اولى ان يكون فرضا على كل مسلم ومسلمة وقوله اليقين يعني في
كونهم مكلفين بتحصيل زيادة اليقين بذات الله تع وصفاته قال الله تع هو الذي
انزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم اي يقينا وتصديقا

وقد علمت ان اليقين هو اصل الايمان وعلمت ايضا ان زيادة ايمان العبد الصبر ونقصانه انما
يكون بحسب زيادة يقينه ونقصانه لا غير وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموا اليقين
فاني متعلم معكم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يشبع المؤمن من خير يسمعه حتى
يكون منتهاه الجنة وقوله والتوكل اي وفي كونهم مكلفين بان يتوكلوا على الله قال
الله تعالى وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين وقال الله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه
وقال الله تعالى اليس الله بكاف عبده وقوله والمحبة اي في كونهم مكلفين بان يحبوا الله ورسوله
قال الله تعالى يحبهم ويحبونه وقال الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله
وقال الله تعالى قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال
اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله
ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى ياتي الله بامره والله لا يهدي القوم الفاسقين
وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا يؤمن احدكم حتى يكون الله ورسوله احب
اليه مما سواهما الحديث وقال رسول الله عليه الصلوة والسلام لا يؤمن احدكم حتى اكون احب
اليه من والده وولده والناس اجمعين وقوله والرضاء اي في كونهم مكلفين
بان يرضوا عن الله قال الله تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين
اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وقال الله تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه
ذلك لمن خشي ربه وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ذاق طعم الايمان من رضي بالله
ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم رسولا وقوله والخوف اي في كونهم
مكلفين بان يخافوا الله قال الله تعالى ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها
وادعوه خوفا وطمعا ان رحمت الله قريب من المحسنين وقال الله تعالى هو الذي
يريكم البرق خوفا وطمعا وينشئ السحاب الثقال وقال الله تعالى يخافون

ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
راس الحكمة مخافة الله وقوله والرجاء اي في كونهم مكلفين بان يرجوا رحمة
الله قال الله تعالى ان الذين امنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك
يرجون رحمة الله وفسر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المجاهد والمهاجر
فقال المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب
وقال الله تعالى ان الذين يتلون كتاب الله واقاموا الصلوة وانفقوا مما رزقناهم
سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور فاعلم ان الرجاء الذي يتوهمه جهلة
الناس من رجاء العبد المغفرة وهو مصر على المعاصي فليس هذا برجاء
عند العلماء لان الرجاء المذكور في الكتاب والسنة هو وصف المؤمن الصالح
لانه مقام من مقامات يقينه واما هذا الرجاء فانما هو اغترار بالله وغفلة عن
الله وجهل باحكام الله تعالى فقد كان قوم اصروا على المعاصي ورجوا المغفرة وقد
انكر الله سبحانه وتعالى ذلك فقال فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب ياخذون
عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا وان ياتهم عرض مثله ياخذوه الم يؤخذ
عليهم ميثاق الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق الاية وانكر ذلك رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع
نفسه هواها وتمنى على الله وقوله والايمان في ذلك اي وفي كونهم مكلفين
بالتصديق بكونهم مكلفين بالامور المذكورة وقوله ويتفاوتون فيما دون
الايمان في ذلك كله يعني ويتفاوت المؤمنون كلهم في الامور المذكورة دون
الايمان بحسب وجود كل واحد منها وعدمه وزيادته ونقصانه وانما لا يتفاوتون

في الايمان بذلك بحسب المؤمن به لا بحسب التصديق واليقين فاعلم ان التوكل والمحبة و
الرضا والخوف والرجاء من مقامات اليقين التي هي تسعة وهي الخوف والرجاء
والتوبة والصبر والشكر والزهد والتوكل والرضاء والمحبة فقد بينتها على
احسن الوجوه واتمها واكملها وبينت اصحابها ومراتبهم واحوالهم ووفقا
مانهم في تلك المقامات على التفصيل في كتاب الاخلاق ومقامات العارفين فمن اراد معرفة
هذه المذكورات فليطلبها منها والله تعالى متفضل على عباده عادل قد
يعطي من الثواب اضعاف ما يستوجبه العبد تفضلا منه وقد يعاقب على الذنب
عدلا منه وقد يعفو فضلا منه واعلم ان الله متفضل على عباده فيعطي بفضله من
الثواب اضعاف ما يستحقه العبد الا ترى انه تعالى قال من جاء بالحسنة فله عشر امثالها
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة بعشر امثالها
الى سبعمائة ضعف فادنى ما يعطيه الله العبد من الثواب عشر امثالها حسنة فالزيادة
عليه الى سبعمائة انما تكون للعباد بحسب تفاوت فضل اعمالهم وتفاوت استعداداتهم
فليس له تعالى ان يعطي من الثواب احد المتساويين في العبادة واليقين اكثر مما يعطي
الاخر او يعفو عن احد المتساويين في الذنب دون الاخر لانه تعالى انما يعطي
ويعفو بفضله ولا تفاوت في فضله فليس له تعالى ان يكون متفضلا في حق البعض
دون البعض ولانه تعالى ليس ببخيل ولا عاجز بل هو كريم قادر وكذلك ليس له
تعالى ان يعاقب احد المتساويين [illegible] في الذنب دون الاخر لانه تعالى انما يعاقب بعدله
ولا تفاوت في عدله فليس له ان يكون عادلا في حق البعض دون البعض وقوله
وقد يعاقب على الذنب يعني ويعاقب على المعصية بعدله كبيرة كانت او صغيرة

من لا

ممن لا يستحق الشفاعة وقوله وقد يعفو يعني ويعفو بفضله عمن يستحق الشفاعة
ولفظة قد في هذه المواضع الثلاثة للتحقيق لا للتقليل وشفاعة الانبياء
عليهم السلام حق وشفاعة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم للمؤمنين المذنبين
ولاهل الكبائر منهم المستوجبين العقاب حق قال جعفر بن سليمان سمعت مالك
بن دينار يقول سمعت انس بن مالك رضه يقول سمعت رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم يقول لا تحدثوا بهذا الحديث شابا حدثا ولا شيخا مارقا الا ان
الشفاعة لاهل الكبائر من امتي قال ثم تلا هذه الآية ان تجتنبوا كبائر
ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما وقال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم يشفع امتي يوم القيمة ثلاثة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء
وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان من امتي من يشفع للفئام ومنهم من
يشفع للقبيلة ومنهم من يشفع للعصبة ومنهم من يشفع للرجل حتى يدخل
الجنة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة كنت امام النبيين
وخطيبهم وصاحب شفاعتهم غير فخر بسبب شفاعة العبد للعبد انما هو المناسبة
والمحبة كله الا ترى ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال الارواح جنود مجندة
فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف وقال رجل لرسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم ادع الله ان يرزقني مرافقتك في الجنة وان يجعلني من
اهل شفاعتك فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اعني بكثرة السجود وان
اطفال المؤمنين لا يشفعون في ابويهم قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

من كان له فرطان من امتي ادخله الله بهما الجنة فقالت عائشة رض فمن كان له
فرط من امتك قال ومن كان له فرط يا موفقة فقالت فمن لم يكن له فرط من امتك قال فانا
فرط امتي لن يصابوا بمثلي ووزن الاعمال بالميزان يوم القيمة حق قال الله تع والوزن يومئذ الحق
فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم
بما كانوا باياتنا يظلمون وقال الله تع ونضع الموازين القسط ليوم القيمة فلا تظلم نفس شيئا وان كان
مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين وقراءة المؤمن كتابه في كتب الوصية وقراءة الكتب
حق لقوله تع اقرأ كتابك كفى بنفسك ليوم القيمة ليعلم العباد مقادير اعمالهم من الخير و
الشر واستحقاقهم الثواب والعقاب وحوض النبي صلى الله عليه وسلم حق قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم حوضي مسيرة شهر وزواياه سواء ماؤه ابيض من اللبن وريحه اطيب من المسك
وكيزانه كنجوم السماء من شرب منها فلا يظمأ ابدا والقصاص فيما بين الخصوم بالحسنات
يوم القيمة حق فان لم يبق لهم الحسنات فطرح السيئات عليهم حق جائز قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من كانت له مظلمة لاخيه من عرضه او شيء فليتحلله منه اليوم قبل ان لا يكون دينار
ولا درهم ان كان له عمل صالح اخذ منه بقدر مظلمته وان لم يكن له حسنات اخذ من سيئات
صاحبه فحمل عليه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتدرون من المفلس قالوا المفلس فينا من لا
درهم له ولا متاع فقال ان المفلس من امتي من ياتي يوم القيمة بصلوة وصيام وزكوة
ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا واكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا
من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل ان يقضى ما عليه اخذ من خطاياهم
فطرحت عليه ثم طرح في النار فالعبد الذي فنيت حسنته بالقصاص وبقيت سيئاته
فطرح في النار هو الذي غلبت سيئاته حسناته بحيث لا يستحق الشفاعة والجنة

والنار

والنار مخلوقتان اليوم قال الله تع وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات
والارض اعدت للمتقين وقال الله تع فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة
اعدت للكافرين والصراط حق وهو جسر ممدود على متن جهنم ارق من الشعر
واحد من السيف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويضرب الصراط بين ظهراني
جهنم فاكون اول من يجوز من الرسل بامته ولا يتكلم يومئذ الا الرسل وكلام الرسل
يومئذ اللهم سلم سلم وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان لا يعلم قدر عظمها
الا الله تخطف الناس باعمالهم فمنهم من يوبق بعمله ومنهم من يخردل ثم ينجو
الحديث وفي حديث اخر ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون اللهم
سلم سلم فيمر المؤمنون كطرفة العين فكالبرق وكالريح وكالطير وكاجاويد الخيل
والركاب فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكدوس في نار جهنم واعلم ان حوض النبي
صلى الله عليه وسلم وماءه وكيزانه وريحه وغير ذلك من صفات الحوض وان الحور
العين واطعمة اهل الجنة واشربتهم ولبسهم وغير ذلك مما ثبت فيها معلومات
باصولها متشابهات باوصافها الا ترى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله
تع اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب
بشر واقرؤا ان شئتم فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وقال ابن عباس رض
عنه كل ما ذكر الله في القران مما في الجنة وسماه ليس له مثل في الدنيا ولكن الله سماه
بالاسم الذي يعرف وكذلك اطعمة اهل جهنم واشربتهم ولبسهم وغير ذلك مما
ثبت فيها معلومات باصولها متشابهات باوصافها قال فخر الاسلام علي البزدوي رحمه الله
في اصول الفقه فاما المتشابه فلا طريق لدركه الا التسليم فيقتضي اعتقاد حقية
المراد به قبل الاصابة وهذا معنى قوله تع واخر متشابهات وعندنا لا حظ للراسخين

في العلم من المتشابه الا التسليم على اعتقاد حقية المراد عند الله تع وان الوقف على قوله الا
الله واجب واهل الايمان على طبقتين في العلم منهم من يطالب بالاعمال في السير لكونه
مبتلا بضرب من الجهل ومنهم من العلم فانزل الله المتشابه تحقيقا للابتلاء وهذا اعظم
الوجهين بلوى واعمها نفعا وجدوى لا تفنيان ابدا ولا يموت الحور العين ابدا ولا يفنى
عقاب الله تع ولا ثوابه سرمدا وقوله والجنة والنار مخلوقتان اليوم لا تفنيان ابدا رد على
الجهمية فانهم قالوا ان الجنة والنار ليستا بمخلوقتين اليوم وانهما تفنيان وقال المص
رحمه في كتاب الوصية واهل الجنة في الجنة خالدون واهل النار في النار خالدون لقوله
تع في حق المؤمنين اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون الآية وفي حق الكفار اولئك
اصحاب النار هم فيها خالدون فاذا لا يفنى الجنة ولا النار ولا ثواب الله تع ولا عقابه سرمدا
والله تع يهدي من يشاء فضلا منه ويضل من يشاء عدلا منه واضلاله خذلانه وتفسير
الخذلان ان لا يوفق العبد على ما يرضاه عنه وهو عدل منه وكذا عقوبة المخذول على المعصية
واعلم ان الله تع يهدي العبد الى الايمان والطاعة وغيرهما من الخير بفضله لانه تع متفضل
عليه فيعطيه في الدنيا ما ينفعه في الآخرة اضعاف ما يستحقه كما يعطيه في الآخرة من الثواب
اضعاف ما يستحقه وذلك بعد استعداده الذي اكتسبه بواسطة بدنه وذلك الاستعداد هو الذي
كتبه الله تع في اللوح المحفوظ قبل خلق السموات والارض وليس له تع ان يهدي احد المتسا
ويين في الاستعداد دون الآخر لان الله تع انما يهدي بفضله ولا تفاوت في فضله
فليس له ان يكون متفضلا في حق البعض دون البعض لانه تع ليس ببخيل ولا عاجز بل
هو كريم قال فهدى الله تع العبد ان يدله على ما ينفعه في آخرته وان يجعله عليه وذلك بان يخلق
الله تع قدرة الطاعة في قلبه كما قال ومن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام والله تع
يضل العبد بعدله لعدم استعداده لتوفيق الله تع بل الاستحقاق لاضلال الله تع وذلك
الاستحقاق هو الذي اكتسبه بواسطة بدنه وهو الذي قد كتبه الله تع في اللوح المحفوظ قبل

خلق

خلق السموات والارض فيضل العبد بان لا يوافقه على ما يرضاه عنه بل بان يخلق قدرة
العصيان في قلبه كما قال ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا ولا يجب اضلاله وكذا لا
يجب عقوبة المخذول ولكن يضله ويعاقبه بعدله وليس له ان يضل احد المتساويين في الاستحقاق
ويعاقبه دون الآخر لانه تع انما يضل ويعاقب بعدله ولا تفاوت في عدله فليس له تع ان يكون
عادلا في حق بعض دون البعض وقول المص ويضل من يشاء عدلا منه رد على المعتزلة
لانهم قالوا ان الله لا يضل احدا بل لا يريد للعبد الا ما هو الاصلح له ولا يجوز ان نقول
ان الشيطان يسلب الايمان من العبد المؤمن قهرا وجبرا لان الله تع لا يجبر احدا من العباد
على الايمان ولا على الكفر ولكن يخلق الايمان والكفر في قلب العبد باختياره فاذا كان الايمان
محبوبا للمؤمن والكفر محبوبا للكافر ولكن نقول العبد يدع الايمان فحينئذ يسلبه الشيطان
يعني ان العبد تركه الايمان فحين تركه العبد سلبه منه الشيطان لانه لو سلبه قبل تركه لزم على الله
جبر العبد على الكفر وقد علمت انه تع لا يخلق الكفر في قلب العبد بدون اختياره وسؤال منكر
ونكير حق كائن في القبر واعادة الروح الى الجسد في قبره حق وضغطة القبر وعذابه حق
كائن للكفار كلهم ولبعض عصاة المسلمين واعلم ان سؤال منكر ونكير واعادة الروح
الى جسد العبد في قبره وضغطته وعذابه والبعث بعد الموت معلومات باصولها متشابهات
باوصافها الا ترى ان اعادة الروح الى جسد الكافر الذي احرق ولم يبق شيء من جسده بل صار
جسده رمادا ثابتة لا شك فيها وكذلك عذاب قبره وضغطته ثابت لا فرق بين عذاب قبره
وعذاب قبر الكافر الذي يعد دفن جسده بتمامه في القبر وانت لا تعلم وصف جسد الكافر المحرق
ولا وصف قبره ولا وصف اعادة روحه الى جسده فكيف لا يكون ذلك من المتشابه وصفا
قال رسول الله صلى الله تع عليه وسلم اذا قبر الميت اتاه ملكان اسودان ازرقان يقال لاحدهما
المنكر وللآخر النكير فيقولان ما كنت تقول في هذا الرجل فان كان مؤمنا فيقول هو عبد الله
ورسوله واشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسوله فيقولان قد كنا نعلم انك تقول هذا ثم
يفسح له في قبره سبعون ذراعا في سبعين ثم ينور له فيه ثم يقال له نم فيقول ارجع الى اهلي

فاخرهم فيقولان نم كنومة العروس التي لا يوقظها الا احب اهلها اليه حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك
وان كان منافقا او كافرا قال سمعت الناس يقولون قولا فقلت مثله لا ادري فيقولان قد كنا نعلم انك
تقول ذلك فيقال للارض التأمي عليه فتلتئم عليه فتختلف اضلاعه فلا يزال فيها معذبا حتى
يبعثه الله من مضجعه ذلك وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المسلم اذا سئل في القبر يشهد
ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فذلك قوله يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في
الحيوة الدنيا وفي الاخرة وقال صلى الله تعالى عليه وسلم يأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من
ربك فيقول ربي الله فيقولان له ما دينك فيقول ديني الاسلام فيقولان ما هذا الرجل الذي
بعث فيكم فيقول هو رسول الله فيقولان وما يدريك فيقول قرأت كتاب الله وامنت وصدقت
فذلك قوله يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت الاية قال فينادي مناد من السماء ان
صدق عبدي فافرشوه من الجنة والبسوه من الجنة وافتحوا له بابا الى الجنة قال فيأتيه
من روحها وطيبها فيفسح له فيها مد بصره وروي عن عثمان انه كان اذا وقف على قبر بكى
حتى يبل لحيته فقيل له تذكر الجنة والنار فلا تبكي وتبكي من هذا فقال ان رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم قال ان القبر اول منزل من منازل الاخرة فان نجا منه فما بعده ايسر منه وان لم
ينج منه فما بعده اشد منه فاعلم ان ملك الموت والمنكر والنكير وغيرهم من الملائكة والشياطين
وان منازل الاخرة وغير ذلك مما يتضمنه سائر الاحاديث من امور الاخرة وما يتضمنه سائر الاحاديث
والايات منها متشابهات ووصفنا الطريق للصدق في درك شيء من اوصافها بالعقل لان كل موجب
العقل في حق وصفها خالف النص قال القاضي ابو زيد رحمه الله في اصول الفقه المتشابه هو الذي
تشابه معناه على السامع من حيث خالف موجب النص موجب العقل قطعا لا يحتمل التبديل
فتشابه المراد بحكم المعارضة حيث لم يحتمل زواله بالتأويلات موجب العقل قطعا مما لا
يحتمل التبديل ولا موجب النص بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال الله تعالى في المتشابه وما
يعلم تأويله الا الله وقال القاضي ابو زيد رحمه الله وحكم المتشابه التوقف ابدا على اعتقاد الحقية

للمراد به فيكون العبد به مبتلى بنفس الاعتقاد لا غير وكل شيء ذكره العلماء بالفارسية
من صفات الله تعالى عن اسمه يجوز القول به سوى اليد بالفارسية ويجوز ان يقال
بروي خداي عز وجل بلا تشبيه ولا كيفية وليس قرب الله ولا بعده من طريق طول
المسافة وقصرها ولكن على معنى الكرامة والهوان والمطيع قريب منه بلا كيف والعاصي
بعيد منه بلا كيف والقرب والبعد والاقبال يقع على المناجي وكذلك جواره في الجنة
والوقوف بين يديه بلا كيف واعلم ان المطيع هو الذي يجتنب الكبائر وهو من اهل
الكرامة في الدنيا والاخرة اما في الدنيا فبان تقبل شهادته وقوله في اخبار الديانات واما
في الاخرة فبان يكون مقعده في الجنة قال الله تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر
عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما وان العاصي اي الفاسق هو الذي يرتكب كبيرة
او يصر على ما دون الكبيرة وهو من اهل الاهانة في الدنيا والاخرة اما في الدنيا فبان لا يقبل
شهادته ولا قوله في اخبار الديانات واما في الاخرة فبان يكون مقعده في النار قال الله
تعالى ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم ويعني بقوله والمطيع قريب منه بلا كيف
والعاصي بعيد منه بلا كيف انه ليس قربه تعالى ولا بعده من طريق طول المسافة وقصرها
لان ذلك لا يتصور الا في المتمكن والله تعالى منزه عن ذلك وكذلك ليس مجاورة
العبد اياه في الجنة ووقوفه بين يديه بمجاورة المتمكن ووقوفه بين يديه وقوله
والقرب والبعد يقع على المناجي اي يقع على العبد المتذلل لله المتضرع المبتهل
الى الله تعالى الداعي ان القرب والبعد كان على معنى الكرامة والهوان وان الله تعالى قريب
الى العبد من حبل الوريد والقران منزل على رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو في
المصاحف مكتوب وايات القران في معنى الكلام كلها مستوية في الفضيلة و
العظمة الا ان لبعضها فضيلة الذكر وفضيلة المذكور مثل اية الكرسي لان
المذكور فيها جلال الله تعالى وعظمته وصفاته فاجتمعت فيها فضيلتان فضيلة

الذكر وفضيلة المذكور ولبعضها فضيلة الذكر فحسب مثل قصة الكفار وليس المذكور فيها
فضل وهم الكفار وكذلك الاسماء والصفات كلها مستوية في العظم والفضل لا تفاوت
بينها وانما قال وكذلك الاسماء والصفات كلها مستوية في العظم والفضل لانه لا تفاوت
في صفات الله تع في كونها لا هو ولا غيره فاذا صفات الله تع واسمائه كلها مستوية في
العظم والفضل لا تفاوت بينها فان قلت فاذا كان كذلك فلم يقال لبعض اسماء الله تع
كالصمد والقيوم بانه اسم الله الاعظم فاعلم انه انما يقال ذلك لانه لا يقال على غير الله تع
بانه صمد او قيوم على المعنى الذي يقال على الله بخلاف سائر الاسماء كالعالم والسميع والبصير
والمتكلم فانه يقال على غير الله بانه عالم سميع بصير متكلم على المعنى الذي يقال على الله
وان لم يشبه علمه تع وسمعه وبصره وكلامه علم المخلوق وسمعه وبصره وكلامه فكل اسم
لا يقال على غيره على المعنى الذي يقال على الله فهو اسم الله الاعظم ايضا كالاحد والغني
وغيرهما من اسماء الله تع ووالدا رسول الله صلى الله تع عليه وسلم ماتا على الكفر
هذا رد على من قال بان والدي رسول الله عليه الصلوة والسلام ماتا على الايمان وعلى من قال
ماتا على الكفر ثم رسول الله عليه الصلوة والتحية دعا الله لهما فاحياهما الله تع واسلما
ثم ماتا على الايمان روي عن ابن مسعود رضه انه قال خرج رسول الله صلى الله تع عليه وسلم
ينظر في المقابر وخرجنا معه فامرنا فجلسنا ثم تخطى القبور حتى انتهى الى قبر منها فناجاه
طويلا ثم ارتفع نحيب رسول الله صلى الله تع عليه وسلم باكيا فبكينا لبكاء رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم انه اقبل الينا فتلقاه عمر بن الخطاب رضه فقال يا رسول الله صلى الله تع
عليه وسلم ما الذي ابكاك فقد ابكانا وافزعنا فجاء فجلس الينا فقال افزعكم بكائي
فقلنا نعم يا رسول الله صلى الله تع عليه وسلم فقال ان القبر الذي رايتموني اناجي فيه قبر
امنة بنت وهب واني استاذنت ربي في زيارتها فاذن لي واستاذنت ربي في الاستغفار
لها فلم ياذن لي فيه ونزل علي ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين

حتى ختم

حتى ختم الآية والتي بعدها فاخذني ما ياخذ الولد للوالدة من الرقة فذلك الذي ابكاني
وروي عن ابن عباس رضه انه قال قال رسول الله صلى الله تع عليه وسلم يوما ليت شعري
ما فعل ابواي فانزل الله تع ولا تسأل عن اصحاب الجحيم فلم يذكرهما حتى توفاه الله تع
ثم قال وانما امر بتبشير المؤمنين وانذار الكافرين كان يذكر عقوبات الكفار فقام رجل
وقال يا رسول الله صلى الله تع عليه وسلم اين والدي فقال في النار فحزن الرجل فقال عليه
الصلوة والسلام ان والدك ووالدي ووالد ابراهيم في النار فنزل قوله تع ولا تسأل
عن اصحاب الجحيم فلم يسألوه شيئا بعد ذلك وروي عن انس رضه قال ان رجلا قال
يا رسول الله صلى الله عليه وسلم اين ابي قال في النار فلما ولى دعاه وقال ان ابي واباك
في النار وابو طالب عمه مات كافرا هذا رد على من قال بان ابا طالب مات على الايمان
روي سعيد بن المسيب عن ابيه انه قال لما حضرت ابا طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله
عليه وسلم فوجد عنده ابا جهل وعبد الله بن ابي امية بن المغيرة فقال رسول الله
عليه الصلوة والسلام يا عم قل لا اله الا الله كلمة اشهد لك بها عند الله فقال ابو جهل
وعبد الله ابن ابي امية يا ابا طالب اترغب عن ملة عبد المطلب فلم يزل رسول الله
صلى الله تع عليه وسلم يعرضها عليه ويعيدان له تلك المقالة حتى قال ابو طالب اخر
ما كلمهم هو انا على ملة عبد المطلب وابى ان يقول لا اله الا الله فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم والله لاستغفرن لك ما لم انه عنك فانزل الله تع عز وجل ما
كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين لهم
انهم اصحاب الجحيم ونزل الله في ابي طالب فقال لرسول الله صلى الله تع عليه وسلم
انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء وقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان اهون اهل النار عذابا ابو طالب وهو منتعل بنعلين يغلي منهما دماغه
قال شمس الائمة محمد السرخسي رحمه في شرح الجامع الصغير والعنكسية الحكي من بني ادم
بيانه في حديث ادم عم حين غسلته الملائكة قالوا لولده هذه سنة موتاكم يا بني ادم

فعرفنا ان الكافر يغسل كما يغسل المسلم لانه من بني ادم الاصل فيه حديث علي رضي الله
عنه لما مات ابوه ابو طالب قال لرسول الله صلى الله تع عليه وسلم ان عمك الضال قد مات
فما ذا تامرني به فقال اذهب واغسله وكفنه وواره ولا تحدثن حدثا حتى تلقاني
وفي الهداية قال وان مات الكافر وله ولي مسلم يغسله ويكفنه ويدفنه بذلك امر
علي رضي الله في حق ابيه ابي طالب وفاطمة وطاهر وابرهيم كانوا بني رسول الله صلى الله
عليه وسلم وفاطمة ورقية وزينب وام كلثوم كن جميعا بنات رسول الله صلى الله
عليه وسلم هذا رد على من روى من اولاد رسول الله عليه الصلوة والسلام اكثر او اقل من
المذكورين في هذه الرواية وهي صحيحة الروايات واذا اشكل على الانسان شيء من دقائق
علم التوحيد فانه ينبغي له ان يعتقد في الحال ما هو الصواب عند الله تع الى ان يجد
عالما فيسئله ولا يسعه تاخير الطلب ولا يعذر بالوقف فيه ويكفر ان وقف بخلاف ما اذا وقع
علم التوحيد كل شيء يكون الشك والشبهة فيه منافيا للتوحيد سواء كان ذلك الشيء
في ذات الله تع او صفاته فمن يعلم علم التوحيد مفصلا يعلم كل شيء مناف للتوحيد
قال بعض العلماء ان علم التوحيد ومعرفة الصفات مباين لسائر العلوم فالاختلاف في علم الاحكام
رحمة والاختلاف في علم التوحيد ضلال او بدعة والخطاء في علم الاحكام مغفور بل كان حسنة
اذا اجتهد والخطاء في التوحيد وشهادة البقية كفر من قبل ان العالم لم يكلف حقيقة العلم عند الله
تع في طلب علم الاحكام وعليهم موافقة الحقيقة عند الله تع في علم التوحيد قال عمر بن الخطاب
رض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سئلت ربي فيما يختلف فيه اصحابي من بعدي
فاوحى الله تع الي ان يا محمد ان اصحابك عندي بمنزلة النجوم بعضها اضوء من بعض
فمن اخذ بشيء مما هم عليه من اختلافهم فهو عندي على الهدى وقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اختلاف امتي رحمة فمن اجتهد فاصاب فله اجران ومن اخطا فله اجر واحد
هذا في علم الاحكام علم التوحيد والصفات فانما كلف العبد في علم التوحيد والصفات

بان يكون

بان يكون اعتقاده موافقا لما هو الصواب عند الله تع ولم يكلف بذلك في علم الاحكام لان
العبد لا يثاب في العقايد الا بكون اعتقاده صحيحا ولا يكون اعتقاده صحيحا الا بكونه موافقا
لما هو الصواب عند الله ويثاب في الاعمال بصحة عزيمة عليها وان لم يكن اعتقاده فيها موافقا
لما هو الصواب عند الله تع وذلك لان الثواب والعقاب انما يكون بحسب القلب فلذلك
قال الله تع لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم فاذا لم يكن اعتقاد
العبد صحيحا لا يوجد في قلبه كسب بخلاف ذلك في الاعمال فانه يوجد فيه كسب بصحة عزيمة عليها
وان لم يكن اعتقاده فيها صحيحا فلذلك اذا كانت عزيمة العبد على العمل صحيحة لا يضره
فساد عمله وكذلك اختلافه الا ترى ان الشافعي يثاب بوضوئه فلا يضره اعتقاده ان خروج
النجاسة من غير السبيلين لا ينقض وضوءه ويثاب بوضوئه الذي كان مع خروج النجاسة من
غير السبيلين ويثاب بصلاته التي صلى بها بصحة عزيمة عليها ويثاب الحنفي بوضوئه فلا يضره اعتقاده
ان مس المرأة لا ينقض وضوءه ويثاب بوضوئه الذي كان مع مس المرأة ويثاب بصلاته
التي صلى بها بصحة عزيمة عليهما قال فخر الاسلام علي البزدوي رحمه الله في اصول الفقه ومن
هذا الباب قول النبي صلى الله تع عليه وسلم انما الاعمال بالنيات ورفع عن امتي الخطاء والنسيان
سقطت حقيقته لان المحل لا يحتمله من قبل ان عين الخطاء غير مرفوع بل هو متصور فسقطت
حقيقته وصار ذكر الخطاء والعمل مجازا عن موجبه وموجبه نوعان مختلفان احدهما الثواب
في الاعمال التي تفتقر الى النية والمأثم في المحرمات والثاني الحكم المشروع فيه من الجواز والفساد
وغير ذلك وهذان معنيان مختلفان الا ترى ان الجواز والصحة يتعلق بركنه وشرطه والثواب
والمأثم يتعلق بصحة عزيمته فان من توضأ بماء نجس ولم يعلم حتى صلى ومضى
على ذلك ولم يكن مقصرا لم يجز في الحكم لفقد شرطه واستحق الثواب بصحة عزيمته واذا صار
مختلفين صار الاسم بعد صيرورته مجازا مشتركا فسقط العمل به حتى يقوم الدليل على احد
الوجهين فيصير مأولا وكذلك حكم المأثم على هذا وخبر المعراج حق ومن رده فهو مبتدع
ضال وفي كتاب الخلاصة ومن انكر المعراج ينظر ان انكر الاسرار من مكة الى بيت المقدس

فهو كافر ولو انكر المعراج من بيت المقدس لا يكفر فانما كان من انكر الاسراء من مكة الى بيت المقدس
كافرا ومن انكر المعراج من بيت المقدس مبتدعا لان الاسراء من مكة الى بيت المقدس ثبت بدليل
قاطع من الكتاب والمعراج من بيت المقدس لم يثبت بدليل قاطع من الكتاب والسنة قال الله
تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله لنريه
من اياتنا انه هو السميع البصير وروي عن عائشة رضي الله عنها انها قالت لما اسري بالنبي صلى الله
عليه وسلم الى المسجد الاقصى اصبح يحدث بذلك الناس فارتد ناس ممن كان امن وصدق به
وفتنوا بذلك عن دينهم وسعى رجال من المشركين الى ابي بكر فقالوا هل لك في صاحبك يزعم
انه اسري به الى بيت المقدس فقال او قال ذلك قالوا نعم قال لئن كان قال ذلك لقد صدق
قالوا تصدقه انه ذهب الى الشام في ليلة واحدة وجاء قبل ان يصبح قال نعم اني لاصدقه
فيما هو ابعد من ذلك اصدقه بخبر السماء في غدوة او روحة قالت فلذلك سمي ابو بكر الصديق
وقال مقاتل في تفسير قوله تعالى اسرى بعبده ليلا كان ذلك الليل قبل الهجرة بسنة قال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم بينا انا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان
اذ اتاني جبرائيل بالبراق وروى ثابت عن انس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
قال اوتيت بالبراق وهي دابة ابيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند
منتهى طرفه فركبته حتى اتيت بيت المقدس وربطته بالحلقة التي تربط بها الانبياء قال ثم
دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني جبرائيل باناء من خمر واناء من لبن
فاخترت اللبن فقال جبرائيل اخترت الفطرة ثم عرج بنا الى السماء الحديث وخروج
الدجال ويأجوج ومأجوج وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى عليه السلام من السماء
وسائر علامات يوم القيمة على ما وردت به الاخبار الصحيحة حق كائن والله يهدي
من يشاء الى صراط مستقيم قال حذيفة بن اسيد الغفاري اطلع النبي صلى الله عليه وسلم
علينا ونحن نتذاكر فقال ما تذكرون قالوا نذكر الساعة قال انها لن تقوم حتى تروا قبلها

عشر ايات فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى
بن مريم ويأجوج ومأجوج وثلثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف
بجزيرة العرب واخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس الى محشرهم وروي نار تخرج
من قعر عدن تسوق الناس الى المحشر وفي رواية في العاشرة وريح تلقي الناس في البحر
قوله والله يهدي من يشاء كانه قال فما علينا الا البلاغ المبين والله يهدي من يشاء
الى صراط مستقيم فقد تم مختصر الحكمة النبوية بعون الله
احسن الخالقين والحمد لله والصلوة على
رسوله اكرم محمد وعلى آله
اجمعين

شرح فقه الاكبر للشيخ الامام فخر الاسلام علي البزدوي رحمه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي هدانا الى طريق السنة والجماعة بفضله العظيم والصلوة والسلام
على رسوله وحبيبه محمد الذي كان على خلق عظيم وعلى آله واصحابه الداعين الى
صراط مستقيم اما بعد فيقول العبد الضعيف المذنب ابو المنتهى عصمه الله الكريم
عن الخطايا والمعاصي ومن الاعتقاد الفاسد العقيم ان كتاب الفقه
الاكبر الذي صنفه الامام الاعظم كتاب صحيح مقبول قال الشيخ الامام فخر الاسلام
علي البزدوي في اصول الفقه العلم نوعان علم التوحيد والصفات وعلم الفقه
وعلم الشرائع والاحكام والاصل في النوع الاول هو التمسك بالكتاب والسنة
ومجانبة الهوى والبدعة ولزوم طريق السنة والجماعة الذي كان عليه الصحابة
والتابعون ومضى عليه الصالحون وهو الذي عليه ادركنا وعليه مشايخنا
وكان على ذلك سلفنا اعني ابا حنيفة وابا يوسف ومحمدا وعامة اصحابهم وقد
صنف ابو حنيفة رحمه في ذلك الفقه الاكبر وذكر فيه اثبات الصفات واثبات تقدير
الخير والشر من الله عز وجل وان ذلك كله بمشية الله تعالى الى هنا فاردت
ان اجمع كلمات من الكتاب والسنة ومن الكتب المعتبرة حتى تكون شرحا لهذا الكتاب
الشريف اللطيف قال الامام الاعظم ابو حنيفة رحمة الله عليه اصل التوحيد
اي هذا الكتاب في بيان حقيقة التوحيد وهو في اللغة الحكم بان الشيء واحد
والعلم بانه واحد وفي الاصطلاح التوحيد هو تجريد الذات الالهية عن كل ما

يتصور في الافهام ويتخيل في الاوهام والاذهان ومعنى كون الله تعالى
واحدا نفي الانقسام في ذاته تعالى ونفي التشبيه والتشريك في ذاته وصفاته والاعتقاد
في قوله وما يصح الاعتقاد عليه يعم العلم وهو حكم جازم لا يقبل التشكيك و
الاعتقاد المشهور وهو حكم جازم يقبل التشكيك وعند البعض يعم الظن ايضا
فان الظن الغالب الذي لا يخطر معه احتمال النقيض معتبر في الايمان فان ايمان اكثر
العوام كذلك يجب ان يقول بناء الغيبة اي يفترض على المعتقد ان يقول امنت
بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والقدر خيره وشره من الله
تعالى قال ان يقول ولم يقل ان يؤمن ليدل على ان الاقرار ركن في الايمان لان
اصل الايمان الاقرار والتصديق بالاشياء الستة المذكورة لقول النبي صلى الله
عليه وسلم الايمان ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر وتؤمن
بالقدر خيره وشره والملائكة عند اكثر المسلمين اجسام لطيفة قادرة على التشكل
باشكال مختلفة منقسمة الى قسمين قسم شانهم الاستغراق في معرفة الحق
والتنزه وهم العليون والملائكة المقربون وقسم يدبر الامر من السماء
الى الارض على ما سبق القضاء وجرى القلم الالهي فمنهم سماوية ومنهم ارضية
والايمان بالكتب هو التصديق الجازم بوجودها وبانها كلام الله تعالى وجميع الكتب
المنزلة على الرسل مائة واربعة كتب انزل على ادم عليه السلام منها عشر صحائف
وعلى شيث عليه الصلوة والسلام خمسون صحيفة وعلى ادريس عليه السلام ثلاثون
صحيفة وعلى ابراهيم عليه السلام عشر صحائف والتورية على موسى عليه السلام
والانجيل على عيسى عليه السلام والزبور على داود عليه السلام والفرقان على محمد صلى الله

عليه وسلم والرسول من له شريعة وكتاب فيكون اخص من النبي عليه الصلوة والسلام وعند
بعض العلماء وهو مرادف للنبي صلى الله عليه وسلم والايمان لازم لكل نبي سواء انزل
عليه كتاب او لم ينزل والبعث هو ان يبعث الله تعالى الموتى من القبور بان يجمع اجزاءهم
الاصلية ويعيد الارواح اليها والقدر مصدر بمعنى المقدور والمقدور بمعنى المقدر
خبر مجهول بدل من القدر بدل البعض من الكل وشره معطوف عليه روي ان
ابا بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما تناظرا في مسئلة القدر ان ابا بكر كان
يقول الحسنات من الله والسيئات من انفسنا وكان عمر يضيف الكل الى الله عز وجل
فذكرا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبي عليه الصلوة ان اول من تكلم
بالقدر من جميع الخلق كلهم جبرائيل وميكائيل عليهما السلام فكان جبرائيل عليه السلام
يقول مثل مقالتك يا عمر رضي الله عنه وكان ميكائيل عليه السلام يقول مثل مقالتك
يا ابا بكر رضي الله عنه فتحاكما الى اسرافيل عليه السلام فقضى بينهما لان المقدرة كله خيره
وشره من الله تعالى ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم وهذا قضائي بينكما ثم قال
النبي صلى الله عليه وسلم يا ابا بكر لو اراد الله تعالى ان لا يعصى ما خلق ابليس عليه اللعنة
والحساب والميزان والجنة والنار حق كله الميزان عبارة عما يعرف به مقادير
الاعمال والعقل قاصر عن ادراك كيفيته والله تعالى واحد لا من طريق العدد
ولكن من طريق انه لا شريك له قد يقال واحد ويراد به نصف الاثنين وهو ما
يفتح به العدد وهذا معنى الواحد من طريق العدد وقد يقال واحد ويراد به ان لا
شريك له ولا نظير له ولا مثل له بحسب ذاته وصفاته او جميع ذلك فالله تعالى واحد
على معنى انه لا شريك له ولا نظير له ولا مثل له في ذاته وصفاته لم يلد ولم يولد
هذا رد قول النصارى واليهود في ولدية المسيح وعزير وقول الفلاسفة في تولد

عقل

عقل عن واجب الوجود فان توهمهم في ذلك باطل لان الله تعالى هو الصمد يعني
السيد الغني عن كل شيء الذي يفتقر اليه كل شيء سواه ولم يكن له كفوا احد
اي ولم يكن شيء من الموجودات يماثله وهو ليس بجسم فيقدر ويتصور وينقسم
ولا بجوهر فيحله الاعراض ولا بعرض فيحل الجوهر لا يشبه شيئا من الاشياء
من خلقه اي لا يشبه الله تعالى شيئا من المخلوقات والمخلوقات كلها له ولا يشبهه
شيء من خلقه اي ولا يشبهه شيء من مخلوقاته لا في الوجود لان وجوده
واجب لذاته ووجود ما سواه ممكن ولا في العلم ولا في القدرة ولا في ساير الصفات وهو
ظاهر اعلم ان الله تعالى واحد لا شريك له قديم لا اول له ودايم لا اخر له لم يزل
ولا يزال باسمائه وصفاته الذاتية والفعلية اي لم يحدث له اسم من اسمائه ولا
صفة من صفاته والفرق بين صفات الذات وصفات الفعل ان كل صفة يوصف
الله تعالى بضدها فهي من صفات الفعل وان كان لا يوصف بضدها فهي صفات
الذات وفي الفتوى الظهيرية اذا حلف على صفة الله تعالى ينظر الى تلك الصفة
ان كانت من صفات الذات يكون يمينا وان كانت من صفات الفعل لا يكون يمينا
فاذا قال وعزة الله تعالى يكون يمينا لان الله تعالى لا يوصف بضدها واذا قال
وعلم الله يكون يمينا لان الله تعالى لا يوصف بضدها ولو قال وغضب الله وسخط
الله تعالى لا يكون يمينا لان الله تعالى يوصف بضده وهو الرحمة اما صفات الذاتية
فالحيوة فان الله تعالى حي بحياته التي هي صفة ازلية والقدرة فانه تعالى قادر على كل
شيء بقدرته التي هي صفة ازلية والعلم فانه تعالى عالم بجميع الموجودات ويعلم الجهر
وما يخفى بعلمه الذي هو صفة ازلية والكلام فانه تعالى متكلم بكلامه الذي هو صفة
ازلية وكلام الله تعالى لا يشبه كلام الخلق لانهم يتكلمون بالالات والحروف والله

تعالى يتكلم بلا آلة ولا حروف والسمع فانه تعالى سميع بالاصوات والكلمات بسمعه القديم
الذي هو له صفة في الازل والبصر فانه تعالى بصير بالاشكال والالوان ببصره القديم
الذي هو له صفة في الازل والارادة فانه تعالى مريد بارادته القديمة ما كان ويكون حيا
ولا يكون في الدنيا ولا في الاخرة شيء صغيرا وكبيرا قليلا او كثيرا خيرا او شرا نفع او ضر فوزا او
خسر زيادة او نقصان الا بارادته ومشيته فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن
وانه تعالى فعال لما يريد لا راد لارادته ومشيته ولا معقب لحكمه ومن صفاته الذاتية
الاحدية والصمدية والعظمة والكبرياء وغيرها واما صفاته الفعلية والتخليق والترزيق
والانشاء والابداع والصنع وغير ذلك من صفات الفعل كالاحياء والاماتة والانبات
والانماء والتصوير وغيرها التخليق والانشاء والصنع بمعنى واحد وهو احداث الشيء
بعد ان لم يكن سواء كان على مثال سابق اولا والابداع احداث الشيء بعد ان لم يكن
كان لا على مثال سابق والترزيق احداث رزق الشيء وتمكينه وانتفاعه به لم يزل ولا
يزال بصفاته واسمائه يعني ان الله تعالى مع صفاته واسمائه كلها ازلي لا بداية له و
ابدي لا نهاية له لم يحدث له صفة ولا اسم لانه لو حدث له تعالى صفة من صفاته او زالت عنه
لكان قبل حدوث تلك الصفة وبعد زوالها ناقصا وهو محال فثبت انه لم يحدث له صفة
ولا اسم لان من كان له علم في الازل كان عالما في الازل لم يزل عالما بعلمه والعلم
صفة في الازل اي في القدم وقادرا بقدرته والقدرة صفة له في الازل وخالقا
بتخليقه والتخليق صفة له في الازل وفاعلا بفعله والفعل صفة في الازل الفعل بالفتح
مصدر وبالكسر اسم وهو هنا بالفتح بمعنى التكوين والتخليق والايجاد وقول الامام الاعظم
رحمه الله تعالى لم يزل عالما بعلمه الى اخره يرد قول المعتزلة فانهم قالوا صفات الله عين
ذاته وهو عالم قادر بمجرد الذات لا بالعلم والقدرة ويكفي لنا دليلا قول الامام الاعظم وسائر
ائمة المذهب والذين من اهل السنة والجماعة ونقول كما قال هؤلاء الائمة صفات الله ليست

عين ذاته

عين ذاته ولا غير ذاته ولا يجب علينا الاستقصاء في مثل هذه المسألة والفاعل
هو الله تعالى والفعل صفة في الازل والمفعول مخلوق وفعل الله تعالى غير مخلوق يعني
ان الله تعالى اذا فعل شيئا يفعله بفعله الذي هو له صفة ازلية لا بفعل حادث لان
الحادث هو اثر فعله لا فعله بخلاف المفعول فانه محل لوقوع اثر الفعل وهو مخلوق
بالاتفاق بلا خلاف وصفاته مبتداء في الازل حين باي صفاته الذاتية والفعلية
ثابتة في الازل غير محدثة خبر بعد خبر ولا مخلوقة عطف تفسير ومن قال
انها اي صفاته ذاتية كانت او فعلية مخلوقة او محدثة او وقف وهو ان لا يحكم
بوجود الصفات ولا بعدمها اما لعناد او شك فيها اي في وجود صفاته
او ازليتها والشك في اللغة خلاف اليقين واليقين العلم وزوال الشك
وانما قال الامام الاعظم فهو كافر بالله تعالى لان الايمان هو التصديق بمعنى اذعان
القلب وقبوله لوجود الباري ووحدانيته وسائر صفاته فان صفاته من جملة
المؤمن به فمن لم يؤمن بها يكون جاهلا بالله تعالى وصفاته وكافرا به وبانبيائه
والقران كلام الله تعالى فهو في اللغة مصدر بمعنى الجمع والضم يقال قرأ الشيء قرانا
اي جمعه جمعا وبمعنى القراءة يقال قرأت الكتاب قراءة وقرانا فالقران ما يجمع السور
ويضمها ولهذا سمي قرانا فيكون بمعنى اسم الفاعل ويجوز ان يكون القران بمعنى المقروء
ولانه يقرء ويتلى فيكون المصدر اسم المفعول والمراد ههنا كلام الله تعالى الذي
هو صفة له المنظوم الوحي وقيل هو النظم والمعنى جميعا في المصاحف مكتوب جمع مصحف
بضم الميم يعني ان كلام الله تعالى الذي هو صفة له تعالى مكتوب في المصاحف بواسطة
الحروف وفي القلوب محفوظ اي بالالفاظ المخيلة وعلى الالسن مقروء اي بحروفه

الملفوظة المسموعة وعلى النبي صلى الله عليه وسلم منزل اي بحروفه الملفوظة المسموعة
بواسطة الملك ولفظنا ان تلفظنا بالقران مخلوق وكتابتنا له مخلوق وقرائتنا
له مخلوق لان ذلك كله من افعالنا وافعالنا كلها مخلوقة بتخليق الله تعالى والقران
كلام الله تعالى غير مخلوق والمداد والكاغذ والكتابة كلها مخلوقة لانها افعال
العباد وكلام الله تعالى غير مخلوق لان الكتابة والحروف والكلمات والايات كلها آلة القراءة
لحاجة العباد اليها وكلام الله تعالى قايم بذاته ومعناه مفهوم بهذه الاشياء
فمن قال بان كلام الله تعالى مخلوق فهو كافر بالله العظيم ومن قال القران مخلوق و
اراد به الكلام اللفظي القايم بذات الله تعالى كما هو مذهب الكرامية يكون كافرا
لانه نفى الصفة الازلية وجعل الباري تعالى محلا للحوادث ومحل الحوادث حادث ومن
قال القران مخلوق واراد به نفي الكلام الازلي يكون كافرا وهو مذهب المعتزلة ومن
قال القران مخلوق واراد به الكلام اللفظي الغير القايم بذات الله ولم يرد نفي الكلام
الازلي لا يكون كافرا لكن هذا الاطلاق خطاء لانه يوهم الكفر وما ذكره الله تعالى
في القران عن موسى وغيره من الانبياء عليهم السلام وعن فرعون وعن
ابليس فان ذلك كله كلام الله تعالى اخبارا عنهم وكلام الله تعالى غير مخلوق
وكلام موسى وغيره من المخلوقين مخلوق والقران كلام الله تعالى لا كلامهم
يعني ان ما ذكره الله تعالى في القران اخبارا عن موسى وعيسى وغيرهما من الانبياء
عليهم الصلوة والسلام وعن فرعون وابليس عليهم اللعنة فانما قال ذلك
بكلامه القديم الذي كتب الكلمات الدالة عليه في اللوح المحفوظ قبل خلق السموات
والارض لا بكلام حادث وعلم حادث حاصل بعد سمعه منهم والاخبار نقل
بالمعنى لا باللفظ لان كلام موسى عليه السلام وغيره من المخلوقين مخلوق وكلام الله تعالى
غير مخلوق ويؤيده ان قدر ثلاث ايات من القران بالغ حد الاعجاز وليس ذلك

من البشر من المعلوم ان ما نقل من المخلوقين في القران يزيد على قدر ثلاث ايات
فيكون القران كلام الله لا كلامهم فاذا لا فرق بين القصص المذكورة في القران
وبين اية الكرسي وسورة الاخلاص في كون كل واحد منها كلام الله تعالى وسمع
موسى عليه السلام كلام الله تعالى يعني وسمع موسى من الله تعالى بلا واسطة كلامه القديم
القايم بذاته تعالى كما جاء في قوله تعالى وكلم الله موسى تكليما لان الله تعالى
قادر ان يكلم المخلوق من الجهات والجهة الواحدة بلا آلة ويسمعه بلا حروف والصوت
لاحتياج اليها في فهم كلامه الازلي فانه على ذلك قدير لانه على كل شيء قدير
فلما كان موسى عليه السلام اذا كلمه الله تعالى يسمع كلامه من باطن الغمام الذي كان
كالعمود وقد يغشاه الغمام بالفتح يعني السحاب قال الامام فخر الرازي رحمه الله في تفسير
قوله تعالى فلما اتيها نودي من شاطئ الواد الايمن في البقعة المباركة
من الشجرة ان يا موسى اني انا الله رب العالمين اعلم ان شاطئ الوادي
جانبه وجاء النداء عن يمين موسى من شاطئ الوادي من الشجرة وقوله تعالى
من الشجرة بدل من قوله من شاطئ الوادي بدل الاشتمال لان الشجرة كانت نابتة على
شاطئ الوادي وقد كان الله تعالى متكلما ولم يكن كلم موسى عليه السلام
بان قال في الازل بلا صوت ولا حرف لموسى عليه السلام يا موسى اني انا ربك فاخلع
نعليك ولمحمد صلى الله عليه وسلم فلما اتيها نودي يا موسى اني انا ربك فاخلع
نعليك والله تعالى عالم في الازل انه ينزل القران على محمد صلى الله عليه وسلم
ويخبره بقصص الانبياء وغيرهم وباحوالهم وبينهم وهذا بين الامام الاعظم
الامر في صفة الكلام من انه لا يتوقف على حصول المخاطب اراد ان ابين الامر
في سائر الصفات كذلك دفعا لتوهم اختصاص هذا الحكم بصفة الكلام فقال وقد كان الله

تعالى خالقا في الازل ولم يخلق الخلق واكتفى بالصفة الفعلية ولم يذكر
من الصفات الذاتية لان توقف الصفة الفعلية على وجود المتعلق اظهر
من الصفة الذاتية فيعلم منها حال الصفة الذاتية بطريق الاولى واختار
من الصفات الفعلية التخليق لانه اعم لوجوده في ضمن كل صفة ولما دفع
الوهم عاد الى تحقيق ما هو بصدده فقال فلما كلم الله موسى كلمه بكلامه
الذي هو له صفة في الازل لان كلامه ازلي ابدي لا يتغير ولا يتبدل ولا
يشبه صفاته تعالى صفات الخلق كما لا يشبه ذاته ذوات الخلق قال الامام الاعظم
صفاته كلها ذاتية كانت او فعلية بخلاف صفات المخلوقين وذلك لانه
تعالى يعلم لا كعلمنا لان علمنا حادث ولا يخلو عن معارضة الوهم وعلمه قديم جل
ان يكون ضروريا او كسبيا او تصوريا او تصديقيا ويقدر لا كقدرتنا لان قدرته
قديمة ومؤثرة بالايجاد وقدرتنا حادثة غير مؤثرة ونحن لا نقدر الا على بعض
الاشياء بالالات والاسباب والانصار والله تعالى يقدر بقدرته القديمة على
جميع الاشياء لا بالة ولا بمشاركة غيره ويرى لا كرؤيتنا لانا نرى الاشكال
ويبصره الذي هو صفة في الازل لا بالة ولا بشرط من زمان ومكان وجهة ومقابلة
ويتكلم لا ككلامنا لانا نتكلم بالالات والشروط وهو يتكلم بلا الة ولا بشرط
ويسمع لا كسمعنا لانا نسمع بالالات والشروط والله تع يسمع الاصوات والكلمات
كلها بسمعه القديم لا بالة من اذن وصماخ ولا بشرط من زمان ومكان وجهة وقرب
نحن نتكلم بالالات والحروف والله تعالى يتكلم بلا الة ولا حروف والحروف مخلوقة
لان المؤلف من المخلوق مخلوق وكلام الله تع غير مخلوق لان كلامه تعالى قديم قائم
بذات الله تعالى لا يقبل الانفصال والافتراق بالانتقال الى القلوب والاذهان وهو شيء
لقوله تعالى قل اي شيء اكبر شهادة الاية لا كالاشياء لقوله تعالى ليس كمثله شيء

ومعنى

ومعنى الشيء الثابت ومعنى الثابت الموجود وفي اكثر النسخ اثباته اي اثبات ذلك
الشيء اي ان تثبت بلا جسم هذا بيان لقوله لا كالاشياء لان كل جسم ينقسم
وكل منقسم مركب وكل مركب محدث وكل محدث محتاج الى المحدث فكل جسم
ممكن يحتاج الى واجب الوجود ولا جوهر لان الجوهر يكون محلا للاعراض والحوادث
والله تعالى منزه عن ذلك ولا عرض لان العرض لا يقوم بذاته بل يفتقر الى محل
يقومه فيكون ممكنا ولا حد له لان الحد تعريف الماهية بذكر اجزائها وواجب
الوجود فرد لا جزء له فيمتنع ان يكون له حد والحد قد يكون بمعنى النهاية ولا
نهاية لله تعالى ولا ضد له اي لا نظير له ولا كفوا ولا ند له الند بالكسر المثل والنظير
ولا مثل له اي لا شريك في النوع لانه لا نوع له كما لا جنس له والمماثلة الاشتراك في النوع
فاذا قيل هما متماثلان كان معناه انهما متفقان في الماهية النوعية وله يد
ووجه ونفس كما ذكر الله تع في القران بقوله يد الله فوق ايديهم وبقوله تعالى ويبقى
وجه ربك وبقوله تعالى حكاية عن عيسى تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك
وفي بعض النسخ فما ذكر الله تعالى في القران من ذكر الوجه واليد والنفس فهو له
صفات بلا كيف اي اصلها معلوم مجهول لنا فلا يبطل الاصل المعلوم بسبب
التشابه والعجز عن درك الوصف روي عن احمد بن حنبل رضه ان الكيفية مجهولة
والبحث عنها بدعة ولا يقال ان يده قدرته او نعمته لان فيه اي في هذا القول
ابطال الصفة التي دل على ثبوتها القران وهو اي ابطال الصفة قول اهل القدر
والاعتزال عطف الخاص على العام لان اهل القدر هم المعتزلة والامامية من الشيعة
فكل المعتزلة قدرية وليست قدرية معتزلة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

لكل امة مجوس ومجوس هذه الامة الذين يقولون لا قدر من مات منهم فلا تشهدوا
جنازته ومن مرض منهم فلا تعودوهم وهم شيعة الدجال وحق على الله تعالى ان
يلحقهم بالدجال صدق رسول الله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الايمان بالقدر
يذهب الهم والحزن صدق حبيب الله ولكن يده صفة بلا كيف وكذا وجهه ونفسه
قال الشيخ الامام فخر الاسلام علي البزدوي في اصول الفقه وكذلك اثبات اليد والوجه
عندنا معلوم باصله متشابه بوصفه ولن يجوز ابطال الاصل بالعجز عن درك الوصف
وانما ضلت المعتزلة من هذا الوجه فانهم ردوا الاصول لجهلهم بالصفات وغضبه
ورضاه صفتان من صفاته تعالى بلا كيف اي بلا بيان الكيفية فان كيفيتهما مجهولة
لان غضبه ورضاه لا يشبه بغضبنا ورضانا فان الغضب منا غليان دم القلب والرضا
امتلاء الاختيار حتى يفضي الى الظاهر فهما من الكيفيات النفسانية كالفرح والسرور
والعشق والتعجب فانها كلها تابعة للمزاج المستلزم للتركيب المنافي للوجوب الذاتي
خلق الله تعالى الاشياء لا من شيء يعني خلق الله تعالى الموجودات كلها لا من مادة
وكان الله تعالى عالما في الازل بالاشياء قبل كونها اي قبل حدوث الاشياء وهو الذي
قدر الاشياء وقضاها تعليل لقوله السابق والواو الاول للحال فكانه قال وكيف لا
يكون عالما في الازل بالاشياء قبل وقوعها والحال انه تعالى هو الذي قدر الاشياء
وقضاها وتقدير الاشياء وقضاؤها لا يكون الا قبل وقوعها والقضاء والتقدير
لا يكون الا مع العلم قيل في معنى قدرنا كتبنا قال الزجاج معنى قدرنا دبرنا واصل القضاء
اتمام الشيء قولا كقوله تعالى وقضى ربك او فعلا كقوله تعالى فقضيهن سبع سموات
كذا في تفسير القاضي فلا يكون في الدنيا ولا في الاخرة شيء من الجواهر والاعراض
الا بمشيته وعلمه وقضائه وقدره وكتبه في اللوح المحفوظ قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم

وسلم اول ما خلق الله تعالى القلم فقال له اكتب فقال القلم ماذا اكتب يا رب
فقال الله تعالى اكتب ما هو كائن الى يوم القيمة ولكن كتبه بالوصف لا بالحكم يعني
كتب في اللوح المحفوظ كل شيء باوصافه من الحسن والقبح والطول والعرض والصغر
والكبر والقلة والكثرة والخفة والثقل والحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة
والطاعة والمعصية والارادة والقدرة والكسب وغير ذلك من الصفات و
الاحوال والاخلاق ولم يكتب فيه بشيء بمجرد الحكم بوقوعه بلا وصف ولا سبب
مثلا لم يكتب فيه ليكون زيد مؤمنا ليكون عمرو كافرا ولو كتب كذلك لكان زيد
مجبورا على الايمان وعمرو مجبورا على الكفر لانه حكم الله تعالى بوقوعه فهو يقع
البتة والله تعالى يحكم لا معقب لحكمه ولكن كتب فيه ان زيدا يكون مؤمنا باختياره
وقدرته ويريد الايمان ولا يريد الكفر وكتب فيه ان عمروا يكون كافرا باختياره
وقدرته ويريد الكفر لا يريد الايمان فالمراد من قول الامام الاعظم رحمه ولكن
كتبه بالوصف لا بالحكم هو نفي الحكم في افعال العباد وابطال مذهب الجبرية
والقضاء والقدرة والمشية صفاته في الازل بلا كيف اي بلا بيان كيفية يعني
ان اصل هذه الصفات ثابت بالكتاب والسنة واجماع الامة الا انها من المتشابهات
وما يعلم تاويلها الا الله فاوصافها مجهولة لا طريق للعقل ان يدركها
بالاجتهاد وكذلك كل صفة لله تعالى ازلا يشبه صفاته صفات الخلق كما لا يشبه
ذاته ذوات الخلق يعلم الله المعدوم في حال عدمه معدوما ويعلم انه كيف يكون
اذا اوجده ويعلم الله الموجود في حال وجوده موجودا ويعلم انه كيف يكون
فناؤه ويعلم الله القايم في حال قيامه قايما واذا قعد فقد علمه قاعدا في حال

تعوده من غير ان يتغير علمه او يحدث له علم ولكن التغير والاختلاف يحدث
عند المخلوقين يعني ان الله تعالى يعلم الاشياء بعلمه القديم الازلي لم يزل موصوفا به
في ازل الازال لا بعلم متجدد ولا يتغير علمه بتغير الاشياء واختلافها وحدوثها
وعلمه تعالى واحد والمعلومات متعددة خلق الله الخلق سليما اي خاليا من الكفر والايمان
الذين يكتسبهما في الدنيا ثم خاطبهم عند البلوغ مع العقل وامرهم بالايمان والطاعة
ونهيهم عن الكفر والعصيان فكفر من كفر بفعله الاختياري وانكاره وجحوده الحق
الجحود الانكار من العلم بكونه حقا بخذلان الله تعالى اياه يعني ذلك الانكار والجحود
بسبب خذلان الله تعالى من كفر في مختار الصحاح خذله يخذله بالضم خذلانا بكسر
الخاء ترك عونه ونصرته وامن من امن بفعله الاختياري فاقراره باللسان
وتصديقه بالجنان بتوفيق الله تعالى اياه ونصرته له التوفيق عبارة عن التاليف
والتلفيق بين ارادة العبد وبين قضاء الله تعالى وقدره وهذا يشتمل الخير والشر
وما هو سعادة وما هو شقاوة ولكن جرت العادة بتخصيص اسم التوفيق بما يوافق
السعادة من جملة قضاء الله تعالى وقدره كما ان الالحاد عبارة عن الميل فخصص
بمن يميل الى الباطل كذا في احياء العلوم اخرج ذرية ادم عليه السلام من صلبه
فجعلهم عقلاء فخاطبهم وامرهم بالايمان ونهيهم عن الكفر فاقروا له بالربوبية
وكان ذلك منهم ايمانا فهم يولدون على تلك الفطرة اي الايمان وانما سماه
الفطرة لانهم فطروا عليه والفطرة الخلقة اتفق عامة المفسرين وجمهور الصحابة
والتابعين على اخراج ذرية ادم عليه السلام من ظهره واخذ الميثاق عليهم في عصره و
منهم من يقول عرض ذلك الارواح دون الابدان فان قيل ما وجه الزام الحجة بقوله تعالى
الست بربكم قالوا بلى فهونا ان تقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين ونحن لا

يكتسبهما

نذكر

نذكر هذا الميثاق وان تفكرنا قلنا انسينا الله ذلك ابتلاء لان الدنيا دار غيب وعلينا
الايمان بالغيب ولو تذكرنا ذلك الميثاق لزال الابتلاء وما ينسى لا تزول به الحجة ولا
يثبت به العذر قال الله تعالى في اعمالنا احصيه الله تعالى ونسوه ولان الله تعالى
جدد هذا العهد وذكرنا هذا المنسي بارسال الرسل وانزال الكتب فلم يثبت العذر
كذا في التفسير التيسير ومن كفر بعد ذلك فقد بدل وغير اي بدل وغير ايمان الفطري
بالكفر الذي اكتسبه بواسطة بدنه باختياره بعد البلوغ ومن امن وصدق بعد خروجه الى
دار التكليف وصيرورته عاقلا فقد ثبت عليه اي على ايمان الفطري الذي حصل له
يوم الميثاق ودام على ذلك الايمان فان قيل هذا يناقض قوله اولا خلق الله الخلق سليما
من الكفر والايمان قلنا معناه خلق الله الخلق سليما من الايمان الكسبي متصفا
بالايمان الفطري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فابواه
يهودانه او ينصرانه ويمجسانه وهذا دليل على ان اطفال المسلمين واطفال الكافرين
مؤمنون بالايمان الفطري ولم يجبر احدا من خلقه على الكفر ولا على الايمان يعني
ان الله تعالى لا يخلق الكفر ولا الايمان في قلب العبد بطريق الجبر والاكراه بل يخلقهما
باختيار العبد ورضائه ومحبته الاترى ان الايمان محبوب للمؤمن والكفر مكروه و
مبغوض ومنفور له محبوب للكافر ولا خلقهم مؤمنا اي لا يخلق الله تعالى الخلق
مؤمنا بالايمان الكسبي ولا كافرا ولكن خلقهم اشخاصا والايمان والكفر فعل
العباد يعني ان الكفر والايمان والطاعة والعصيان من افعال العباد ويعلم الله تعالى
من يكفر في حال كونه كافرا فاذا امن بعد ذلك علمه مؤمنا في حال ايمانه واحبه من
غير ان يتغير علمه وصفته لان كل متغير حادث وكل حادث يحتاج الى محدث عالم
قادر حي مختار فلو كان علمه تعالى متغيرا لكان حادثا ولزم ان يكون الله محلا للحوادث

تعالى الله عن ذلك وجميع افعال العباد من الحركة والسكون كسبهم على الحقيقة والله
تعالى خالقها الكسب في اللغة طلب الرزق واصله الجمع وفي الاصطلاح تعلق ارادة العبد
وقدرته بفعله فحركته باعتبار نسبتها الى قدرته وارادته تسمى مكسوبا وباعتبار نسبتها
الى قدرة الله وارادته مخلوقا وكذا سكونه فحركته وسكونه خلق للرب ووصف للعبد و
كسب له وقدرة العبد وارادته خلق للرب ووصف للعبد وليس بكسب له والى هذا
اشير في شرح المقاصد وهي اي افعال العباد من الايمان والكفر والطاعة والمعصية كلها
بمشيئة اي بمشيئة الله تعالى وعلمه وقضائه وقدره قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
كل شيء بقدر حتى العجز والكيس اعلم ان مذهب المعتزلة ان الله تعالى يريد الايمان
والطاعة من العبد والعبد يريد الكفر والمعصية لنفسه فيقع مراد العبد ولا يقع
مراد الله تعالى فيكون ارادة العبد غالبة وارادة الله مغلوبة واما عندنا فكل
ما اراده الله تعالى فهو واقع فهو الله تعالى يريد الكفر من الكافر ويريد الايمان من
المؤمن وعلى هذا ارادة الله غالبة وارادة العبد مغلوبة والطاعة كلها ما كانت واجبة
بامر الله تعالى اي العبادات التي كانت واجبة على العباد وهي كلها بامر الله وبمحبته
وبرضائه وعلمه ومشيئته وقضائه وتقديره والمعاصي كلها بعلمه وقضائه
وتقديره ومشيئته لا بمحبته ولا برضائه ولا بامره قال الله تعالى والله لا يحب
الفساد قال الله تعالى ولا يرضى لعباده الكفر وقال قال ان الله لا يأمر
بالفحشاء اي القبيح من الكفر والمعاصي وقال المصنف رحمه في الكتاب الوصية
نقر بان الاعمال ثلثة فريضة وفضيلة ومعصية فالفريضة بامر الله تعالى
ومشيئته ومحبته ورضائه وقضائه وقدره وتخليقه وحكمه وعلمه وتوفيقه وكتابته
في اللوح المحفوظ والفضيلة ليست بامر الله تعالى ولكن بمشيئته ومحبته ورضائه
وقدره وحكمه وعلمه وتوفيقه وتخليقه وكتابته في اللوح المحفوظ والمعصية

بجمر

ليست بامر الله تعالى ولكن بمشيئته لا بمحبته وبقضائه لا برضائه وبتقديره وتخليقه
لا بتوفيقه بل بخذلانه لا بعونه وعلمه وكتابته في اللوح المحفوظ اعلم ان المعاصي نوعان المعاصي
كبائر وصغائر اما الكبائر فهو تسع قال صفوان بن عسال قال يهودي لصاحبه
اذهب بنا الى هذا النبي فقال له صاحبه لا تقل نبي انه لو سمعك كان له اربع اعين
فاتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسئلاه عن تسع ايات بينات فقال لهما
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا
تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تمشوا ببرئ الى ذي سلطان ليقتله
ولا تسحروا ولا تاكلوا الربوا ولا تقذفوا المحصنة ولا تولوا الفرار يوم الزحف
وعليكم خاصة اليهود ان تعتدوا في السبت قال راوي فقبلا يديه ورجليه وقالا
نشهد انك نبي قال فما يمنعكم ان تتبعوني قالا ان داود دعا ربه ان لا يزال
من ذريته نبي وانا نخاف ان تبعناك ان يقتلنا اليهود والانبياء عليهم
السلام كلهم منزهون عن الصغائر والكبائر والكفر والقبائح يعني قبل النبوة
وبعدها وقد كانت منهم زلات وخطايا امثال الزلات اكل ادم من الشجرة وامثال
الخطاء قتل موسى عليه السلام رجلا من قوم فرعون فانه لم يقصد قتله اصلا بل قصد
ضربه بيده ليدفع الاسرائيلي فوقع الضرب قصدا والقتل خطاء والقتل ذلة
ايضا لان كل خطاء ذلة وليس كل ذلة خطاء فبينهما عموم وخصوص مطلقا لان
الذلة قد تكون بالخطاء وقد تكون بالنسيان وقد تكون بالسهو وقد تكون بترك
الاولى والافضل قال الامام عمر النسفي في التفسير ائمة سمرقندي لا يطلقون اسم الذلة
على افعال الانبياء لانها نوع ذنب ويقولون فعلوا الفاضل وتركوا الافضل فعوتبوا
عليه لان ترك الافضل منهم بمنزلة ترك الواجب من الغير قد ذلة الانبياء والاولياء
سبب القربة الى الله تعالى قال ابو سليمان الداراني رحمه ما عمل داود عملا انفع له من الخطيئة

مازال يهرب منها اليه حتى وصل اليه فالخطيئة سبب الفرار الى الله تعالى من نفسه
ودنياه ومحمد صلى الله تعالى عليه وسلم حبيبه اي حبيب قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم نحن الاخرون ونحن السابقون يوم القيمة واني قائل قولا غير فخر ابرهيم
خليل الله وموسى صفي الله وانا حبيب الله ومعي لواء الحمد يوم القيمة ثم اشار الامام
الاعظم رحمه الله بقوله وعبده الى فائدة بين اجني تشريف محمد صلى الله عليه وسلم وحفظا
لامته عن قول النصارى قال ابو القاسم سليمان الانصاري لما وصل محمد صلى الله
عليه وسلم الى الدرجات العالية والمراتب الرفيعة في المعراج اوحى الله تعالى اليه فقال يا
محمد صلى الله عليه وسلم بم اشرفك قال يا رب بنسبتني الى نفسك بالعبودية
فانزل فيه قوله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا قال صلى الله تعالى عليه وسلم
لا تطروني كما اطري عيسى بن مريم عليه السلام وقولوا عبد الله ورسوله
كذا في المشارق اي لا تجاوزوا عن الحد في مدحي كما بالغ النصارى في مدح عيسى عليه السلام
حتى كفروا فقالوا انه ابن الله وقولوا في حقي انه عبد الله ورسوله حتى لا تكونوا
امثالهم ورسوله ونبيه لقوله تعالى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله
تعالى يا ايها النبي اتق الله والنبي اعم من الرسول عليه الصلوة والسلام
ويدل عليه انه النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن الانبياء صلوات الله و
سلامه وعلى نبينا فقال مائة الف واربعة وعشرون الفا قيل فكم الرسول
منهم قال ثلثمائة وثلثة عشر جما غفيرا وصفيه اي مصطفاه ومختاره
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى كنانة من ولد اسمعيل
واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم
كذا في المصابيح ونقيه اي منتقاه تعالى مثل مصطفاه لفظا لان الله تعالى
نقى وطهر قلبه صلى الله عليه وسلم في زمن صباوته عن المادة التي تمنعه

من المزني قال انس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اتاه جبرائيل وهو يلعب مع الغلمان فاخذه فصرعه فنقب قلبه فاستخرج
منه علقة وقال هذا حظ الشيطان منك ثم غسله في طست من ذهب
بماء زمزم ثم لامه واعاده في مكانه وجاء الغلمان يسعون الى امه يعني
ظئره فقالوا ان محمدا قد قتل فاستقبلوه وهو منتقع اللون وقال
انس رضي الله عنه فكنت ارى اثر المخيط في صدره ولم يعبد الصنم ولم يشرك بالله
طرفة عين قط يعني قبل النبوة وبعدها لان الانبياء معصومون عن الجهل
بالله تعالى قال علي رضي الله عنه قيل النبي صلى الله عليه وسلم هل عبدت وثنا قط
قال لا قالوا هل شربت خمرا قط قال لا وما زلت اعرف ان الذي هم عليه كفر وما
كنت ادري ما الكتاب ولا الايمان ولم يرتكب صغيرة ولا كبيرة قط يعني قبل النبوة
وبعدها لما فرغ الامام الاعظم من ذكر الانبياء عليهم السلام شرع في ذكر
الخلفاء فقال افضل الناس بعد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ابو بكر الصديق رضي الله عنه
قال رسول الله صلى الله عليه ما طلعت الشمس ولا غربت على احد بعد النبيين
والمرسلين افضل من ابي بكر روي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما ذكر قصة المعراج
كذبوه وذهبوا الى ابي بكر وقالوا له ان صاحبك يقول كذا وكذا فقال ابو بكر
ان كان قد قال ذلك فهو صادق ثم جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الرسول
تلك التفاصيل فكلما ذكر شيئا قال ابو بكر صدقت فلما تم الكلام فقال ابو بكر
اشهد انك رسول الله صلى الله عليه وسلم حقا قال الرسول صلى الله عليه وسلم
واشهد انك صديق حقا كذا في التفسير الكبير ثم عمر بن الخطاب الفاروق قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم وما من نبي الا وله وزيران من اهل السماء ووزيران من

اهل الارض فاما وزيراي من اهل السماء فجبرائل عليه السلام وميكائل عليه السلام
واما وزيراي من اهل الارض فابو بكر وعمر رضي الله عنهما كذا في المصابيح وروي
عن عباس رضه ان منافقا خاصم يهوديا فدعا اليهودي الى النبي صلى الله عليه
وسلم ودعاه المنافق الي كعب بن الاشرف ثم انهما احتكما الي رسول الله صلى الله
عليه وسلم فحكم رسول الله عليه الصلوة والسلام الي اليهودي لم يرض بقضاء رسول الله
صلي الله وسلم فلم يرض لقضائه وخاصم اليك فقال عمر رضه للمنافق كذلك
فقال نعم فقال قفا مكانكما حتي اخرج اليكما فدخل واخذ سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى برد وقال هكذا اقضي لمن لم يرض
بقضاء الله وقضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال جبرائيل عليه السلام
ان عمر رضه فرق بين الحق والباطل فسمي الفاروق كذا في تفسير القاضي ثم عثمان
بن عفان ذي النورين لان النبي صلى الله عليه وسلم زوج بنته رقية ولما
ماتت زوج بنته ام كلثوم ولما ماتت بنته ام كلثوم قال النبي صلى الله عليه
وسلم لو كانت عندي ثالثة لزوجتك فلهذا سمي بذي النورين غزا نس رضيه
قال امر رسول الله صلى الله وسلم ببيعة الرضوان كان عثمان رسول الله
صلى الله عليه وسلم الي مكة فبايع الناس فقال رسول الله صلى الله عليه و
سلم ان عثمان رضه في حاجة الله وحاجة رسول الله عليه الصلوة والسلام
فضرب عليه السلام باحدي يديه علي الاخري فكانت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم
لعثمان خيرا من ايديهم لانفسهم مصابيح ثم علي بن ابي طالب المرتضي
قال رسول الله صلى الله وسلم لعلي انت مني بمنزلة هارون من موسى الا انه
لا نبي بعدي عابدين اي كانوا عابدين لله تعالى ثابتان على الحق مع الحق اي كانوا

مع الحق

مع الحق تعالى في عبادتهم يعني عبدوه بالصدق والاخلاص والخشوع والخضوع
نتولاهم اي نحبهم جميعا اي جميع الخلفاء الاربعة لا نفرق بينهم بحب البعض وبغض البعض
والروافض بغضوا الخلفاء الثلث فرفضوا مذهب الحق والخوارج بغضوا عليا
فخرجوا عن الصراط المستقيم ولا نذكر احدا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا بخير يعني اعتقاد اهل السنة والجماعة تزكية جميع الصحابة والثناء عليهم كما
اثنى الله تعالى ورسوله عليهم الصلوة والسلام وما جرى بين علي ومعاوية كان
مبنيا على الاجتهاد وكذا في الاحياء عزع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكرموا
اصحابي فانهم خياركم ثم الذين يلونهم ثم تبع تابعين يلونهم ثم يظهر الكذب
مصابيح ولا نكفر مسلما بذنب من الذنوب وان كانت كبيرة اذا لم يستحلها بغي ولا
نكفر مسلما بذنب كما يكفر الخوارج مرتكب الكبيرة اما من استحلها تكذيب بالله ورسوله
ولا نزيل عنه اي عن المسلم الذي ارتكب كبيرة غير مستحل اسم الايمان وتسميه
مؤمنا حقيقة اشار به الي ان المسلم يسمى مؤمنا حقيقة وهذا يدل على اتحاد الكلام
والايمان ونجوز ان يكون مرتكب الكبيرة مؤمنا فاسقا غير كافر الفسق وهو الخروج عن
طاعة الله ارتكاب الكبيرة قال صدر الشريعة فالكبيرة كل ما سمي فاحشة كاللواطة ونكاح
منكوحة الاب او ثبت لها بنص قاطع عقوبة في الدنيا والاخرة وقالت المعتزلة مرتكب
الكبيرة فاسق لا يجوز ان يكون مؤمنا ولا كافرا واثبتوا منزلة بين المنزلتين اي بين
الكفر والايمان والمسح على الخفين سنة اي ثبت جوازه بالسنة المشهورة فمن انكره فانه
يخشى عليه الكفر لانه قريب من الخبر المتواتر والتراويح في ليالي رمضان سنة هذا
رد على الروافض فانهم انكروا التراويح والمسح على الخفين ومسحوا على ارجلهم

فلم يرض المنافق وقال نتحاكم الى عمر رضه فقال اليهودي صح

قد استحل معصية في ثبتت بدليل قطعي فهو كافر بالاتفاق لان صح

بلا خف قال صاحب الخلاصة وفي المنتقى يسئل ابو حنيفة رحمه الله عن مذهب اهل السنة و
الجماعة فقال ان تفضل الشيخين وتحب الختنين وترى المسح على الخفين وتصلي
خلف كل بر وفاجر والله تعالى الهادي والصلوة خلف كل بر وفاجر من المؤمنين
جائزة ويكون لوجود ايمانه والكراهة لعدم اهتمامه في الامور الدينية قال النبي
صلى الله عليه وسلم من صلى خلف عالم تقي فكانما صلى خلف نبي من الانبياء ومن
صلى خلف نبي من الانبياء غفر له ما تقدم من ذنبه يعني الصغاير ولا نقول ان المؤمنين
لا يضره الذنوب ولا نقول انه لا يدخل النار كما قالت المرجئة قال الامام الرازي
في كتاب اربعين العاصي الذي ليس بكافر وكانت معصيته كبيرة فيه ثلاثة اقوال
احدها قول من قطع بانه لا يعاقب هذا قول مقاتل بن سليمان وقول المرجئة وثانيها
قول من قطع بانه يعاقب وهو قول المعتزلة والخوارج وثالثها قول من لم يقطع
لا بالعفو ولا بالعقاب وهو قول اكثر الائمة وهو المختار ولا نقول انه اي المؤمن يخلد
فيها اي في نار جهنم وان كان فاسقا بعد ان يخرج من الدنيا مؤمنا خلافا للمعتزلة فانهم
قطعوا بخلود الفاسق في عذاب نار جهنم ابدا كالكافر ولا نقول ان حسناتنا مقبولة
وسيئاتنا مغفورة كقول المرجئة ولكن نقول من عمل حسنة بجميع شرائطها من النية
والاخلاص وغيرهما من العزايم خالية عن العيوب المفسدة عن الريا والسمعة والعجب ولم
يبطلها بالكفر والردة قال الله تعالى ومن يكفر بعد الايمان فقد حبط عمله واما ارتكاب
الكبائر فلا يفسد الطاعة فلا يبطل ثوابها عند اهل السنة والجماعة حتى خرج من
الدنيا مؤمنا فان الله تعالى لا يضيعها بل يقبلها منه ويثيبه عليها بلا وجوب عليه ولا
استحقاق بل بفضله ووعده قال الله تعالى وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات وقال الله
تعالى ذلك فضل الله يعطيه من يشاء وقال الله تعالى والله لا يخلف الميعاد فكما ان من السيئات

دون الشرك والكفر سواء كانت تلك السيئات صغيرة او كبيرة ولم يتب عنها اي
عن تلك السيئات التي ليست بشرك ولا كفر صاحبها حتى مات مؤمنا فاسقا
مصرا عليه فانه اي ذلك الفاسق في مشية الله تعالى ان شاء عذبه بالنار عدلا ثم
اخرجه منها فضلا وان شاء عفا عنه ولم يعذبه بالنار اصلا بفضله ورحمته او
بشفاعة الشافعين وفي بعض النسخ وان شاء عفا عنه ولم يعذبه بالنار ابدا
فيكون المعنى ان من يعذبه الله من المؤمنين لا يعذبه ابدا مخلدا في النار لان الايمان
يمنع الخلود والريا اذا وقع في عمل من الاعمال فانه اي الريا يبطل اجره قال الله تعالى يا ايها
الذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس وقال
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا يقبل الله تعالى عملا فيه مقدار ذرة من الرياء والمصنف
ذكر ابطال الاجر ولم يذكر ابطال العمل اهتماما بشان الاجر والثواب لان المقصد الاقصى
والمطلب الاعلى من العمل هو الاجر والثواب وكذلك العجب اي العجب اذا وقع في عمل من الاعمال فانه
يبطل اجره وعمله كالريا لان المعجب يأمن من مكر الله ولا يخاف من زوال ايمانه واعماله
والامن من عذاب الله كفر والايات جمع اية وهي علامة والاصل اوية بالتحريك اي
المعجزات ثابتة للانبياء يعني ان خوارق العادة التي تصدر عن الانبياء كاحياء الاموات
وانفجار الماء من بين الاصابع وكعدم احراق النار وغيرها تسمى ايات لان الله
تعالى يريد بصدورها عنهم ان تكون علامة ودليلا على نبوتهم وصدقهم والكرامات
للاولياء اي الخوارق التي تصدر عن الاولياء تسمى كرامات لان الله تعالى يريد بصدورها
عنهم اكرامهم واعزازهم والولي في اللغة القريب فاذا كان العبد قريبا من حضرة
الله تعالى بسبب كثرة طاعاته وكثرة اخلاصه كان الرب قريبا منه برحمته وفضله
واحسانه واما التي تكون لاعدائه اي لاعداء الله تعالى من الامور الخارقة للعادة
مثل ابليس وفرعون والدجال فما روي في الاخبار انه كان ويكون لهم لا نسميها ايات

فانها للانبياء ولا كرامات فانها للاولياء اكراما لهم واحسانا لهم ولكن
نسميها قضاء حاجاتهم ولما كان من المستبعد عند العقول القاصرة قضاء
حاجات اعدائه دفع الامام الاعظم ذلك وبين الحكمة فيه بقوله وذلك لان الله تعالى
يقضي حاجات اعدائه استدراجا وعقوبة لهم فيغترون بذلك بسبب حاجاتهم ويزدادون
طغيانا وكفرا فيستحقون بذلك عذابا مهينا قال الله تعالى ولا يحسبن الذين
كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين و
ذلك كله جائز ممكن لا يستحيل في العقل وقوعه قال الله تعالى سنستدرجهم من
حيث لا يعلمون وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا رايت الله يعطي العبد
ما يحب وهو مقيم على معصيته فانما ذلك منه استدراج وكان الله تعالى خالقا قبل
ان يخلق ورازقا قبل ان يرزق كرر الامام الاعظم هذا الكلام للتوكيد اي كان الله
تعالى خالقا قبل وجود المخلوقات ورازقا قبل وجود المرزوقات وقادرا قبل وجود
المقدورات وقاهرا قبل وجود المقهورات وراحما قبل وجود المرحومين ومعبودا
قبل وجود العابدين ومجيبا قبل دعوة السائلين وغنيا قبل وجود السموات
والارضين مالكا قبل وجود المملكة والمملوكين وباقيا بعد فناء الخلق اجمعين فالله
تعالى يرى على صيغة المجهول في الاخرة صفة الدار بدليل قوله تعالى تلك الدار الاخرة
ثابت الاخر الذي هو نقيض الاول وانما سميتها بالاخرة لتاخرها عن الدنيا وهي
من الصفات التي غلبت عليها الاسمية وكذلك الدنيا وانما سميت بالدنيا لدنوها وقربها
من الاخرة ويراه المؤمنون وهم في الجنة باعين رؤسهم حال من فاعل يرى اي
حال كونهم في الجنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل اهل الجنة الجنة
يقول الله تعالى اتريدون شيئا ازيدكم فيقولون الم تبيض وجوهنا الم تدخلنا
الجنة وتنجينا من النار قال النبي صلى الله عليه وسلم فيرفع الحجاب فينظرون الى وجه الله تعالى

فا

فما اعطينا شيئا احب اليهم من النظر الى ربهم ثم قال عليه الصلوة والسلام
للذين احسنوا الحسنى وزيادة بلا تشبيه ولا كيفية خلافا للمشبهة
والمجسمة ولا يكون بينه وبين خلقه مسافة حين يرونه والمسافة في اللغة
البعد والمراد بها ههنا الجهة والمكان والمقابلة اعلم ان رؤية الله تعالى
بالابصار في الاخرة حق معلوم ثابت بالنص لا بالعقل لانها من المتشابهات
وصفا قال فخر الاسلام علي البزدوي في اصول الفقه مثال المتشابه رؤية الله
تعالى بالابصار عيانا حقا في الدار الاخرة بنص القران بقوله تعالى وجوه يومئذ
ناضرة الى ربها ناظرة ولانه موجود بصفات الكمال وان يكون مرئيا
لنفسه ولغيره من صفات الكمال والمؤمن لاكرامه بذلك اهل لكن اثبات الجهة
ممتنع فصار متشابها بوصفه فوجب تسليم المتشابه على اعتقاد الحقيقة
فيه والايمان في اللغة التصديق وهو قبول خبر المخبر بالقلب ومعناه
بالتركية انانمق وفي الشرع هو الاقرار باللسان والتصديق بالجنان بان الله
تعالى واحد لا شريك له موصوف بصفاته الذاتية والفعلية وبان محمدا رسول الله
اي نبيه الذي بعثه بالكتاب والشريعة فالاقرار وحده لا يكون ايمانا لانه
لو كان ايمانا لكان المنافقون كلهم مؤمنون وكذلك المعرفة وحدها لا يكون
ايمانا لانها لو كانت ايمانا لكان اهل الكتاب كلهم مؤمنين وقال الله تعالى في
حق المنافقين والله يشهد ان المنافقين لكاذبون وقال الله تعالى في حق
اهل الكتاب الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم فمن اراد
ان يكون من امة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فقال بلسانه لا اله الا الله
محمد رسول الله وصدق قلبه معناه فهو مؤمن وان لم يعرف الفرائض

صلى الله عليه وسلم

مطلب ان يكون من امة محمد صلى الله عليه وسلم

والمحرمات ثم اذا قيل له ان الصلوة الخمس في كل يوم وليلة فرض عليك فان
صدق وضيقها عليه وقبلها فهو ثابت على ايمانه وان انكرها ولم يقبلها فهو كافر
وكذلك ساير الفرايض والمحرمات الثابتة بدليل قطعي من الكتاب والسنة
والاجماع وايمان اهل السماء والارض لا يزيد ولا ينقص من جهة المؤمن به و
يزيد وينقص من جهة اليقين والتصديق يعني ان ايمان الملائكة وايمان
الانس والجن لا يزيد ولا ينقص في الدنيا والاخرة من جهة المؤمن به لان من
قال امنت بالله وبما جاء من عند الله وامنت برسول الله صلى الله عليه وسلم وبما جاء
من عند رسول الله عليه الصلوة والسلام فقد آمن بجميع ما يجب الايمان به فهو
مؤمن ومن امن ببعض ما يجب الايمان بان امن بالله وملائكته وكتبه ورسله
ولم يؤمن باليوم الاخر فهو كافر ومن امن بالله ورسله ولم يؤمن غيرها فهو كافر
ايضا فلا فرق بين من يؤمن ببعض المؤمن به وبين من يكفر بكل المؤمن به
في كونهما كافرين حقا والمؤمنون مستوون في الايمان اي بحسب المؤمن به كما
مر وفي التوحيد اي نفي الشرك في الالوهية والربوبية والخالقية والازلية والقديمية
والقيومية والصمدية فمن نفي الشركة في بعضها دون بعض فهو مشرك لا موحد
فلا يزيد التوحيد ولا ينقص من هذا الوجه اما من وجه التقليد والاستدلال
فيزيد وينقص وليس توحيد المستدل بالادلة العقلية كتوحيد العارف الواصل
الى المكاشفات والمشاهدات والمعارف الالهامية والعلوم الدينية وكذلك
لا يستوي ايمانهم من هذا الوجه متفاضلون ومتفاوتون في الاعمال
اي في الطاعات الظاهرة والباطنة وهذا يدل على ان العمل الصالح ليس جزء
من الايمان لان العمل يزيد وينقص لان بعض الناس يصلي الصلوة الخمس كلها و

بعضهم يصلي بعضها وصلوة من صلى بعضها صلوة صحيحة لا باطلة وصوم من
صام رمضان كله صوم صحيح وصوم من صام رمضان الى نصفه صوم صحيح ايضا
لا باطل وقس على هذا ساير الاعمال من الفرايض والنوافل والايمان ليس كذلك
لان ايمان من امن ببعض المؤمن به ليس بايمان صحيح بل هو باطل كصوم من صام
بعض يوم واحد ثم افطر والاسلام هو التسليم والانقياد لاوامر الله تعالى في الصحاح
التسليم بذل الرضا بالحكم والانقياد الخضوع والخضوع التطامن والتواضع فيعني
الاسلام هو الرضاء باحكام الله من الفرايض والمحرمات اي هو الرضاء بحكم الله
بكون بعض الاشياء فرضا ويكون بعض الاشياء حلالا ويكون بعض الاشياء
حراما بلا اعتراض ولا استقباح فمن طريق اللغة فرق بين الايمان والاسلام
لان الايمان في اللغة عبارة عن التصديق قال الله تعالى وما انت بمؤمن لنا اي
بمصدق لنا والاسلام عبارة عن التسليم والتصديق محل خاص وهو القلب و
اللسان ترجمانه واما التسليم فانه عام في القلب واللسان والجوارح ويدل على كون
الاسلام اعم في اللغة كون المنافقين من المسلمين بحسب اللغة وما كانوا مسلمين
بحسب الشرع وما كانوا مؤمنين بحسب اللغة وما كانوا مؤمنين بحسب الشرع قال الله تعالى
قالت الاعراب امنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا لوجود الاعتراف باللسان وهو
اسلام في اللغة وليس بايمان في اللغة لعدم التصديق بالقلب ولكن لا يكون
اي لا يوجد في حكم الشرع ايمان بلا اسلام لان الايمان هو الاقرار والتصديق لالوهية
الله تعالى كما هو بصفاته واسمائه فمن اقر وصدق ويوجد فيه التسليم والقبول لفرضية
اوامر الله تعالى وحقيقته وشرايعه ولا يوجد اسلام بلا ايمان لان الاسلام هو التسليم
والانقياد لاوامر الشرع وذلك لا يوجد الا بعد التصديق والاقرار فلا يعقل بحسب الشرع

مؤمن ليس عالم او مسلم ليس بمؤمن وهذا مراد القوم بترادف الاسمين واتحاد المعنى
وهما كالظهر مع البطن اي الايمان والاسلام مثلا زمان لا ينفك احدهما عن الاخر
كما لا ينفك الظهر عن البطن والبطن عن الظهر والدين اسم واقع على الايمان و
الاسلام والشرايع كلها يعني ان لفظ الدين قد يطلق ويراد به شريعة محمد رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقد يطلق ويراد به شريعة موسى عليه السلام وقد يطلق ويراد به
شريعة عيسى عليه السلام او غيره من الرسل نعرف الله تعالى حق معرفته اي نعرف الله
حق المعرفة التي كلفنا به كما وصف نفسه اي ذات الله تعالى في كتابه بجميع صفاته اي نعرف
الله تعالى حق معرفته بجميع صفاته التي وصف نفسه بها في كتابه العظيم وكلامه القديم و
بجميع اسمائه الحسنى التي في الكتاب والسنة اي نقدر على معرفة بصفاته واسمائه على التفصيل
ولا نقدر على معرفة كنه ذات الله تعالى وهذا معنى ما يقال ما عرفناك حق معرفتك و
ليس يقدر احد ان يعبد الله تعالى حق عبادته كما هو اهل له لان العبادة اجلال
الرب وتعظيمه ولا نهاية لجلاله وعظمته فلا يقدر عبد ان ياتي بالعبادة اللايقة بجلال
الله وعظمته وكبريائه ولا يقدر عبد ان يعبد الله عبادة مساوية لثوابه لان ثوابه واحدة
بغير حساب وبغير زوال واعمال العبد بحساب وعلى زوال وكذلك لا يقدر عبد ان يشكر
الله حق شكره لان شكره يعد ويحصى ونعمة الله لا تحصى قال الله تعالى وان تعدوا
نعمة الله لا تحصوها ولكن يعبده بامره كما امر بكتابه وسنة رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم ويستوي المؤمنون كلهم في المعرفة واليقين والتوكل والمحبة والرضا
والخوف والرجاء والايمان في ذلك المعرفة في اللغة بمعنى العلم وفي الاصطلاح
هي العلم باسماء الله تعالى وصفاته مع الصدق لله تعالى في معاملاته واليقين في اللغة
العلم الذي لا شك معه وفي الاصطلاح اليقين هو رؤية العيان بقوة الايمان لا
بالحجة والبرهان وقد ذكر الله تعالى اليقين في القران العظيم على ثلاثة اوجه علم اليقين
وعين اليقين وحق اليقين فعلم اليقين ما يحصل عن الذكر والنظر وعين اليقين

ما يحصل عن العيان وحق اليقين اجتماعهما والاول لعوام العلماء والثاني لخواص
العلماء والاولياء والثالث للانبياء والتوكل هو الثقة بما عند الله واليأس عما في
ايدي الناس والمحبة في اللغة المودة وفي الاصطلاح محبة العبد لله تعالى هي حالة
يجدها في قلبه لا يوصف بوصف ولا تحد بحد اوضح واقرب الى الفهم من لفظ المحبة
وقال بعض المشايخ محبة العبد لله تعالى هي التعظيم وايثار الرضاء وقلة الصبر
عن الله وكثرة الاستيناس بذكره دايما والرضاء سرور القلب بمر القضاء اي المقتضى
من المصايب والبلاء فالخوف توقع حلول مكروه او فوات محبوب والرجاء في اللغة
الامل وفي الاصطلاح هو تعلق القلب بحصول محبوب في المستقبل واعلم
ان الرجاء لا يتحقق الا مع الخوف كما ان الخوف لا يتحقق الا مع الرجاء فهما متلازمان
لان الرجاء بلا خوف امن وغرور والخوف بلا رجاء قنوط ويأس من
رحمة الله تعالى اي المؤمنون يستوون كلهم فتى كان او فتاة شيخا كان او شيخة
عبدا كان او حرا في المعرفة اي في وجوب معرفة الله تعالى اولا ثم معرفة الاعمال من الفرايض
والواجبات والحلال والحرام قوله والايمان في ذلك اي ويستوي المؤمنون في الايمان
بان المؤمنين يستوون في اصل المعرفة واصل اليقين واصل التوكل الى اخره و
يتفاوتون فيما دون الايمان في ذلك كله يعني ويتفاوت المؤمنون كلهم في الامور
المذكورة بحسب وجود كل واحد منها وعدمه وزيادته ونقصانه ولا يتفاوتون في
الايمان بذلك كله بحسب المؤمن به لا بحسب التصديق واليقين والله تعالى متفضل على
عباده عادل قد يعطي من الثواب اضعاف ما يستوجب العبد اي ما يستحقه العبد
استحقاقا بحسب وعد الله وحكمه قال الله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها و
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل عمل ابن ادم يضاعف الحسنة بعشر امثالها الى
سبعماية ضعف وقوله تفضلا منه لنفي الاستحقاق الذاتي لان الوعد بالثواب و
الحكم به ليس بواجب على الله تعالى بل هو تفضل واختيار من الله تعالى وقد يعاقب

على الذنب عدلا منه اي عدلا من الله تع لانه تصرف في خالص ملكه والظلم هو التصرف
في ملك الغير بلا اذن وقد يعفو فضلا منه اي قد يعفو عن الذنب صغيرا كان
ذلك الذنب او كبيرا مقرونا بالتوبة او غير مقرون بها والعفو عن الذنوب لمن يشاء
فضل وانعام لا حق للعبد والعفو اسقاط العذاب عن من يستحق عقابه قال الله تعالى
وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات وشفاعة الانبياء عليهم السلام
حق وشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم للمؤمنين المذنبين واهل الكبائر منهم المستوجبين
العقاب حق ثابت بالكتاب والسنة واجماع الامة قال الله تعالى من ذا الذي يشفع
عنده الا باذنه وهو اثبات الشفاعة لمن اذن له بها قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم شفاعتي لاهل الكبائر من امتي من كذب بها لم ينلها وقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يشفع امتي يوم القيمة ثلثة الانبياء ثم العلماء ثم
الشهداء والشفاعة مصدر الشفيع وهو من يطلب قضاء حاجة غيره مستوى من
المشفع ووزن الاعمال بالميزان يوم القيمة حق قال الله تع والوزن يومئذ الحق
والاقرار بالوزن يوم القيمة من مذهب اهل السنة والجماعة والله تعالى
اعلم بكيفيته وقال الامام الاعظم في كتاب الوصية وقراءة الكتب حق لقوله تع
اقرا كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وحوض النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
حق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حوضي مسيرة شهر وزواياه سواء ماؤه
ابيض من اللبن وريحه اطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء ومن شرب منه لا يظمأ
ابدا والقصاص فيما بين الخصوم بالحسنات يوم القيمة حق وان لم تكن لهم الحسنات فطرح
السيئات عليهم حق جائز قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كانت له مظلمة
لاخيه من عرضه او شيء فليستحلله منه اليوم قبل ان لا يكون دينار ولا
درهم وان كان له عمل صالح اخذ منه بقدر مظلمته فان لم يكن له حسنات اخذ من سيئات
مظلومه فحمل عليه وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اتدرون من المفلس

قالوا المفلس

قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع فقال صلى الله تعالى عليه وسلم ان المفلس
من امتي من يأتي يوم القيمة بصلوة وصيام وزكوة ويأتي قد شتم هذا وقذف
هذا واكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا
من حسناته فان فنيت حسناته قبل ان يقضى ما عليه اخذ من خطاياهم فطرحت
عليه ثم طرح في النار والجنة وهي دار الثواب الدائم والنار وهي دار العقاب
الدائم مخلوقتان اليوم قال الله تع وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها
السموات والارض اعدت للمتقين وقال الله تعالى واتقوا النار التي اعدت
للكافرين والفعل الماضي هو اللفظ الدال على ثبوت معنى في زمان قبل زمان
اخبارك فالجنة والنار مخلوقتان قبل ان يقول جبرائيل عليه السلام لمحمد صلى
الله عليه وسلم اعدت للمتقين اعدت للكافرين ولفظ نجعلها في قوله تعالى
تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا
بمعنى نعطيها كقوله تعالى وجعلت له مالا ممدودا اي اعطيت له لا تفنيان
ابدا معناه نطرء عليهما الفناء ولكن لا يكون فناؤهما ابديا بل موقتا لقوله
تعالى كل شيء هالك الا وجهه اي لا يلحقهما الفناء اصلا اما قوله تعالى كل
شيء هالك الا وجهه معناه ان كل ممكن فهو هالك في حد ذاته بمعنى ان الوجود
الامكاني بالنظر الى الوجود الواجبي بمنزلة العدم والبقاء العارضي بالنظر
الى البقاء الذاتي بمنزلة الفناء ولا يموت الحور العين
ابدا ولا يطرء عليهن عدم عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان في الجنة لمجتمعا للحور العين يرفعن باصوات لم يسمع الخلائق مثلها
يقلن نحن الخالدات فلا نبيد ونحن الناعمات فلا نبأس ونحن الراضيات
ولا نسخط طوبى لمن كان لنا وكنا له قوله فلا نبيد اي فلا نهلك كذا في

المصابيح ولا يفنى عقاب الله تعالى ولا ثوابه سرمدا السرمد الدائم قال الله تعالى
وفي العذاب هم خالدون اي باقون دائمون وقال الله تعالى والذين امنوا وعملوا
الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا
وعد الله حقا والايات والاحاديث في خلود اهل الجنة وخلود اهل النار
كثيرة فالله تعالى يهدي من يشاء فضلا منه ويضل من يشاء عدلا
منه واضلاله خذلانه وتفسير الخذلان ان لا يوافق العبد على ما يرضاه عنه
وهو عدل منه وكذا عقوبة المخذول على المعصية عدل لا ظلم فيه لان الله
تعالى لا يكون ظالما بالخذلان وبعقوبة المخذول على المعصية لان الظلم
وضع الشيء في غير موضعه والله تعالى وضع التصرف في ملكه لا في ملك
غيره وعرف الامام الاعظم اضلال الله جل جلاله وفسر الخذلان بان
لا يوافق العبد على ما يرضاه عنه فالهداية ههنا بمعنى التوفيق وهو
جعل الاسباب موافقا للسعادة والخير ولا يجوز ان يقول ان الشيطان
يسلب الايمان اي الاقرار والتصديق من العبد المؤمن قهرا وجبرا لان غرض
الشيطان من سلب الايمان منه تعذيبه فلا يحصل غرضه بالقهر والجبر
لان العبد المؤمن لا يكون معذبا وهو مجبور في سلب الايمان فلا يسلبه جبرا
ولكن نقول العبد يدع اي يترك الايمان فحينئذ اي فحين يتركه العبد يسلبه
منه الشيطان لانه لو سلبه قبل تركه لزم على الله جبرا العبد على الكفر وقد علمت
ان الله تع لا يخلق الكفر في قلب العبد بدون اختياره وحبه وسؤال منكر
ونكير حق كائن في القبر واعادة الروح الى الجسد في قبره حق وضغطة القبر
وعذابه حق كائن للكافر كلهم ولبعض عصاة المسلمين المنكر اسم المفعول
والنكير فعيل بمعنى المفعول وانما سميا بهذين الاسمين لان الميت لم يعرفهما ولم

الامام

يتصور شبههما وفي الصحاح منكر ونكير اسما ملكين ضغط يضغطه ضغطا زحمه
الى الحائط ونحوه ومنه ضغطة القبر وفي المصابيح عن ابي هريرة رضي الله قال
قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا قبر الميت اتاه ملكان ازرقان يقال
لاحدهما المنكر وللاخر النكير فيقولان ما كنت تقول في هذا الرجل فان كان مؤمنا
فيقول هو عبد الله ورسوله اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله
فيقولان قد كنا نعلم انك تقول هذا ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعا في سبعين
ثم ينور له فيه ثم يقال له نم فيقول ارجع الى اهلي فاخبرهم فيقولان نم كنومة العروس
الذي لا يوقظه الا احب اهله اليه حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك وان كان منافقا
او كافرا قال سمعت الناس يقولون قولا فقلت مثله لا ادري فيقولان قد كنا
نعلم انك تقول ذلك فيقال للارض التامي عليه فتلتئم عليه فتختلف اضلاعه
فلا يزال فيها معذبا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك وكل شيء ذكره العلماء
بالفارسية اي بغير العربية من صفات الله عز اسمه فجائز القول به وكذا كل
شيء ذكره العلماء بغير العربية من اسماء الله تعالى فجائز القول به فيجوز ان يقال دست
خداي تعالى توانا ست سوى بالفارسية اي بغير العربية فلا يجوز ان يقال
خداي ويجوز ان يقال بروي خداي عز وجل بلا تشبيه ولا كيفية وليس
قرب الله تعالى ولا بعده اي ليس قرب العبد من الله تع ولا بعد العبد من
الله تع من طريق طول المسافة وقصرها لان القرب والبعد من هذا الطريق لا يتصور الا
في المتمكن والمتحيز في مكان وجهة والله تعالى منزه عن المكان والحيز والجهة
لانه ليس بجوهر ولا عرض ولكن على معنى الكرامة والهوان يعني قرب العبد من الله
كرامة العبد وكماله وبعد العبد من الله هوان العبد ونقصانه اطلاق القرب
على الكرامة والبعد على الهوان مجاز مرسل من قبيل اطلاق السبب على المسبب

بصورة

والمطيع قريب منه بلا كيف اي ليس قربه من الله من طريق قصر المسافة والجهة والعاصي
بعيد منه بلا كيف اي ليس بعده من الله من طريق طول المسافة والجهة والقرب والبعد والاقبال
يقع على المناجي اي يقع على العبد المتذلل لله المتضرع اليه لا على الله تعالى الاترى
ان القرب والبعد على معنى الكرامة والهوان وان الله تعالى اقرب الى العبد من حبل
الوريد وكذلك جواره مجاورة المطيع لله تعالى في الجنة والوقوف بين يديه اي
بين يدي الله تعالى بلا كيف اي ليس هذا على معناه الظاهر بل من المتشابهات قال
الامام الغزالي رحمه الله القرب من الله تعالى في العبد من صفات البهائم والسباع و
في التخلق بمكارم الاخلاق التي هي الاخلاق الالهية فهو قرب بالصفة لا بالمكان ومن لم
يكن قريبا ثم صار قريبا فقد تغير والقران منزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو في المصاحف مكتوب وايات القران في معنى الكلام اي في كونها كلام الله تعالى
كلها مستوية في الفضيلة والعظمة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل كلام الله
تعالى على سائر الكلام كفضل الله تعالى على خلقه وايات القران كلها مستوية في هذه
الفضيلة ففضل كل اية على سائر الكلام كفضل الله تعالى على خلقه الا ان لبعضها
فضيلة الذكر وفضيلة المذكور مثل اية الكرسي لان المذكور فيها جلال الله تعالى
وعظمته وصفاته فاجتمعت فيها فضيلتان فضيلة الذكر وفضيلة المذكور و
هو الله تعالى وصفاته واسماؤه وكذا الايات التي يذكر فيها الانبياء والاولياء فيها
فضيلتان ولبعضها فضيلة فحسب مثل قصة الكفار فيها فضيلة القران لانها
كلام الله تعالى لا كلامهم وليس للمذكور فيها فضل وهم الكفار وكذلك الاسماء والصفات
كلها مستوية في العظم والفضل لا تفاوت بينها يعني لا تفاوت بين اسماء الله تعالى
ولا تفاوت بين صفات الله وبين اسمائه وصفاته اذ كلها مستوية في العظم والفضل
الذي حصل لها بكونها اسماء الله وصفاته وبكونها لا هو ولا غيره وقال الامام الغزالي
رحمه الله عليه اعلم ان هذا الاسم يعني الله اعظم الاسماء التسعة والتسعين لانه دال
على الذات الجامعة لصفات الالهية ولانه اخص الاسماء اذ لا يطلقه احد على غيره تعالى
لا حقيقة ولا مجازا وسائر الاسماء قد يسمى بها غيره كالقادر والعالم والرحيم وغيره

وو الذي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ماتا على الكفر وابو طالب عمه مات
كافرا هذا رد على من قال ماتا على الايمان وهم الروافض وقاسم وطاهر وابرهيم
كانوا بني رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفاطمة ورقية وزينب وام كلثوم كن
جميعا بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا رد على من روى عن اولاد رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم اكثر واقل من المذكورين في هذه الرواية وهي الصحيحة كان
رسول الله تعالى عليه وسلم تزوج خديجة وهو ابن خمس وعشرين سنة فولد منها
ستة اولاد وولد له من الجارية ابرهيم وهي جارية قبطية وولد ابرهيم بالمدينة
ومات صغيرا رضيعا قال البراء لما توفي ابرهيم قال رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم ان له مرضعا في الجنة واذا اشكل على الانسان المؤمن شيء اي
مسئلة من دقائق اي من مسائل علم التوحيد والصفات فانه ينبغي له اي
يجب عليه ان يعتقد في الحال ما هو الصواب عند الله تعالى بان يقول مثلا ان
ما اراد الله منه حق واقع او يقول اعتقدت ما هو الصواب عند الله وهذا قلنا
القدر يكفي الى ان يجد عالما يعلم مسائل التوحيد والصفات فيسأل
اشكل عليه ولا يسعه اي لا يجوز له تاخير الطلب اي تاخير طلب العلم الذي هو فرض
عليه وهو علم الايمان وعلم ما يزول به الايمان ويحصل به الكفر وعلم ما يكون
به من اهل السنة والجماعة قال الله تعالى فاعلم انه لا اله الا الله وقال الله
تعالى فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وقال رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة وقال صلى الله تعالى عليه وسلم
اطلبوا العلم ولو بالصين ولا يعذر بالوقف فيه اي لا يكون معذورا بالتوقف
فيما اشكل عليه من الاعتقاديات ويكفر ان وقف فيما اشكل عليه اذا كان
من ضروريات الدين لان التوقف في المؤمن به كفر لان التوقف يمنع التصديق
واذا قال امنت بالله واعتقدت ما هو الحق عند الله تعالى يثبت ايمانه الاجمالي

وخبر المعراج حق ومن رده فهو مبتدع ضال اي من انكر المعراج الي السماء فهو مبتدع
ضال لان عروج رسول الله صلي الله تعالي عليه وسلم بجسده في اليقظة الي السماء ثابت بالخبر
المشهور وهو قريب من الخبر المتواتر وفي كتاب الخلاصة ومن انكر المعراج ينظر ان انكر
الاسراء من مكة الي بيت المقدس فهو كافر ولو انكر المعراج من بيت المقدس لا يكفر
لان الاسراء من مكة الي بيت المقدس ثبت بدليل قاطع من الكتاب قال الله تعالي
سبحان الذي اسري بعبده ليلا من المسجد الحرام الي المسجد الاقصي الذي باركنا حوله
لنريه من اياتنا انه هو السميع البصير والمعراج من البيت المقدس يثبت بدليل قاطع
من الكتاب قال مقاتل في تفسير قوله تعالي اسري بعبده ليلا كان الليل قبل الهجرة
بسنة قال رسول الله صلي الله عليه وسلم بينا انا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت
بين النايم واليقظان اذ اتاني جبرائيل عليه السلام بالبراق وهي دابة ابيض طويل
فوق الحمار ودون البغل يقع حافره عند منتهي طرفه فركبته حتي اتيت بيت المقدس
فربطته بالحلقة التي تربط بها الانبياء قال ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين
ثم خرجت فجاء جبرائيل عليه السلام باناء من خمر واناء اللبن فاخترت اللبن فقال
جبرائيل عليه السلام اخترت الفطرة ثم عرج بنا الي السماء الحديث وخروج الدجال و
ياجوج وماجوج وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسي عليه السلام من السماء
وساير علامات يوم القيمة علي ما وردت به الاخبار الصحيحة حق كاين عن حذيفة
ابن اسيد الغفاري قال اطلع النبي صلي الله عليه وسلم ونحن نتذاكر فقال ما
تذكرون قالوا نذكر الساعة قال النبي عليه وسلم انها لن تقوم حتي تروا قبلها عشر
ايات فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسي عليه السلام
بن مريم عليه السلام ويأجوج ومأجوج وثلثة خسوف خسف بالمشرق وخسف
بالمغرب وخسف بجزيرة العرب واخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس الي محشرهم
كذا في المصابيح والله يهدي من يشاء الي صراط مستقيم اي يوفقه ويثبت علي اعتقاد

صحيح

صحيح وعمل صالح من تعلق مشية الازلية في الازل بهدايته قول الامام الاعظم
ابي حنيفة رضي الله عنه والله تعالي يهدي من يشاء
كانه قال فما علينا الا البلاغ والله
يهدي من يشاء الي صراط مستقيم
اللهم يا هادي المهتدين
اهدنا الصراط المستقيم
والله الموفق
بالسلام